



الجزء الأول ـ المجلد الثامن والثلاثون

بغـــداد

رجب ١٤٠٧ هـ ـ آذار ١٩٨٧ م



مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزء الأول ـ المجلد الثامن والثلاثون

بغـــداد

رجب ١٤٠٧ هـ ـ آذار ١٩٨٧ م



مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

هيئة تحرير المجلة

توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

- **البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .**
- **المقالات لا ترد الى اصحابها نشرت أو لم تنشر .**

العنوان : الوزيرية / بريد الاعظمية ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ـ العـراق



أسلوب التفضيل في القرآن الكريم

الدكتور احمد عبد الستار الجواري
(عضو المجمع)

من ضروب الصفة في اللسان العربي ما يعرف باسم التفضيل أو «أفعل التفضيل» . وهو صيغة مشتقة من الفعل على وزن « أفعل » مذكراً « وفعلى » مؤنثة .

وهو يصاغ من الفعل الثلاثي بشروط ذكرها النحاة سيأتي بيانها بعد.

ويذهب بعضهم إلى ترجيح تسميته اسم التفضيل، ليدخل فيه نحو : خير في مثل قولنا «زيد خير من أخيه» ، ونحو شر في مثل : « الجفاء شر من الصفاء» . وهما اسمان للتفضيل ولكنهما ليسا على وزن أفعل ، وإن ذهب بعضهم إلى أن الهمزة في أولهما محذوفة مقدر وجودها .

وذكر النحاة لصوغه شروطاً جمعوا فيها بينه وبين أفعل التعجب . يقول ابن مالك :

صغ من مصوغ منه للتعجّب
أفعل للتفضيل وأْبَ اللذ أبي

وشروطه أن يصاغ من فعل ثلاثي تام متصرف مبني للمعلوم قابل معناه للتفاوت والمفاضلة ، غير دال على لون ولا عيب ،وليس الوصف منه على أفعل .

وتلك شروط عامة منها ما يتعلق باللفظ ومنها ما يتعلق بالمعنى .

فاشتراط كون الفعل الذي يصاغ منه ثلاثياً فيه احتراز من الالتباس، من جانب، ومن حذف شيء من بنية الفعل الزائدة حروفه على ثلاثة، من جانب آخـــر .

فقولنا « زيد أكرم من أخيه » . مشتق فيه « أفعل » من الفعل « كرم » لأن صوغه من « أكرم » يمنع منه وجود الهمزة في الفعل، فلا يدرى — لو افترضنا صوغه من الرباعي — أهي الهمزة في أول الفعل أم هي همزة أفعل اسم التفضيل .

وفي غير وزن « أفعل » من الأفعال التي يزيد عدد حروفها على ثلاثة أحرف يتعذر صوغ « أفعل » منها كما هو ظاهر، إلا بحذف واحد من الحروف أو أكثر من واحد، والحذف يخل بمعنى ما صيغ منه الوصف .

أما اشتراط كون الفعل تاماً فلأن الفعل الناقص قد نقص فيه معنى الحدث الذي عليه مدار الوصف، ومدلول الفعل الناقص مقتصر على معناه اللغوي مقترناً بمعنى الزمن، ولا أثارة فيه لمعنى الوصف الذي يكون فيه التفاضل .

واشتراط بناء الفعل للمعلوم سببه أن صيغة التفضيل فاعلية لا مفعولية ؛ فلا يصح في معنى المفعولية أن يكون تفضيل، لأن معناه موجب مؤثر لا متأثر، ولأنه يلتبس من جهة أخرى بالتفضيل في معنى الفاعلية . فإن أُمِن اللبسُ جاز، نحو قول القائل : « فلان أعنى بحاجتي من أخي » . وإنما أُمِنَ اللبس لأن معنى الفعل وهـــو مبني للمفعول أقرب إلى الفاعلية . والفعـــل هو « عُنِيَ » وهو في معنى « اهتمّ »، والوصف منه « المعنيّ » وهو اسم مفعول، ولكنه قريب في معناه من اسم الفاعل « المهتمّ » أو نحو ذلك .

وأما شرط التصرف في الفعل فأمره ظاهر ، لأن الفعل الجامد لا يصاغ منه الوصف، تفضيلاً كان أو غير ذلك .

فالفعل الجامد أشبه مايكون بالحرف ، وهوأداة سلب منها معنى الحدث والزمن كليهما ؛ ولم يبق فيه إلا معناه اللغوي فهو أشبه بحرف المعنى

وأما قبول الفعل للتفاوت والمفاضلة في معناه فبديهي لأن المراد من التفضيل يقوم على معنى التفاضل موجوداً أو محتملاً وجوده .

وأما كون الوصف من الفعل لايجيء على وزن «أفعل» فلئلا يلتبس حينئذ الوصف بصيغة التفضيل، فلا يدري أيهما المراد، وفي هذا أيضاً يندرج ما يدل على اللون أو العيب . نحو : أحمر وأعرج .

واستعمال اسم التفضيل (أفعل التفضيل) يكون كما هو معلوم على ثلاثة وجوه : إما مجرداً من أل والإضافة متلواً بمن داخلة على المفضل عليه ، أو مضافاً أو مقترناً بأل .

والمضاف إما أن يضاف إلى اسم نكرة أو إلى معرفة . نحو زيد أكرم رجل ، وزيد أكرم الرجال .

والمجرد من «أل» والإضافة والمضاف إلى نكرة يلزم الإفراد والتذكير نحو «زيد أشجع من عمرو ، وزيد أشجع رجل ، وهند أفضل من دعد ، وهند أفضل امرأة ، والزيدون أكرم من إخوتهم ، والزيدون أفضل رجال . والهندات أفضل من أخواتهن ، والهندات أفضل نساء » .

أما المضاف إلى المعرفة فذهب النحاة إلى أنه تجوز مطابقته للموصوف به ويجوز عدمها ، مستدلين على ذلك بنحو قوله تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) (١) ، وبنحو قول النبي صلى الله عليه وسلم (ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً .. الحديث . (٢)

(١) سورة الانعام ، الآية ١٢٣ .
(٢) يراجع شرح الاشموني ج ٣ ص ٤٩ — ٥٠ .

والحق أن الوصف في هذه المواضع لايراد به معنى التفضيل، وإنما يراد به الوصف في مرتبة عليا لاتقيدها المفاضلة بين موصوفين .

ولذلك كانت المطابقة بين الوصف وموصوفه ، مثلما يطابق النعت الحقيقي منعوتـه .

★ ★ ★

ذلك مدخل يراد بـه الإفضاء إلى الأسلوب القرآني في استعمال اسم التفضيل مما فات علماء العربية أن يتنبهوا له أو يلتفتوا إليه . ذلك بأنهم شغلوا بشكل اسم التفضيل، وطريقة صوغه،وشروط صياغته، وأحكام الإعراب فيه من حيث إعماله في المضمر وفي الظاهر ، أيعمل فيه ، ومتى يكون ذلك، واشتهرت عندهم المسألة المعروفة بمسألـة الكحل (٣) . شغلوا بكل ذلك عن استيفاء المواضع التي يستعمل فيها والمعاني التي يدل عليها ، حتى إنهم اقتصروا على أقرب تلك المعاني وأيسرها خطباً ، وهو الدلالة على زيادة الموصوف باسم التفضيل على الموصوف الذي يقع بعده،مضافاً إليه أو مجروراً بـ« من »في صفة تجمع بينهما .

ثم إنهم قرنوا اسم التفضيل بفعل التعجب في شروط صوغه لأنه يشابهه في الوزن من حيث الشكل ، دون أن يعنوا بالخلف في معنييهما والمراد بهما . وإن في نحو القرآن مايقف الباحث المتأمل على خصائص وضروب من التعبير الرفيع عن المعاني ، تسمو على ما قيّدت به قواعد النحو أساليب العربية .

فإن الذي يتتبع استعمال اسم التفضيل في الكتاب العزيز ويتأمل معانيه يخلص إلى ملاحظة أمور لم يحسن علماء العربية الالتفات إليها . ومن ذلك هـذه الأمور الثلاثـة :

(٣) ذلك في نحو قول القائل : ما رأيت رجلا أحسنَ في عينه الكحلُ منه في عين زيـد .
فيعمل في الظاهر اذا كان مسبوقاً بنفي ، ومفضلا على نفسه باعتبارين .

الأمر الأول هو ما يصح أن نسميه التفضيل المطلق ، وهو أسلوب شائع كثير الورود في آي الكتاب الكريم ، تردد في مايزيد على خمسين موضعاً منها .
وفيه يأتي اسم التفضيل دون أن تلحقه « من » والمفضل عليه ، ومجرداً من « أل » والإضافة ، فيلمح في هذا الأسلوب معنى الموازنة والمفاضلة بين موصوفين تارة أو بين صفتين تارة أخرى ، وذلك نحو قوله تعالى (قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) (٤) ؛ فمعنى التفضيل ههنا مطلق جُرّد فيه اسم التفضيل من كل مايقيّد معناه ، كالإضافة إلى اسم الجنس ، أو اقتران المفضل عليه بـ « من » ، أو اقتران اسم التفضيل بـ « أل » . ولكن معنى الموازنة والمفاضلة واضح في هذا الأسلوب يستنتج من سياق النص ، فهو يوازن بين ماطلب بنو إسرائيل وما وُهبوا ، ذلك قوله تعالى (وإذقلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربّك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) . ومثل ذلك قوله تعالى : (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)(٥). فـ « أحق » مراد به التفضيل المطلق ، وإن تكن الموازنة ههنا مقصودة مستفادة من سياق الموازنة بين خشيتهم البشر وخشيتهم الله تعالى .

وقد لايراد باسم التفضيل معنى الموازنة والمفاضلة ولا يلمح إليه ، وذلك كثير في آي الكتاب الحكيم . مثال ذلك قوله تعالى (ذلكم أزكى لكم وأطهر) (٦)
وقوله تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٧)
وقوله تعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) ((٨)

(٤) البقرة (٦١) .
(٥) التوبة الآية (١٣) .
(٦) البقرة الآية (٢٣٢) .
(٧) الانعام الآية (١٢٤) .
(٨) الاسراء الآية (٢٥) .

وقوله تعالى (وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (٩)

وقوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) (١٠)

وقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) (١١) .

ونحو ذلك مما لايصح أن تقدر فيه الموازنة ولا يُقصَد إليها ، بل كأن المقصود في هذا الأسلوب هو استيعاب الصفة واستغراقها في أعلى مراتبها وأسمى درجاتها .

ولا عبرة في هذا بما ذهب إليه بعض علماء العربية من تقدير « من ومجرورها في مثل هذه المواضع كابن مالك حيث يقول :

وأفعل التفضيل صله أبدا تقديراً او لفظاً بـ « من » إن جُرّدا

ذلك بأن الموصوف بـ أفعل التفضيل مما لايصح أن يوازن به غيره أو يقرن به موصوف أياً كان . مثال ذلك قولنا « الله أكبر » ، فإن معنى المفاضلة فيه غير مراد على الإطلاق .

الأمر الثاني : إن من أساليب التفضيل في آي القرآن المجيد الموازنة بأسلوب لم يذكره النحاة ولم يتعرضوا له ، وهو الموازنة بهمزة الاستفهام التي تعادل بـ « أم » ؛ و بـ (أي) سواء بقيتا على معنى الاستفهام أو خرجتا إلى أسلوب الخبر . وذلك نحو قوله تعالى (أفمن أسَّسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسّس بنيانه على شفا جرف هار . . . الآية) (١٢)

ونحو قوله تعالى (قل أأنتم أعلم أم الله) (١٣)

وقوله تعالى (ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً) (١٤)

وقوله تعالى (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً)

---

(٩) النحل الآية (١٢٥) . (١٠) الاسراء الآية (٥٣) .
(١١) فصلت الآية (٢٤) . (١٢) التوبة الآية (١٠٩) .
(١٣) البقرة الآية (١٤٠) . (١٤) الكهف الآية (١٢) .

الأمــر الثالث : ان النحاة اشترطوا لصوغ اسم التفضيل شروطـاً في الفعل الذي يصاغ منه ، وقد مرّ ذكرها في أول الكلام . فإن منع من صوغه مانع جيء بنحو « أشد وأكثر » ونحوهما متبوعة بالمصدر الذي يراد اشتقاق اسم التفضيل منه منصوباً على التمييز ،نحو قولنا « زيد أكثر إكراماً لضيفه » ، و« عمرو أشد بياضاً منه » ،و« أقبح عرجاً » ، و« أسرع انطلاقاً » ، ونحو ذلك .

ولكن اسلوب التفضيل في آي القرآن الكريم لايقتصر في استعمال هذه الألفاظ وأمثالها حيث يتعذر اشتقاق أفعل التفضيل ، ولكنها يؤتى بها للدلالة على المفاضلة في معناها ، وإن يكن صوغ أفعل من أفعالها ممكناً . من ذلك قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدقسوة) (١٥)

وقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حباً لله) (١٦)

وقوله تعالى (لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله) (١٧)

وقوله تعالى(آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً) (١٨) . وقد ورد هذا في الكتاب العزيز في نيف وعشرين موضعاً .

وكل هذه المواضع مما يجوز – لو أجاز المعنى المراد – أن يصاغ منها أفعل للتفضيل ، فيقال : أقسى . وأحب ، وأرهب ، وأنفع . وقد جيء به فعلاً في قوله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ...الآية) (١٩)

إن بين المعنيين فرقاً لاشك فيه . ولكن قواعد النحو انصرفت عنه لضعف عنايتها بجانب المعنى . وشدة التزامها بما يحكم به الإعراب وقواعد الصرف .

أما اتباع أسلوب الكتاب العزيز فهو الذي يهدي إلى الدقة في أداء المعاني على أفضل الوجوه ، مثلما يهدي إلى الحق في كل مجال من مجالات الحيـاة .

---

(١٥) البقرة الآية (٧٤) .
(١٦) البقرة الآية (١٦٥) .
(١٧) الحشر الآية (١٣) .
(١٨) النساء الآية (١١) .
(١٩) التوبة الآية (٢٤) .

يَزيدُ بن المهلَّب بن أبي صُفرة الأزديّ

فاتح شطر ما وراء النهر وشطر خراسان وشطر طبرستان

اللواء الركن محمود شيت خطاب
(عضو المجمع)

(٢)

دوره في الادارة

١ – في السلطة :

كان يزيد يحارب تحت لواء أبيه المهلّب الخوارجَ في كَرْمان سنة سبع وسبعين الهجرية (٦٩٦ م) ، فاستدعى الحجّاجُ المهلّبَ وأمره أن يوليَ كَرمان مَنْ يثق به ويجعل فيها مَن يحميها ويقدِم إليه .

واستعمل المهلّب على كَرْمان يزيدَ ابنه ، ثم سار إلى الحجّاج ، فلما قدم عليه أكرمه وأجلسه إلى جانبه وقال : « يا أهل العراق ! أنتم عبيد المهلّب ، ثم قال : أنت » كما قالَ لَقيْط بن يَعْمرَ الايادي في صفة أُمراء الجيوش :

وقلِّدوا أمرَكُم لله دَرُّكُمُ
رَحبَ الذِّراع بأمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلعَا

لامُتْرَفاً إنْ رَخَاءُ العيش ساعده
ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَشَعَا

مُسَهَّدُ النّوم تُعْنيه ثغورُكُمُ
يرومُ مِنْها إلى الأعداء مُطّلَعا

ما انفكّ يحابُ هذا الدّهرَ اشطرَهُ
يكونُ متبعاً طوراً ومتّبعَا

وليس يَشغلــهُ مــالٌ يثمّرُهُ
عنكم ولا وَلَدٌ يبغى له الرِّفعَا
حتى استمرّت على شَزْرٍ مَريرَتُه
مستحكم السنّ لا قحماً ولا ضرَعا (١)

ولا نعلم بالضبط كم بقي يزيد على كَرْمان ، ولكن أباه تولى خُراسان سنة ثمان وسبعين الهجريّة (٦٩٧ م) ، فالتحق بأبيه ، وشهد تحت رايته معارك في الفتح .

وفي سنة اثنتين وثمانين الهجريّة (٧٠١م) توفي المُغيْرة بن المهلّب الذي كان قد استخلفه أبوه على خُراسان ، فدعا المهلّبُ ابنه يزيد ووجّهه الى (مَرْو) خلفاً للمغيرة ، وكان يزيد يقاتل مع أبيه في بلاد ما وراء النهر ، فعاد يزيد الى (مَرْو) وكيلاً لأبيه على خراسان (٢) .

ولكنّ المهلّب تُوفي في هذه السنة ، فكتب يزيد إلى الحجّاج يُعلمه بوفاة المهلّب ، فأقرّ الحجّاجُ يزيدَ على خُراسان (٣) .

وبقي يزيد على خُراسان حتى سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤ م) حيث عزله الحجّاج وولّى مكانه أخاه المفضّل بن المهلّب ، بعد أن أمضى على خُراسان أربع سنوات تقريباً . قضى أكثرها غازياً في الجبال والوديان والسهول والفلوات . ولم يقض إلاّ وقتاً محدوداً في (مَرْو) عاصمة خُراسان .

وقد ذكر المؤرخون عدّة أسباب لعزله . نذكرها مجملةً لنعرف السبب الحقيقي لهذا العزل .

---

(١) ابن الاثير (٤/٤٤١) .
(٢) ابن الاثير (٤/٤٧٢ — ٤٧٣) .
(٣) الطبري (٦/٣٥٥) وابن الاثير (٤/٤٧٦) ، وانظر طبقات ابن سعد (٧/١٣٠)

وكان سبب عزل الحجّاج يزيد بن المهلّب عن خُراسان ، أنّ الحجّاج وفد إلى عبد الملك بن مروان ، فمرّ في طريقه براهب ، فقيل له : إنّ عنده علماً . ودعا الحجّاج بالرّاهب ، وسأله عدّة أسئلة ثم سأله : « أتعلمُ مَنْ يلي بعدي ؟ » ، قال : « نعم ! رجل يقال لـه يزيد » ، فقال : « أفتعرف صفته ؟ » قال : « يغدر غُدْرَةً ، لاأعرف غير هذا ! »

وسار الحجّاج وهو وَجِلٌ من قول الراهب ، فلما عاد كتب إلى عبد الملك يذمّ يزيد وآل المهلّب ، ويخبره أنهم زُبَيْرِيّة (٤) ، فكتب إليه عبد الملك : « إني لا أرى طاعتهم لآل الزُّبير نقصاً بآل المهلّب ، وفاؤهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لـه » .

وعاد الحجّاج ليكتب إلى عبد الملك من جديد ، يخوّفه غدر يزيد وبما قال الرّاهب ، فكتب عبد الملك إليه : « إنّك قد أكثرتَ في يزيد وآل المهلّب ، فسَمِّ لي رجلاً يصلح لخراسان ، فسمّى : قُتَيْبَةَ بن مُسْلِم ، فوافق عبد الملك على تولية قُتَيْبَةَ » . (٥)

وقيل : إنّ سبب عزله أنّ الحجّاج سأل أحد فرسان المهلّب (٦) ، وكان مع يزيد ؛ فقال له الحجّاج : « أخبره عن يزيد » ، فقال : « حَسَنُ الطّاعة ، ليّن السيرة » ، قال : « كذبْتَ » أصدقني عنه » ، قال : «الله أجَلُّ وأعظم ، قد أسرج ولم يُلْجِم » ، يريد أنه أكمل استعداداته للانتقاض على الحجّاج ، قال : « صَدَقْتَ » (٧) .

---

(٤) يريد انهم موالون لآل الزبير بن العوّام رضي الله عنه .

(٥) الطبري (٦/٣٩٣ ـ ٣٩٤ / ، وابن الأثير (٥٠٢/٥ ـ ٥٠٣) .

(٦) هو الخيار بن أبي سَبْرَة بن ذؤيب بن عَرْفَجَة بن سفيان بن مجاشع .

(٧) الطبري (٦/٣٩٥) .

وقيل : إنّ سبب عزله أنّ الحجّاج كتبَ إلى يزيد : « إغزُ خُوارِزْم » ، فكتب : « إنها قليلة السَّلَب ، شديدة الكَلَب » ، فكتب إليه الحجّاج : « استخْلِف واقدمْ » ، فكتب يزيد : « إني أريد أن أغزو خُوارزم » ، فكتب الحجّاج : « لا تغزُها فانها كما ذكرت » ، فغزا يزيد ولم يطعْه ، فصالحه أهلها وأصاب سبياً . وقفل في الشتاء ، وأصاب الناس بردٌ (٨) .

وقيل : إنّ الحجّاج استقدم يزيد من خُراسان إلى العراق ، فتباطأ في العودة ، فكتب الحجّاج إلى أخيه المفضّل : « إني قد وليتك خُراسان » فجعل المفضّل يستحثّ يزيد ، فقال له يزيد : « إنّ الحجّاج لايُقرُّك بعدي وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه ، وستعلم » (٩) .

وقيل : إنّ الحجّاج لم يكن له حين فَرَغ من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث هَمٌّ إلاّ يزيد بن المهلّب وأهل بيته ، وقد كان الحجّاج أذلّ أهل العراق كلّهم إلاّ يزيد وأهل بيته ومَنْ معهم من أهل المِصْرَين : البصرة والكوفة — بخراسان ، ولم يكن يتخوّف بعد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالعراق غير يزيد بن المهلّب — فأخذ الحجّاج في مواربة يزيد ليستخرجه من خُراسان ، فكان يبعث إليه ليأتيه ، فيعتلّ عليه بالعدو وحرْب خُراسان (١٠)

وقد ذكرنا أن الحجّاج كان يأخذ على يزيد تحيزه لقومه على حساب قوم الحجّاج ، أي يتحيز للقحطانيين على حساب العدنانيين ، أو أهل اليمن على قيس . حتى قال عبد الله بن عامر قبيل تنفيذ حكم الاعدام به بوقت قصير : « لارأت عيناكَ ياحجّاج الجنّة إن أقلْتَ ابن المهلّب بما صَنَع » ، قال : « وما صَنَع ؟ » ، قال :

---

(٨) الطبري (٣٩٦/٦) وابن الأثير (٥٠٤/٤ — ٥٠٥) .
(٩) (٣٩٥/٦ وابن الأثير (٥٠٣/٤) .
(١٠) الطبري (٣٩٦/٦ — ٣٩٧) .

لأنه كاسَ في إطْلاقِ اسْرَتــه
وقادَ نَحوَك في أغْلالِها مُضَرا
وَقَى بقومِــكَ وردَ الموتِ أُسْرَتَهُ
وكان قومُكَ أدنى عنــدَه نَظَرا

فأطرق الحجّاج مَلِيّاً ووقرت في قلبه ، وقال : « وما أنتَ وذاك ! اضرب عنقه » فضربت عنقَه . ولم تزل في نفس الحجّاج حتى عزل يزيد عن خُراسان وحَبَسَه (١١) .

تلك هي مجمل الأسباب التي ذكرها المؤرخون في عزل الحجّاج ليزيد : سبب خرافي يرتكز على الرّجم بالغيب الذي هو في علم الله لا في علم البشر ، وخوف الحجّاج من تمرّد يزيد عليه وعلى الدولة يستند على ماحققه يزيد من نجاح إدارياً وقائدا ، وثقة يزيد العالية بنفسه فيرى أنه ند للحجّاج وليس آلة من آلاته يحركها حين يشاء كيف يشاء ، ورغبة الحجّاج في إذلال الناس كافة ويزيد لايمكن أن يذلّ لأحد لماضيه التليد وقابلياته المتميّزة وإنتاجه الجديد ، وتحيّز يزيد لقومه ، وليس وحده يتحيز لليمانيين قومه فجميع القادة والأمراء تقريباً يعتمدون على قبائلهم ويتحيزون لها ومنهم الحجّاج الذي يتحيز لمُضرَ كافة ، والتّحيّز للقبيلة دعوة جاهلية حاربها الاسلام ، فخبت حيناً ثم اندلعت بعد حين .

ولم تكن من تلك الأسباب عدم كفاية يزيد أو إخفاقه في مهمته إدارياً وقائدا ، فانّ أعماله في خُراسان مشهودة ، كما كان الناس يحبونه حبّاً جمّاً ، فلما سار إلى الحجّاج مُتَخَلِياً عن ولاية خُراسان ، كان لايمرّ ببلد إلاّ فرش أهله الرياحين (١٢) تكريماً ليزيد وتقديراً لخدماته وإظهاراً لحبه

(١١) الطبري (٣٨٠/٦) وابن الاثير (٤٨٨/٤) .
(١٢) الطبري (٣٩٦/٦) وابن الاثير (٥٠٥/٤) .

وتقديرهم له . في وقت كان فيه قد تخلّى على السلطة أو تخلّت عنه ، والناس أو أكثرهم مع (الواقف) صاحب السلطة لا مع الذي انحسرت عنه الأضواء .

واعتقد أنّ الحجّاج عزل يزيد عن خُرسان لهذه الأسباب مجتمعة ، بما فيها السبب الخرافي ، فقد كان الحجّاج من الرجال الذين يصدّقون مثل هذه الخرافات ، كما كان يصدّقها كثير من أنداده الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده إلى اليوم (١٣) ، وسيبقى غيره من عظماء الأمم يصدقونها غدا .

فقد نزل الحجّاج في حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (دير قُرَّة) (١٤) ، ونزل ابن الأشعث (دير الجَماجِم) (١٥) ، فكان الحجّاج يقول : « أما كان عبد الرحمن يزْجُر الطير حيث رآني نزلتُ (ديرَ قُرَّة) ونزل (دير الجماجم) (١٦) ! !

والأمثلة على تصديق الحجّاج للخرافات كثيرة ، وهو ليس وحده من بين العظماء الذين يصدّقون بالخرافات ، فأمثاله كثير قديماً وحديثاً .

وقد كان الحجّاج من الذين يتّسمون بالمركزيّة المفرطة إلى أبعد الحدود ، فكان يحب أن يأمر فيُطاع سواء كان أمره حقاً أو باطلا ، ولا يقبل أبداً أن يُعصى أمرُه أو يُناقش أو لايُنفّذ فوراً . فراجَ في وقته – وبخاصة في أيام السّلام – ، الولاة المتّبعون . وانحسر في وقته الولاة المتبوعون ،

---

(١٣) في مذكرات ونستن تشرشل . أنه كان في ايام الحرب العالمية الثانية اذا نزل القاهرة . استدعى احدهم (الأسيوطي) ليسأله عما سيكون في المستقبل . بالنسبة له شخصيا وبالنسبة لأحداث الحرب !!

(١٤) دير قرة : دير بازاء دير الجماجم . وهو ملاصق لطرف البر ، ودير الجماجم مما يلي الكوفة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٢/٤) .

(١٥) دير الجماجم : دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ، على طرف البر السالك الى البصرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣١/٤ – ١٣٢) .

(١٦) الطبري (٣٤٧/٦) وابن الاثير (٤٦٩/٤) .

وكان يزيد من القادة المبتدعين الذين لهم رأيهم الخاص ومن الذين يستطيعون عند الحاجة أن يقول لمن يعمل بامرتهم « لا ! » .

وكان كلّ ذنب يزيد ، أنه ذو شخصية قويّة نافذة ، وكان رجلاً وكفى ، والحجّاج يفضِّل أصحاب الشخصيات الهزيلة وأشباه الرجال ، وكان الخاسر الوحيد في عزل يزيد هي خُراسان ومَن كان يعيش في خُراسان من الناس ، والمصلحة العامة للمسلمين خاصة على كلّ حال !

وقبل أن يغادر يزيد خُراسان ، استشار حُضَيْنَ بن المُنْذِر الرَّقاشِيّ فقال له : « أَقِمْ واعْتَلْ واكتب إلى أمير المؤمنين ليُقِرَّكَ ، فانه حسن الحال فيك » قال : « نحن أهل بيتٍ قد بورك لنا في الطّاعة ، وأنا أكره الخِلاف » .

وقال يزيد لأهل بيته لمّا بلغه عزلُه : « مَنْ تَرَوْنَه الحجّاج يوّلي خُراسان ؟ » ، قالوا : رجلاً من ثَقِيْف . قال : « كلا ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهده ، فاذا قدمت عليه عزله ووّلى رجلاً من قَيْس ، وأَخْلِقْ بقُتَيْبَة بن مُسْلِم » (١٧) .

وأخذ يتجهز ، ثم عاد إلى الحجّاج ، فحبسه سنة ست وثمانين الهجرية (١٨) (٧٠٥ م) ، فلم يخسر منصبه الرفيع حسب ، بل دخل السجن ضريبة لكفايته المتميِّزة وشخصيته القوية واعتداده برأيه وصونه لكرامته .

ب . في السِّجن :

قضى يزيد من سنة ست وثمانين الهجرية إلى سنة تسعين الهجرية (٧٠٧م) في سجن الحجّاج .

وحبسه الحجّاج ، لأنّ الناس قد فُتِنوا به ، فخشي الحجّاج أن

---

(١٧) ابن الأثير (٥٠٣/٤) .
(١٨) الطبري (٤٢٦/٦ وابن الأثير (٥٢٤/٤) .

يقودهم إلى الفتنة ، فيزعزع أركان الحجّاج والدولة .

ولو اقتصر الأمر على خوف الحجّاج من شعبية يزيد الطاغية التي تحفّزه على الثورة ضدّ الدولة ، لاقتصر الحجّاج على حبسه ، ولكن الحجّاج حبس يزيد وعذبه ، وسبب تعذيبه هو مطالبته بأموال المسلمين التي استأثر بها لنفسه وآل بيته وأصحابه وأعوانه ومَنْ يلوذ به دون سائر المسلمين . فقد أغرمه الحجّاج ستة آلاف الف درهم (١٩) ، فلما لم يدفع غرامته ، أمر الحجّاج بتعذيبه ليؤدي الذي عليه جبراً ، بعد أن امتنع عن أداء الذي عليه مختارا .

وكان يزيد يصبر صبراً حسناً على العذاب ، وكان ذلك مما يغيظ الحجّاج منه (٢٠) ، لذى كان يأخذ يزيد بسوء العذاب . وسأل الحجّاج يوماً أن يخفّف عنه العذاب على أن يدفع له كل يوم مئة الف درهم ، فان أدّاها وإلاّ عذّبه إلى الليل . وجمع يوماً مئة ألف درهم يشتري بها عذابه في يومه ، فدخل عليه الأخطل الشاعر ، فقال : (٢١)

أبا خالدٍ بادَتْ خُراسانُ بَعْدَكُمْ
وصاحَ ذوو الحاجات أين يزيد ؟
فلا مَطَرَ المَرْوانِ بَعْدَكَ مطْرَةً
ولا اخْضَرَّ بالمَرْوَين بَعْدَكَ عودُ (٢٢)
فما لسَرِيْرِ المُلْكِ بَعْدَكَ بَهْجَةٌ
ولا لجواد بعد جودك جود

(١٩) الطبري (٤٤٨/٦) وابن الأثير (٥٤٥/٤ ووفيات الأعيان (٣٣٤/٥) .
(٢٠) الطبري (٤٤٨/٦) وابن الأثير (٥٤٥/٤) .
(٢١) ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخه . والمشهور ان صاحب هذه الواقعة وهذه الأبيات هو الفرزدق ، وهذه الأبيات في ديوان زياد الأعجم ، انظر وفيات الأعيان (٣٢٣/٥) .
(٢٢) المروان والمروين : مرو الروذ ومرو الشاهجان ، تثنية مرو .

فأعطاه يزيد مئة الألف ، فبلغ ذلك الحجّاج ، فدعا به ، وقال : « يامَرْوزى !(٢٣) أفيك هذا الكرم وأنت بهذه الحالة ؟ ! قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده » (٢٤) .

ودخل على يزيد الفرزدقُ في الحبس فقال :

أصبَحَ في قيدِكَ السَّماحَةُ والجو دُ وحَمْلُ الدِّياتِ والافْضَال

فقال يزيد : « أتمدحني وأنا على هذه الحال ؟ ! » ، قال : « أصبتُكَ رخيصاً فاشتريتك » (٢٥) .

ومضت السّنون عجافاً ثقيلة طويلة الأيام ، حتى جاءت سنة تسعين الهجريّة ، ويزيد وقسم من اخوته في سجن الحجّاج ، يثقلهم القيد ويلهبهم التعذيب .

وخرج الحجّاج إلى (رُسْتَقاباذ) (٢٦) في حملة تأديبية للأكراد الذين غلبوا على إقليم (فارس) ، وخرج معه يزيد وإخوته عبد الملك والمُفضَّل في عسكره لامقاتلين بل مسجونين ، ومن الواضح أنّ إخراج أبناء المهلّب المسجونين هو لخوف الحجّاج من فرارهم من السّجن ، فأراد أن يكونوا معه في الحملة ليُشرف على حراستهم شخصياً ويحول دون فرارهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

---

(٢٣) مروزى : نسبة الى مدينة مرو حاضرة خراسان .

(٢٤) وفيات الأعيان (٣٢٣/٥) .

(٢٥) ديوان الفرزدق (٣١٤/٢) والشعر والشعراء (٣٥٠/١) ، وورد البيت في عيون الأخبار (٨٢/١) :
أصبَح في قيدك السماحةُ والجو د وحملُ لمضلع الأثقال

(٢٦) رستقاباذ : موقع من أرض (دَسْتوا) ، وجاءت في معجم البلدان (٢٤٩/٤) : رُسْتَقباذ ، ودستوا : بلدة بفارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٩/٤ — ٦٠) .

وجعل الحجّاج على يزيد وأخويه كهيئة الخندق ، وجعلهم في فُسطاط قريب منه ، ليشدّد عليهم رقابته الصّارمة ، وأخذ يعذبهم ويزيد صابراً محتسبا ، فقيل للحجّاج : إنّ يزيد رُمي بساقه بنشابة فثبت نصلُها فيه فهو لايمسّها إلاّ صاح ، فأمر الحجّاج أن يُعذّب في ساقه ، فلما فعلوا به ذلك صاح ، وأختهُ هند بنت المهلّب عند الحجّاج ، فلما سمعت صوته صاحت وناحت ، فطلّقها الحجّاج ! !

ثمّ إنّ الحجّاج كفّ عن تعذيب يزيد وإخوته ، وأقبل يستأديهم المال الذي بذمّتهم ، وهم يعملون في التخلّص من سجنهم ، فبعثوا إلى مَرْوان ابن المهلّب وهو بالبَصْرَة ، يأمرونه أن يُضمّر لهم الخيل ، ويُري الناسَ أنه إنما يريد بَيْعَها ، ويَعْرِضها على البيع ويُغْلي بها لئلا تُشْتَرى ، لتكون عُدّةً إن هم قدروا على النجاة بأنفسهم من السِّجن ، ففعل ذلك مَرْوان ، وكان حَبِيْب بالبصرة يُعذّب أيضا .

وأمر يزيد أن يُصنع للحرس طعام كثير ، وأمر لهم بَشراب ، فأكلوا وسُقوا ، فكانوا متشاغلين بـه .

ولبس يزيد ثياب طبّاخه ، ووضع على لحيته لحيةً بيضاء ، وخرج فرآه بعض الحرس فقال : « كأنّ هذه مِشْيَة يزيد ! » وجاء الحارس حتى استعرض وجهَه ليلاً . فرأى بياض اللّحية ، فانصرف عنه قائلا : « هذا شيخ ! » .

وخرج المُفضّل على أثره ، فلم يفطَن لـه .

وجاءوا إلى سفنهم ، وقد هيّأوها في (البَطائح) (٢٧) ، وبينهم وبين

---

(٢٧) البطائح : ارض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديماً قرى متصلة وارضاً عامرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١٥/٢) و (٢٢٢/٢ – ٢٢٣) .

البصرة ثمانية عشر فَرْسخاً ، فلما انتهوا إلى السُّفن أبطأ عليهم عبد الملك وشُغِلَ عنهم ، فقال يزيد للمفضَّل : « اركبْ بنا فانه لاحق » ، فقال المفضّل وعبد الملك أخوه لأمه — وهي بَهْلة ، هنديّة : « لا والله ، لا أبرح حتى يجيىء ولو رجعتُ إلى السِّجن » .

وأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك بن المهلّب ، فركبوا عند ذلك السُّفن ، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا . ولما أصبح الحرسُ علموا بهرب يزيد وأخويه ، فرُفع ذلك إلى الحجّاج .

وقال الفرزدق في هرب يزيد ومَنْ معه (٢٨) :

فلم أرَ كالرَّهْطِ الذين تتابعوا
على الجِذْعِ والحراس غيرُ نيامِ
مَضَوا وهُمْ مُسْتَيْقِنون بأنّهم
إلى قَدَرٍ آجالُهُمْ وحِمامِ
وإنْ منهمُ (٢٩) إلاّ يُسَكِّن جأشهُ
بِعَضْبٍ صَقِيْلٍ صارمٍ وحُسامِ
فلما التقَوْا لم يلتَقوا بمنفَّهٍ (٣٠)
كبيرٍ ولا رَخْص العظام غلامِ
بمثلِ أبيهم حين تمّت لِداتُهُمْ
لخمسين قُلْ في جُرْأةٍ وتمامِ .

وفزع الحجّاج فزعاً عظيماً لهرب يزيد وصحبه من سجنه ، وهو الذي بالغ كثيراً في حراستهم ، وذهب وهمه أنهم ذهبوا قِبَل خُراسان ،

(٢٨) ديوان الفرزدق (٨١٦ — ٨١٧) .
(٢٩) في ديوان الفرزدق : وما منهم .
(٣٠) منفته : الضعيف من العلة .

فبعث البريد إلى قُتَيْبَة بن مُسْلِم يحذّره قدومَهم ويأمره أن يستعدّ لهم ، وبعث إلى الوليد بن عبد الملك كتاباً يخبره فيه بهربهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكُوَر أن يرصدوهم ويستعدّوا لهم .

ولما دنا يزيد من (البطائح) من (مَوْقوع) (٣١) استقبلته الخيل قد هُيِّئَتْ له ولاخوته ، فخرجوا عليها ومعهم دليل من بني كَلْب ، فأخذ بهم على (السَّمَاوَة) (٣٢) .

وجاء مَنْ يُخبر الحجّاج بعد يومين من هرب يزيد بأنّه أخذ طريق الشام على طريق السَّمَاوة ، فبعث إلى الوليد بن عبد الملك يُعْلِمُه .

ومضى يزيد حتى قدِم فِلَسْطِين ، فنزل على وُهَيْب بن عبد الرحمن الأَزْدِيّ وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك الذي كان يومئذ ولياً للعهد وأنزل بعض ثَقَله وأهله على سُفيان بن سليمان الأَزْدِيّ .

وجاء وُهَيْب بن عبد الرحمن الأَزْدِي حتى دخل على سليمان بن عبد الملك ، فقال : « هذا يزيد بن المهلّب وإخوته في منزلي ، وقد أتوك هُرّاباً من الحجّاج مُتَعَوِّذين بك » . قال : « فائتني بهم ، فهم آمِنون لا يُوْصَل إليهم أبداً وأنا حيّ ! » فجاء بهم حتى أدخلَهم عليه ، فكانوا في مكان آمن .

وكتب الحجّاج إلى الوليد بن عبد الملك : « إنّ آل المهلّب خانوا أمان الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان » .

وكان الوليد قد حذرهم وظنّ أنهم يأون خُراسان للفتنة بها ، فلما علم أنهم عند أخيه سليمان سكنَ بعض ما به وطار غضباً للمال الذي ذَهَبوا به .

وكتب سليمان إلى الوليد : « إن يزيد بن المهلّب عندي وقد آمنته ، وإنما

---

(٣١) موقوع : ماء بناحية البصرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٠٠) .
(٣٢) السَّمَاوة : ماء بالبادية ، وبادية السماوة هي البادية التي بين الكوفة والشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٢٠) .

عليه ثلاثة آلاف ألف ، كان الحجّاج أغرَمَهم ستة آلاف ألف ، فأدّوا ثلاثة آلاف ألف ، وبقي ثلاثة آلاف ألف ، منهن عليّ » .

فكتب الوليد إلى سليمان : « لا والله ، لا أُؤمّنه حتى تبعث به إليّ » ، فكتب إليه : « لئن أنا بعثتُ به إليك لأجيئنّ معه ، فأنشدُك الله أن تفضحني ولا أن تُخفرني » ، فكتب اليه : « والله لئن جئتني لا أُؤمّنه » .

وقال يزيد حين رأى تصاعد حدّة الرسائل والخلاف بين الوليد وسليمان : « ارسلني إليه فوالله ما أُحبُّ أن أُوقع بينه وبينك عداوةً ولا أن يتشاءم الناس بي لكما ، واكتب بألطف ما قدرتَ عليه » .

وكتب سليمان إلى الوليد : « لعبد الله الوليد أمير المؤمنين ، من سليمان ابن عبد الملك ، أما بَعْدُ يا أميرَ المؤمنين ! فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدوٌّ قد نابَذكَ وجاهَدكَ فأنزلتهُ وأجرْتهُ أنك لاتُذلّ جاري ، ولا تُخْفِر جواري ، بَلْه لم أُجِرْ إلاّ سامعاً مطيعاً حَسَنَ البلاء والاثر في الاسلام هو وأبوه وأهل بيته ؛ وقد بعثت به إليك ، فان كنتَ إنما تَغْزو قطيعتي والاخفار لذمّتي ، والابلاغ في مساءتي ، فقد قدرتَ إن أنتَ فعلت . أعيذُك بالله من احتراد (٣٣) قطيعتي ، وانتهاكِ حُرْمتي وتركِ برّي وصلتي ، فوالله يا أميرَ المؤمنين ما تَدْري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يُفَرّق الموتُ بيني وبينَك ! فان استطاع أميرُ المؤمنين أدام اللهُ سرورَه ألاّ يأتي علينا أجل الوفاة الاّ وهو لي وصل ، ولحقّي مُؤدٍ ، وعن مساءتي نازع . فليَفعَلْ ! والله يا أميرَ المؤمنين ، ما أصبحتُ بشيءٍ من أمر الدنيا بعد تَقْوَى الله فيها بأَسَرّ مني برضاك وسرورك ، وإنَّ رضاكَ مما ألتمسُ به رضوانَ الله ، فانْ كنتَ يا أميرَ المؤمنين تريد يوماً من الدّهر مَسرّتي

(٣٣) الاحتراد : من الحرد ، وهو القصد ، وفي وفيات الأعيان (٣٣٦/٥) : اختيار .

وصِلَتي وكَرامَتي وإعظامَ حقّي فتجاوز لي عن يزيد ، وكل ما طلَبْته به فهو عليَّ » .

وأرسل سليمانُ يزيدَ إلى الوليد ، وأرسل معه ابنَه أيوّب ، وكان الوليد قد أمره أن يبعث به مُقَيَّدًا ، فقال سليمان لابنه : « إذا دخلتَ على أمير المؤمنين ، فادخلْ أنت ويزيد في سلسلة » ، ففعل ذلك .

ولما رأى الوليد ابنَ أخيه في سلسلة قال : « لقد بلغنا من سليمان » .

ودفع أيوّب كتاب أبيه إلى عمّه وقال له : « يا أمير المؤمنين ! نفسي فداؤك ، لا تُخْفر ذِمّة أبي ، وأنت أحقّ مَنْ مَنَعَها ، ولا تقطع منا رجاءَ مَن رجا السّلامة في جوارنا لمكاننا منكَ ، ولا تُذِلّ مَنْ رجا العزّ في الانقطاع إلينا لعزنا بك » .

فلما قرأ الوليد كتاب سلمان قال : « شققنا على سليمان » .

وتكلم يزيد ، فحَمِد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ثم قال : « يا أمير المؤمنين ! إنّ بلاءكم عندنا أحسنُ البَلاء ، فمن يَنْسَ ذلك فلَسنا ناسيه ، ومَنْ يَكفُر فلَسنا كافريه . وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطّعن في أعين أعدائكم في المواطِن العظام في المَشارق والمغارب ما إنّ المِنّة علينا فيها عظيمة » . فقال الوليد ليزيد : « اجْلس . . . فجلس . فآمَنَهُ . فرجع يزيد إلى سليمان .

وكتب الوليد إلى الحجّاج : « إني لم أصِل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان ، فاكفُفْ عنهم » فكفّ الحجّاج عنهم .

وكان أبو عُيَيْنَة بن المهلّب عند الحجّاج عليه ألف ألف ، فتركها وكفّ عن حبيب بن المهلّب .

وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان يهدي له الهدايا ويصنع له الأطعمة ، وكان لا يأتي يزيد هديّةٌ إلا بعث بها إلى سليمان . ولا يأتي سليمانَ هديّةٌ إلاّ

بعث بنصفها إلى يزيد ، وكان لا تعجبه جارية إلاّ بعث بها إلى يزيد (٣٤) .

إن قصة هرب يزيد وإخوته من سجن الحجّاج ، ملحمة من الملاحم التي إن دلّت على شيءٍ ، فانما تدلّ على شجاعته الفائقة وتغلغل روح المغامرة فيه ، إذ ليس من السهل على أي إنسان أن يهرب من سجن الحجّاج ، لأنّ عقوبته التي لايتردد الحجّاج في تنفيذها لحظة واحدة هي الاعدام ، فكيف إذا كان هذا الانسان يزيد بن المهلّب الذي يخافه الحجّاج ويحاذر انتقاضه ، مما جعل الحجّاج يبالغ أشدّ المبالغة في تشديد الحراسة على يزيد في سجنه واختيار الحرّاس الموثوق بهم لحراسته ، ونقل يزيد من سجنه إلى حيث يسير الحجّاج في السِّلم والحرب ليبقى تحت إشرافه المباشر ، ومع كلٍّ هذه الحيطة وهذا الحذر . هرب يزيد غير مكترث بالعواقب ولا هيّاب لنتائج الهرب ، مع علمه بعواقب عمله ونتائجه دون شك .

لقد كان شجاعاً حقاً ، جريئاً في شجاعته ، مغامراً في جُرأته ، لايخاف أحداً ولا يخشى شيئاً ، غير خالق الناس والاشياء .

وهذه الملحمة قصّة واقعية تمثّل كثيراً من المزايا العربية العريقة : الشجاعة ، والاقدام ، والجرأة ، وحب المغامرة ، واجتياز الصحراء الشاسعة ، والوفاء ، والدفاع عن المستجير ، وتقاليد الجار ، والكرم والجود ، والمروءة .

جـ — في السلْطة ثانية :

مات الحجّاج بن يوسف الثّقفي في سنة خمس وتسعين الهجريّة (٣٥) (٧١٣ م) ، ومات الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ست وتسعين الهجرية (٣٦) (٧١٤ م) ، فتولى الخلافة سليمان بن عبد الملك بعد وفاة أخيه الوليد ،

---

(٣٤) أنظر التفاصيل في الطبري (٦/٤٤٨ — ٤٥٣) وابن الاثير (٤/٥٤٥/٥٤٧) وانظر وفيات الأعيان (٥/٣٢٢) و (/٣٣١ — ٣٣٦) .
(٣٥) الطبري (٦/٤٩٢) وابن الأثير (٤/٥٨٣) والعبر (١/١١٢) .
(٣٦) الطبري (٦/٤٩٥) وابن الأثير (٥/٨ والعبر (١/١١٤) .

فأقبل الخير على يزيد بن المهلّب واليُسر ، وزال عنه الشرّ والعُسر ، إذ تولّى الخلافة صديقه الصّدوق الذي كان لايطيع في يزيد أحداً يريده بشر حتى ولو كان الخليفة المتوج بالذّات .

وبادر سليمان بن عبد الملك في هذه السنة إلى عزل يزيد بن أبي مُسْلم (٣٧) عن العراق ، واستعمل يزيد بن المهلب على العراق ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخَراج ، وأمره أن يقْتل آل أبي عَقيْل ويبسط عليهم العذاب ، فقدم صالحُ العراقَ على الخراج ويزيد على الحرب ، فبعث يزيد أخاه زياد ابن المهلّب على (عُمَان) ، وأمره أن يكاتبَ صالحاً وأن يبدأ باسمه ، فأخذ صالح آل أبي عَقيْل – وهم قوم الحجّاج – فكان يعذّبهم ، وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلّب (٣٨) .

وكان الوليد قد عزم على خلع أخيه سليمان عن ولاية العهد ، ويجعل وليّ عهده ولده عبد العزيز بن الوليد ، وتابعه على ذلك الحجّاج وقُتَيْبَة بن مُسْلم الباهليّ (٣٩) . لهذا انتقم منهما سليمان بعد توليه الخلافة .

وكان قتيبة قد خاف سليمان وخاف أن يولّي يزيد بن المهلّب خُراسان ، فكتب قتيبة إلى سليمان كتاباً يُهنّئه بالخلافة ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنّه له على مثل ذلك إنْ لم يعزله عن خُراسان ، وكتب إليه كتاباً آخر يُعْلمه فيه فتوحه ونكايته وعِظَمَ قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم وعِظَمَ صولته فيهم . ويذمّ آل المهلّب ويحلف بالله لئن استعمل يزيدَ على خُراسان ليخلعنّه . وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلعه ، وبعث الكتب الثلاثة مع رجلٍ من باهلة – قبيلة قتيبة – وقال له : « ادفع الكتاب الأوّل إليه ، فإن كان يزيد حاضراً فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد فادفعْ إليه هذا الثاني ،

(٣٧) انظر سيرته في وفيات الأعيان (٥/٣٥٣ – ٣٥٦ .
(٣٨) الطبري (٦/ ٥٠ وابن الأثير (٥/ ١١) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٣٨) .
(٣٩) الطبري (٦/ ٥٠٦ – ٥٠٧) وابن الأثير (٥/ ١٢) ووفيات الأعيان (٥/ ٣٣٨) .

فان قرأه ودفعه إلى يزيد فادفع إليه هذا الثالث ، فان قرأ الكتاب الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين الآخرَيْن » .

وقدم رسول قتيبة دمشق ، فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلّب ، فدفع إليه الكتابَ الأول ، فقرأه وألقاه إلى يزيد . ودفع إليه الكتاب الآخر ، فقرأه وألقاه إلى يزيد . وأعطاه الكتاب الثالث ، فقرأه فتغيّر لونه وختمه وأمسكه بيده (٤٠) .

وقد قُتل قتيبة بن مُسْلِم الباهلي بعد ذلك كما هو معروف .

وقبل أن يرحل يزيد من دمشق إلى العراق ، قدّر أنّ العراق قد أخربها الحجّاج ، وأنه رجاء أهل العراق يتوقّعون منه الخير الكثير ، وأنّه متى قدمها وأخذ الناس بالخَرَاج وعذّبهم عليه صار مثل الحجّاج يدخل على الناس الحرب والشقاء ، ويعيد عليهم تلك السجون والمعتقلات التي قد عافاهم الله منها ، ومتى لم يأت سليمان بمثل ماجاء به الحجّاج لايقبل منه ويحسبه مقصّراً في أداء واجباته الادارية .

ووجد يزيد مخرجاً لنفسه ، فتنفس الصّعداء !

وأتى سليمان فقال له : « أدلُّكَ على رجلٍ بصيرٍ بالخراج توليه إياه ، وهو صالح بن عبد الرحمن مولى بني تَميم » ، فقبل سليمان مشورة يزيد .

وأقبل يزيد إلى العراق ، وكان صالح قد قدِمَ العراق قبل قدوم يزيد ونزل مدينة (واسِط) . ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقّونه ، ولم يخرج صالح حتى قرب من المدينة ، فخرج إليه وبين يديه أربعمائة من أهل الشّام ، فلقى يزيد وسايره ، فلما دخل المدينة قال له صالح : « قد فرّغت لك هذه الدار » ؛

(٤٠) انظر التفاصيل في الطبري (٥٠٦/٦ ــ ٥٠٨) وابن الأثير (١٢/٥) ووفيات الأعيان (٣٣٨/٥) ، وانظر سيرة قتيبة بن مسلم الباهلي في كتابنا : قادة فتح بلاد ماوراء النهر .

فنزل يزيد ، ومضى صالح إلى منزله .

وضيّق صالحٌ على يزيد ، فلم يملّكه شيئاً ولم يمكّنه من شيء . واتّخذ يزيد ألف خوان يُطعم الناسَ عليها ، فأخذها صالح ، فقال يزيد : « اكتُبْ ثمنها عليّ » . واشترى يزيد متاعاً وكتب صكّاً بثمنه إلى صالح ، فلم يقبله صالح !

وضجر يزيد بالعراق ، وكان سليمان ولاه العراق ولم يولّه خُراسان ، وضيّق عليه صالح فلم يتّصل معه إلى شيء !

ودعا عبد الله بن الأهتم وقال له : « أنا فيما ترى من الضيّق ، وقد ضجرت منه ، وخُراسان شاغرة ، فهل من حيلة ؟ » .

واقترح ابن الأهتم على يزيد أن يسرّحه إلى أمير المؤمنين ليسعى في ضمّ خراسان إليه .

وسار ابن الأهتم إلى سليمان ، فأقنعه أن يضم خُراسان إلى يزيد ، فقال سليمان : « العراق أحبّ إليه من خُراسان » ، فقال ابن الأهتم : « قد علمتُ ، ولكن نُكرهه فيستخلف على العراق ويسير » .

وكتب سليمان عهد يزيد إلى خُراسان وسيّره مع ابن الأهتم ، فأتى يزيدَ ، فأمر بالجهاز للمسير ساعته ، وقدّم ابنه مَخْلَداً إلى خُراسان من يومه . ثم سار يزيد بعده ، واستخلف على واسط الجرّاح بن عبد الله الحكَميّ ، واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابيّ ، وجعل أخاه مَرْوان بن المهلّب على حوائجه وأموره بالبصرة ، وكان أوثق إخوته عنده ، واستخلف بالكوفة حَرْمَلة بن عُمَيْر اللَّخْميّ أشهراً ثمّ عزله ، وولّى بشير بن حيّان النَّهْدي .

وكانت قبائل قَيْسٌ تزعم أنّ قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهِليّ لم يخْلَع سليمان بن عبد الملك ، فلما سار يزيد إلى خُراسان أمره سليمان أن يسأل عن

قتيبة ، فان أقامت قيسٌ البيّنة أنّ قتيبة لم يخلع أن يقيّد وكيع بن حسّان ابن أبي سُود التّميميّ قاتل قتيبة بن مُسلم به .

ولما وصل مَخْلَد بن يزيد بن المهلّب (مَرْو) أخذ وكيعاً فحبسه وعذّبه وأخذ أصحابه وعذّبهم قبل قدوم أبيه ، وكانت ولاية وكيع خُراسان تسعة أشهر أو عشرة أشهر . ثم قدم يزيد بن المهلّب خراسان في هذه السنة ، فأدنى أهل الشّام وقوماً من أهل خُراسان ، فقال عبد الملك بن سلام السَّلُوليّ يشكر يزيد نيابة عن الذين قرّبهم وأصالة عن نفسه :

مازال سَيْبُكَ يايزيد بحوبَتي
حتى ارتويتُ ، وجُودُكُمْ لايُنْكَرُ
أنت الرّبيعُ إذا تكون خصاصةٌ
عاشَ السّقيمُ به وعاش المُقْتِرُ
عمّت سحابتُهُ جميعَ بلادِكم
فَرَوَوْا وأغدقَهُم سحابٌ مُمْطِرُ
فسقاكَ ربّك حيثُ كنتَ مَخيلةً
ريّاً سحائبُها تروحُ وتُبكرُ

وقال نَهار بن تَوْسعة يلوم يزيد أصالة عن نفسه ونيابة عن الذين لم يقربهم :

وما كنّا نُؤمّلُ من أميرٍ
كما كنّا نُؤمّل من يزيدِ
فأخطأ ظَنُّنا فيه وقِدْماً
زَهِدْنا في معاشرةِ الزّهيدِ
إذا لم يُعْطِنا نَصَفاً أميرٌ
مَشَيْنا نحوَهُ مِثْلَ الأسُودِ
فمهلاً يا يَزيدُ أنِبْ إلينا
ودَعْنا من مُعاشرةِ العبيدِ

نجيئُ فـلا نَرَى إلاّ صُـدوداً
على أنّا نُسَلّـم مـن بَعيـد
ونَرجِـعُ خائبِيْنَ بلا نوال
فما بالُ التَجهُّمِ والصُّدُود ! (٤١)

ومن الواضح أن يزيد قرّب المخلصين للدولة الذين لم ينغمسوا في الفتنة ولا لوثوا أيديهم بالدماء ، فأرضى قوماً وأسخط آخرين ، ولم يكن يزيد في تقريبه مَنْ قرّب وإبعاده مَنْ أبْعَد ، إلاّ رجل دولة يضع المصلحة العليا للدولة فوق كلّ اعتبار .

لقد كان يزيد موضع ثقة سليمان الكاملة ، فقد جمع له العِراقَيْن(٤٢) وامتدّت ولايته فشملت المشرق الاسلامي كلّه ، يولي على أقاليمه مَن يشاء ، ويعزل مَنْ يشاء ، فكان في عهد سليمان من ألمع أمراء الدولة وأقربهم إلى الخليفة .

ولم يقصر يزيد في النهوض بواجبه إدارياً في استعادة الأمن والاستقرار وجمع الصفوف وتوحيدها ، وقائداً في استعادة الفتح كما مرّ بنا في الحديث عن فتوحه ، ولكن أيام عرسه انقضت بسرعة بموت سليمان ، فذهب نُمره وأقبلت عليه ثانية أيام العسر .

د ـ في السّجن ثانيةً :

كان ليزيد سنة ثمان وتسعين الهجرية (٧١٦ م) نشاط عسكري لامع في جُرْجان وطَبَرِستان .

وفي سنة تسع وتسعين الهجرّية (٧١٧ م) تُوفي سليمان بن عبد الملك (٤٣) ،

---

(٤١) انظر التفاصيل في الطبري (٥٢٣/٦ ـ ٥٢٩) وابن الأثير (٢٣/٥ ـ ٢٦) وانظر وفيات الأعيان (٣٣٨/٥ ـ ٣٤١) والمعارف (٣٦١) و (٤١٦) .
(٤٢) تاريخ خليفة بن خياط (٣١٧/١) .
(٤٣) الطبري (٥٤٦/٦) وابن الأثير (٢٧/٥) والعبر (١١٨/١) .

فخلفه عمر بن عبد العزيز بن مَرْوان رضى الله عنه .

وكان يزيد قد كتب إلى سليمان بن عبد الملك يبشّره باستعادة فتح جُرْجان وطبرستان ويذكر له : « وقد صار عندي من خُمس ما أفاء اللهُ على المسلمين بعد أن صار إلى كلٍّ ذي حقٍ حقُّه من الفَيء والغنيمة ستة آلاف ألف درهم ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله » ، فنصحه كاتبه ألاّ يكتب بتسمية المال حتى لايُستَجَلّ في السجلات ، فاذا ولي خليفة بعد سليمان طالب به ، وإن ولي مَنْ يتحامل عليه لم يَرْض بأضعافه ، ولكنّ يزيد رفض النصيحة وأمضى الكتاب (٤٤) .

وبادر عمر بن عبد العزيز إلى عزل يزيد عن العراق وخُراسان ، ووجّه على البَصْرة وأرضها عَدِيّ بن أرْطَاة الفزَاريّ ، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العَدَويّ القُرَشيّ من بني عَدِيّ بن كَعْبَ (٤٥) رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قُرَيْش .

وكتب عمر بن عبد العزيز سنة مئة الهجرية (٧١٧ م) إلى عَدِيّ بن أرْطَاة أمير البصرة يأمره بانفاذ يزيد بن المهلب موثقاً ، وكان عمر قد كتب إلى يزيد أن يستخلف على عمله ويُقْبِل إليه ، فاستخلف يزيد ابنه مَخْلَداً وقدم من (خُراسان) حتى نزل مدينة (واسط) ، ثمّ ركبَ السُّفن يريد البصرة ، فبعث عَدِيّ بن أرطَاة موسى بن الوَجِيْه الحِمْيَرِيّ ، فلحقه في نهر (مَعْقِل) عند الجسر بالقرب من البصرة ، فأوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز في دمشق (٤٦) .

ولم يكن عمر بن عبد العزيز ممّن يرضى بأنصاف الحلول أو يقنع بغير الحق ، فدعا يزيد وسأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان ، فاعتذر :

---

(٤٤) الطبري (٥٤٤/٦ ـ ٥٤٥) .

(٤٥) الطبري (٥٥٤/٦) وابن الاثير (٤٣/٥) وانظر وفيات الاعيان (٣٤١/٥) .

(٤٦) انظر التفاصيل في الطبري (٥٥٦/٦ ـ ٥٥٧) وابن الأثير (٥٨/٥ ـ ٥٩) .

بأنه كتب ما كتب إلى سليمان ليسمِّع الناس به ، وسليمان لايأخذه بما كتب ، والواقع أن ما كتب فيه مبالغة ! ولكنّ عمر أصرّ على أن يدفع يزيد المال إلى بيت مال المسلمين أو يعود إلى محبسه .

ولم ينفع ما بذله مَخْلَد ابنه من جهد عند عمر بن عبد العزيز لانقاذ أبيه يزيد من الحبس ، كما لم ينفع يزيدَ ما بذله أصدقاؤه وأحباؤه في انقاذه من الحبس ، فقد كان قرار عمر بن عبد العزيز نهائياً ، فإمّا المال كاملاً ، وإما السجن ، ولا ثالث لهذين المسلكين .

لقد نُصِح يزيد بألاّ يسجِّل على نفسه في كتابه إلى سليمان هذا المبلغ الضخم من المال ، فلم ينتصح ، فعانى ما عانى في السجن ، وتحمّل ما تحمل في الهرب من السجن ، ودفع حياته ثمناً في حرب عقيمة في النهاية .

٢ ـ الجواد

كان يزيد يحبّ هذا المال حبّاً جما ، ولكن لم يكن يكتنزه لنفسه ، بل يجود به على الناس نَقْداً وطعاماً وشراباً وثياباً وهدايا ، فمن المعروف أنه لم يشيِّد له داراً يأوى اليها ، واقتناء الدار للسكنى من أهم ما يحرص عليه الناس جميعاً ، فله الأسبقية بالنسبة للذين يحبّون جمع المال ، وهو السبيل الأول لانفاق المال .

ولو كان يزيد يحب المال من أجل المال ، لامن أجل الجود به ، لكان له دار يرتاح بها ويُريح ، ولكنه حرم نفسه حتى من متعة اقتناء الدار .

قيل ليزيد : مالكَ لاتبني ؟ ! قال : « منزلي دار الامارة أو الحَبْس»(٤٧) وقيل له : لِمَ لا تبني بالبصرة دارا ؟ ! فقال : « لأني لا أدخلها إلاّ أميراً أو أسيرا ، فان كنتُ أسيراً فالسجن داري ، وإن كنتُ أميراً فدار الامارة

(٤٧) عيون الأخبار (٢٣٦/١) والعقد الفريد (٢٢٣/٦) .

داري » (٤٨) . وقال بعض جلساء يزيد له : لِمَ لاتتخذ لك دارا ! ؟ فقال : « وما أصنع بها ، ولي دار حاصلة مجهّزة على الدّوام ؟ » ، فقال له : وأين هي ؟ ! فقال : « إنْ كنتُ متولّياً فدار الامارة ، وإن كنتُ معزولاً ، فالسِّجن » (٤٩) .

لقد كان يزيد يحبّ ثناء الناس عليه ، والكرم هو الذي يطلق الألسنة بالثناء من عقالها ، وينطق الذين دأبوا على السكوت . قال يزيد يوماً : « والله للحياة أحبّ من الموت ، والثناء الحسن أحبّ إليّ من الحياة ، ولو أني أُعطيتُ ما لم يُعْطَهُ أحدٌ لأحببتُ أن يكون لي أُذن أسمع بها غداً ما يُقال فيّ إذا مِتّ » (٥٠) .

ويبدو أنه لم يكن يحب السُّلطة إلاّ من أجل أن تعينه على جمع المال والجود به على الناس ، فكان ينتقل من الأوج أميراً إلى السجن أسيراً لمحاسبته على المال الذي أنفقه على الناس .

وقد أجمع المؤرخون على أنه لم يكن في دولة بني أُميّة أكرم من بني المهلّب ، كما لم يكن في دولة بني العبّاس أكرم من البرامكة (٥١) ، وكان يزيد بلامراء أكرم بني المهلّب على الأطلاق .

اتخذ يزيد ألف خوان يُطعِم النّاس عليها (٥٢) كل يوم ، ومرّ في طريق البصرة بأعرابيّة فأهدت إليه عَنْزاً ، فقبلها وقال لابنه معاوية : « ما عندكَ من نفقة ؟ » قال : « ثمانمائة درهم » ، قال : « ادفعها إليها » ، قال : « إنها لا تَعْرُفُك ويرضيها اليسير » ، قال : « إن كانت لاتعرفني ، فأنا

(٤٨) عيون الأخبار (٣١٢/١)
(٤٩) وفيات الأعيان (٣٣٧/٥) .
(٥٠) وفيات الأعيان (٣٢٥/٥) .
(٥١) وفيات الأعيان (٣٢٦/٥) .
(٥٢) الطبري (٥٢٤/٦) وابن الاثير (٢٣/٥) .

أعرف نفسي ، وإن كان يرضيها اليسير ، فأنا لاأرضى إلاّ بالكثير » (٥٣) .

وقدم على يزيد وفد من قُضَاعة ، فقال رجل منهم :

والله ما نَدْري إذا ما فاتَنَا
طَلَبٌ إليكَ مَنْ الذي نَتَطَلَّبُ
ولقد ضَرَبنا في البلاد فلم نَجِدْ
أحداً سواك إلى المكارم يُنْسَبُ
فاصْبِرْ لعادَتِنا التي عَوَّدْتَنَا
أو لا فَأَرْشِدْنا إلى مَنْ نَذْهبُ ؟

فأمر له يزيد بألف دينار ، فلما كان العام المقبل وفد عليه فقال :

مالي أرى أبوابَهم مَهْجُورَةً
وكأنَّ بابَكَ مَجْمَعُ الأسواقِ (٥٤)
حابوكَ أم هابوكَ أم شاموا النَّدى
بِيدَيْكَ فاجتمعوا من الآفاقِ
إني رأيتك للمكارم عاشقاً
والمكْرُماتُ قليلة العُشّاقِ

فأمر يزيد بعشرة آلاف درهم (٥٥) .

ولما هرب يزيد من الحجّاج قاصداً سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ

---

(٥٣) العقد الفريد (٣٠٦/١) .

(٥٤) مكان هذا الشعر في الأمالي :

يربَ الذي يأتي من الخيرانه — اذا فعل المعروف زاد وتمّما
وليس كبانٍ حين تمَّ بناؤه — تتبعه بالنقض حتى تهدّما

فاعطاه الفي دينار ، ثم اتاه في العام الثالث فقال :

اذا استمطروا كانوا معازير في الندى
يجودون بالمعروف عَوداً على يد

فاعطاه ثلاثة آلاف دينار ، نقلاً عن هامش (٢) من العقد الفريد (٣٠٥/١) .

(٥٥) العقد الفريد (٣٠٥/١ ــ ٣٠٦) ووفيات الأعيان (٣٢٥/٥ ــ ٣٢٦) .

بمدينة (الرَّمْلة) الفلسطينيّة ، اجتاز طريقه إلى أرض الشّام على أبيات للأعراب ، فقال لغلامه : « استسقنا من هؤلاء لبناً » ؛ فأتاه بلبن فشربه ، فقال : « أعْطِهمْ ألف درهم » ، فقال الغلام : « إنّ هؤلاء لايعرفونك » ، قال : « لكنني أعرف نفسي ! أعطهم ألف درهم » ، فأعطاهم .

وحجّ يزيد ، فطلب حلاقاً ، فجاء وحلق رأسه ، فأمر له بألف درهم ، فتحيّر الحلاّق ودَهش ، فقال : « بهذه الألف أمضي إلى أمّي فلانة فأشتريها ، فقال : « أعطوه ألفين آخرين » .

وكان سعيد بن عمرو بن العاص مواخياً ليزيد ، فلما كان في حبس عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، منع عمر النّاس من الدخول إليه ، فأتاه سعيد وقال : « يا أمير المؤمنين ! لي على يزيد خمسون ألف درهم ، وقد حُلْتَ بيني وبينه ، فان رأيت أن تأذن لي فأقتضيه » ، فأذن له . ودخل سعيد على يزيد ، فَسُرّ به يزيد وقال : « كيف وصلتَ إليّ ؟ ! » ، فأخبره سعيد ، فقال : « والله لا تخرج إلاّ وهي معك » ، فامتنع سعيد ، فحلفَ يزيد ليقبضَنّها ، فوجّه إلى منزله حتى حُمِل الى سعيد خمسون ألف درهم .

وفي ذلك قال بعض الشعراء :

فلم أرَ محبوساً من النّاس ماجداً
حبَا زائراً في السِّجن غير يزيد

سعيد بن عمرو إذ أتاهُ أجاره
بخمسين ألفاً عُجِّلت لسعيد (٥٦)

وباعَ وكيل يزيد بطيخاً جاءه من بعض أملاكه بأربعين ألف درهم ،

(٥٦) وفيات الأعيان (٣٢٤/٥) وعيون الأخبار (٣٤٣/١ - ٣٤٤) ، والشاعر الذي وصف كرم يزيد هو عَدِيّ بن الرقاع .

فبلغ ذلك يزيد ، فقال له يزيد : « تركتنا بقّالين ! أما كان في عجائز الأَزْد مَنْ تقسمه فيهنّ ! ! » ، وغضب غضباً شديدا (٥٧) .

ومدحه عمر بن لجأ بشعرٍ فقال :

آل المهلّب قوم إن نسبتهمُ
كانوا المكارمِ آباءً وأجدادا

كم حاسدٍ لهمُ يَعْيَا بفضلهمُ
وما دنا من مساعيهم ولا كادا

إنّ العرانيْن تلقاها مُحسَّدَةً
ولا ترى للئام النّاس حُسّادا

لو قيل للمجدِ : حِدْ عنهمْ وخلِّهمُ
بما احتكمتَ من الدنيا لما حادا

إنّ المكارمَ أرواحٌ يكون لها
آل المهلّب دون الناس أجسادا (٥٨)

وقال سليمان بن عبد الملك لموسى بن نُصَيْرْ : « اغرم ديتَك خمسين مرّة » ، قال : « ليس عندي ما أغرم » قال : « والله لتغرمَنَّ ديتك مئة مرّة » ، فقال يزيد : « أنا أغرمها عنه يا أمير المؤمنين » ، قال : « اغرمْ ! » ، فغرمها عنه مئة ألف درهم (٥٩) .

واستعمل الوليد بن عبد الملك على المدينة المنورة عثمانَ بن حَيَّان المُرِّي وأمره بالغِلْظَة على أهل الظِّنَّة ، فلما استُخلف سليمان أخذه بألفي ألف درهم . واجتمعت القَيسيَّة في ذلكَ ، فتحملوا شَطْرَها وضاقوا ذَرْعاً بالشَّطْر الثاني . ووافق ذلك استعمالُ سليمان على العراق يزيدَ ،

(٥٧) وفيات الأعيان (٥/٣٢٥) .
(٥٨) وفيات الأعيان (٥/٣٢٥) .
(٥٩) العقد الفريد (١/٣٠٢) .

فقال عمر بن هُبَيْرَة : « عليكم بيزيد بن المُهلّب ، فما لها أحد غيره » . ورحلوا إلى يزيد وفيهم عمر بن هُبَيْرَة والقَعْقَاع بن حَبيب والهُذَيْل ابن زُفَر بن الحارث حتى انتهوا إلى رُواق يزيد . قال يحيى بن أَقْتَل – وكان حاجباً ليزيد ، وكان رجلاً من الأَزْد : فاستأذنتُ لهم ، فخرج يزيد إلى الرُّواق ، فَقَرَّبَ ورحَّب ، ثم دعا بالغداء ، فأتُوا بطعام ما أنكروا منه أكثرُ مما عَرفوا ، فلما تغدَّوْا تكلّم عثمان بن حَيّان وكان لسِناً مُفوّها وقال : زادكَ الله في توفيقك أيها الأمير ! إن الوليد بن عبد الملك وجّهني إلى المدينة عاملاً عليها ، وأمرني بالغِلْظَة على أهل الظِّنة . . . . وإنّ سليمان أغرمني غُرماً واللهِ مايَسعه مالي ولا تحمله طاقتي ، فأتيناكَ لتَحْمِلَ من هذا المال ما خفّ عليك ، وما بقي والله ثقيل عليّ ». وتكلّم كل مَنْ حضر بما حضرهُ . فقال يزيد : مَرْحباً بكم وأهلاً ! إنّ خير المال ما قُضِيَت فيه الحقوق ، وحملت به المغارم ، وإنما لي من المال ما فضل عن إخواني ، وايم الله ، لو علمت أنّ أحداً أملأ بحاجتكم مني لهديتكم إليه ، فاحتكموا وأكثروا ! فقال عثمان بن حَيّان : النِّصْف ، أصلح الله الأمير ! قال : نَعَم ، وكرامة ، اغدوا على مالكم فخذوه ، فشكروا له وقاموا وخرجوا . فلما صاروا على باب السُّرادق ، قال عمر بن هُبَيْرَة : قبّحَ الله رأيكم ! واللهِ ما يُبالي يزيد أنِصْفَها تحمَّل أم كلَّها ، فمن لكم بالنِّصف الباقي ! ؟ قال القوم : هذا واللّه لرأي . وسمع يزيد مناجاتهم ، فقال لحاجبه : انظر يا يحيى إنْ كان بَقي على القوم شيء فليرجعوا ، فرجعوا إليه ، وقالوا : أَقِلْنَا ! قال : قد فعلتُ . قالوا : إن رأيتَ أن تحملَها كلّها فأنت أهلُها ، وإن أبيتَ فما لها أحد غيرك . قال : قد فعلتُ . وغدا يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ! أتاني عثمان بن حَيَّان وأصحابه ، قال : أَمسِكَ في المال ؟ قال : نعم . قال سليمان : والله لآخذنّه

منهم ! قال يزيد : إني قد حَملته ! قال : فأدِّه . قال يزيد : والله ما حملته إلاّ لأُؤديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! إنّ هذه الحَمالة وإن عظم خَطبها ، فَحَمْدُها والله أعظم منها ، ويَدي مبسوطة بيدك ، فابُسطها لسؤّالها . ثم غدا يزيد بالمال إلى الخزّان فدفعه إليهم ، فدخلوا على سليمان فأخبروه فقبض المال ، فقال : وَفَتْ يمينُ سليمان ، احملوا إلى أبي خالد ماله » . فقال عَدي بن الرّقاع العامليّ :

والله عَيْنا مَنْ رأى كحَمَالة
تحمّلها كَبْشُ العراق يزيدُ (٦٠)

وخرج العُدَيْل بن الفَرْخ الشاعر يريد الحجّاج ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب ، فوثَبَ عليه العُدَيْلُ وقال : « إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر مني ولا أولى بهذا الباب » ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ فأحفظه . وانصرف العُدَيل عن باب الحجّاج إلى يزيد ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

لئن أرْتَجَ الحجّاجُ بالبخل بابَه
فبابُ الفتى الأَزْديّ بالعُرف يُفْتَحُ
فتىً لايبالي الدهرَ ما قلّ مالُه
إذا جعلتْ أيدي المكارم تسنَحُ
يداهُ يدٌ بالعُرف تُنْهبُ ماحوتْ
وأخرى على الأعداء تسطو وتجرحُ
إذا ما أتاه المرمِلون (٦١) تيقنوا
بأنّ الغِنى فيهم وشيكاً سيَبرَحُ

(٦٠) العقد الفريد (٣٠٣/١ - ٣٠٥) .
(٦١) المرملون : مَن نفد زادهم .

هلمّوا إلى سَيْب الأمير وعُرفه
فانّ عطاياه على النّاس تَنْفَسحُ
وليس لعِلْجٍ من ثمودَ بكفّه
من الجودِ والمعروف حزم مطوّحُ

فقال يزيد : « عرَّضْتَ بنا ، وخاطرتَ بدمك ، وبالله لايصلُ إليك وأنت في حيِّزي » ، وأمر له بخمسين ألف درهم ، وحمله على أفراس ، وقال له : « الْحَق بعلياء نَجْدٍ ، واحذر أن تعلقك حبائل الحجّاج أو تحتجنَك محاجِنُه (٦٢) ، ابعث إليّ في كلّ عام ، فلك عليّ مثل هذا » ، فارتحل . وبلغ الحجّاج خبرُه ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العُدَيل ففاته (٦٣) .

وليس من السّهل أن يحمي أحد من يطلبه الحجّاج ، وكان يومئذ أقوى شخصية بعد الخليفة ، وكان يُجيْر ولا يجار عليه إلاّ من أمير المؤمنين ، ولكن مروءة يزيد جعلته يُقدم على حماية هذا الشاعر ويدفَع له المال الجزيل ، ويهرِّبه إلى مكان قصيّ ، وهو يعلم حقّ العلم انه يغضب الحجّاج ويتحدّاه بما أسدى للشاعر من خير ، وأنّ الحجّاج لايسكت عمّن يغضبه ولا عمّن يتحدّاه .

ودخل كُرَيْز بن زُفَر بن الحارث على يزيد فقال : « أصلح الله الأمير ! أنت أعظم من أن يُستعان بك ويُستعان عليك ، ولستَ تفعل من الخير شيئاً إلاّ وهو يَصْغُر عنك وأنت أكبر منه ، وليس العجب أن تفعل ، ولكنّ العجب ألاّ تفعل » ، قال : « سَلْ حاجتك » قال : « قد حملتُ عن عشيرتي

---

(٦٢) محاجنه : عصيته المعوجّة الـي يحتجن الناس بها كالخطاطيف .
(٦٣) الأغاني (٢٢/٣٣٠ – ٣٣١) .

عَشْر ديات » ، قال : « قد أمرتُ لك بها وشَفعتُها بمثلها » (٦٤) .

وقال يزيد بن المهلّب لسليمان بن عبد الملك في حَمَالة كلّمه فيها : « يا أمير المؤمنين ! والله لحَمدُها خيرٌ منها ، ولَذِكرُها أحسن من جَمْعِها ، ويَدِي مبسوطة بيدك فابسُطْها لسؤالها » (٦٥) .

ولعلّ أبلغ ما يمكن أن يوصف به جُوْدُ يزيد ، ما كان يقوله هشام ابن حسان إذا ذكره : « والله إن كانت السُّفن لتَجْري في جوده » (٦٤) .

٣ . السجايا والأضداد

كان يزيد جواداً مُمَدَّحاً كثير الغزو والفتوح (٦٧) ، وكان يحبّ هذا الفخر ، فأقبل عليه الشعراء بخاصة ، يمدحونه ويثنون عليه .

ومن الشعراء الذين مدحوه الفرزدق ، فقد كان يهجو المهلّب بن أبي صُفْرَة الأَزديّ ، فلما ولى سليمانُ بن عبد الملك يزيدَ خُراسان والعراق ، مدحه الفرزدق فقال :

فلأَمْدَحَنّ بنى المهلّب مِدْحةً
غرّاء قاهرة على الأشعار

مثل النّجوم امامها قمْرأوها (٦٨)
وخلائقاً كتدفّق الأنهار

ورثوا المهلّب للعراق وقايةً
وحَيا الرَّبيع ومَعْقِل الفُرار

---

(٦٤) العقد الفريد (١/٢٥٥) وانظر عيون الأخبار (٣/١٢٤) .
(٦٥) عيون الأخبار ٣/١٣٠ .
(٦٦) العقد الفريد (١/٣٠٣) .
(٦٧) العبر (١/١٢٤) .
(٦٨) القمراء : ضوء القمر .

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضعَ الرقّاب نواكسَ الأبصار
مازال مُذ شدّ الازار بكفه
ودنا فأدرك خمسة الأشبار (٦٩)
أيزيدُ إنك للمهلّب أدركت
كفّاك خير خلائق الأخيار (٧٠)

وقال الفرزدق أيضاً :

إن المهالبةَ الكرامَ تحمّلوا
دفعَ المكارهِ عن ذوى المكروه
زانوا قديمَهم بحسن حديثهم
وكريم أخلاقٍ بحسنِ وجوه (٧١)

وفي يزيد وآل المهلّب يقول الشاعر :

نزلتُ على آل المهلّب شاتياً
غريباً عن الأوطان في زمن المحْل
فما زال بي إحسانُهم وافتقادهم
وبرّهم حتى حسبتهمُ أهلي (٧٢)

والشعر في مدح يزيد كثير ، نكتفي بهذا القليل لاعطاء ، فكرة واضحة لاستقطاب يزيد للشعراء حوله ، وهباته هي التي استقطبتهم بالدرجة الأولى على كل حال .

ومضى يزيد إلى جوار الله ، ومضى ماله في وجوه إنفاقه ، وبقي الذكر الحميد

---

(٦٩) خبر (مازال) مفهوم من المقام ، اي مازال كريماً مهيباً ونحو ذلك .
(٧٠) الاغاني (٣٤٥/٢٢ ـ ٣٤٦) .
(٧١) النجوم الزاهرة (٢٦٩/١) .
(٧٢) المختصر في تاريخ البشر لابي الفدا (٢٠١/١ ـ ٢٠٢) .

ومن مزايا يزيد ، شجاعته الخارقة ، فما هرب في حرب ، وقاتل في كلّ معركة خاضها قتال الأبطال الأفذاذ .

وفي المعركة التي قتل فيها ، استقتل بعد فرار معظم جيشه ، وكان لايحدّث نفسه بالفرار ، فجاءه مَنْ أخبره أن أخاه حَبيباً قد قُتل ، فقال : « لاخير في العيش بعد حبيب لقد كنتُ والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ، فوالله ما ازددتُ لها الا بغضاً . . . امضوا قُدُما » . وأخذ يكرّ ، كلّما مرّ بخيل كشفها ، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه .

وهمس باذنه أحد المقربين اليه ، أن الناس قد ذهبوا ، فانْصَرِف الى (واسط) فانها حصن تنزلها ، ويأتيك المدد من البصرة ، ويأتيك أهل عُمان والبحرين في السفن ، وتضرب خندقاً ، فقال « قبّح الله رأيك ! إليّ تقول ؟ ذا الموت أيسر عليّ من ذلك » (٧٣) .

وبعد أن انجلت تلك المعركة عن مقتل يزيد أتى برأسه الى مسلمة بن عبد الملك ، فلم يعرف الرأس ، فقال حَيَّان النَّبَطِيّ : « مهما ظننتم فلا تظنّوا أن الرجل هرب ، ولقد قُتل » ، فقال مسلمة : « وما علامة ذلك ؟ » فقال : إني سمعته أيام ابن الأشعث يقول : قبّحَ الله ابن الأشعث ! هَبُوه غُلب على أمره . أكان يُغلب على الموت ؟ ! ألا مات كريما » (٧٤) .

وفي معارك استعادة فتح جُرْجان ، اختار يزيد ثلاثمائة من أصحابه الشجعان للنهوض بمهمة اقتحامية محفوفة بالأخطار ، وجعل عليهم ابنه خالداً وقال له : « إن غُلِبْتَ على الحياة ، فلا تُغْلَبَنّ على الموت ، وإياك ان أراك عندي منهزما » (٧٥) .

لقد كان يزيد مقاتلاً رهيبا ، وصدق ثابت بن قُطْنَة الذي قال في يزيد :

---

(٧٣) وفيات الأعيان (٣٤٨/٥) .
(٧٤) وفيات الأعيان (٣٤٩/٥) .
(٧٥) الطبري (٥٤٣/٦) .

كلُّ القبائلِ بايعُوكَ علـى الـذي
تدْعُو اليه وتابعُـوكَ وساروا
حتى إذا اختلَفَ القنَا (٧٦) وجعلتهمْ
نصبَ الأسنَّةِ أسلموكَ وطاووا
إنْ يقتُلوك فانَّ قتْلكَ لم يكُنْ
عاراً عليكَ ، وبعضُ قتل عار(٧٧)

واذا كان بالامكان ان يقال شيٌ في شعر الثناء . لأنّ حافزه غالباً (الرجاء) فلا يمكن أن يقال شيٌ مثله في شعر الرثاء ، لان حافزة دوماً (الوفاء) ، وليس منْ يأخذ كمن يعطي !

وقد كان يزيد يتمثل كثيراً في الحرب بقول حُصين بن الحُمَام :

تأخرتُ أستَبْقي الحَياة فلم أجِدْ
لنفسي حياةً مثل أن أتقَدَّما (٧٨)

وقد نُسب هذا البيت من الشعر في عيون الأخبار ليزيد (٧٩) ، والصواب أنّ البيت ليس من مَقُوله، ولعل صاحب كتاب عيون الأخبار نسبه الى يزيد لكثرة ما كان يتمثّل به يزيد ، فنسبه الرواة اليه .

والمهم أنّ يزيد كان يردد هذا البيت كثيراً حتى أصبح له شعاراً ، وكان يلتزم التزاماً جازماً بهذا الشّعار ، ورفع الشّعار شيٌ ، والالتزام به شيٌ آخر ، وشتانَ بين رَفْعِ الشّعارات وبين الالتزام بها !

(٧٦) في الاغاني : حتى اذا حمس الوغى .

(٧٧) الشعر والشعراء (٥٢٧) ، وقد دخل هذا البيت في ابيات لحبيب بن خدرة الخارجي يرثي بها زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضي الله عنه ، انظر شعر الخوارج (٨٠) ، ومن المستطرف ان يرثي أحد الخوارج رجلاً من آل على رضي الله عنه .

(٧٨) العقد الفريد (١٠٤/١) .

(٧٩) عيون الأخبار (١٢٥/١) .

ج . ومما يحكى عن يزيد ، أنّ حيّة وقعت عليه في يوم من الأيام ، فلم يدفعها عن نفسه، فقال له أبوه : «ضيّعت العقل من حيث حفظت الشجاعة »(٨٠)

ولم أجد وصفاً ينطبق على يزيد في حاضره ومستقبله . كهذه الكلمات القليلة التي وصفه بها أبوه ، فهو من أجل الشجاعة ضيّع العقل !

فقد كان لايصغي الى ناصح ، ولا يستشير أحدا ، واذا اقتنع بأمر طبقه دون ان يأخذ بنصيحة ناصحٍ أو برأيٍ مخالف لرأيه الذي اقتنع به .

نصحه كاتبه ألا يمضي كتابه الى سليمان بن عبد الملك : « . . . وقد صار عندي خمس ماأفاء الله على المسلمين بعد ان صار إلى كلّ ذي حق حقّه من الفيء والغنيمة ستة آلاف ألف » (٨١) ، فما اكترث بنصيحة الكاتب المخلص الحصيف . وامضى الكتاب وأبرده الى سليمان ، فجر عليه عناده الويل والثبور وسجن في سجن (حلَب) ثم هرب من سجنه واعلن العصيان ، فدفع حياته ثمناً لهذا العناد .

ونصحه أخوه حبيب وغيره. أن يغادر العراق وينزل بفارس ويأخذ بالشعاب والعقاب ويدنو من خُراسان فيطاول أهل الشام في تلك المناطق النائية ، فقال : « ليس هذا برأيي ! تريدون ان تجعلوني طائراً على رأس جبل ! » (٨٢) ، وأصر على قبول المعركة الحاسمة بينه وبين مَسْلَمَة بن عبد الملك في ارض العراق التي يتفوق فيها مَسْلَمَة على يزيد تفوقاً بعيداً .

وبعد هرب اصحابه في تلك المعركة . واصبحت نتيجتها مضمونة لمسْلَمَة واصبح موقفه يائساً إلى أبْعَد الحدود . أصرّ على أن يقاتل حتى الموت ، دون أن يلتفت الى نصيحة النّاصحين له بالانسحاب .

إنه من اجل الشّجاعة ضّع العقل ! وعقدته هي ألا يتحدّث العرب بأنّ يزيد

(٨٠) وفيات الأعيان (٥/٣٢٦) .
(٨١) الطبري (٦/٥٤٤ – ٥٤٥) وانظر ابن الاثير (٥/٣٥ – ٣٦) .
(٨٢) ابن الأثير (٥/٧٦) .

هرب والفرق شاسع بين الهزيمة والانسحاب .

ولو اردنا أن نتذكر مواقفه التي تدل على إصراره وتمسكه برأيه ، وضرب نصائح الناصحين له عرض الحائط ، لطال القول وتشعّب ، فيكفي دليلاً ماذكرناه .

د . وكان يحبّ هذا الفخر . ويطرب للثناء والمديح ، ومن أجل هذا الفخر بالغ في كتابه الى سليمان) استعادته فتح جُرْجان وطبرستان ، فجعل منه فتحاً لم يسبقه ال مثله أحد من الأكاسرة والقياصرة ومن الخلفاء الراشدين ولم يكن الأمر كذلك كما اسلفنا ، بل سبقه غيره من قادة الفتح الاسلامي في فتح هذين الاقليمين الشاسعين .

وبلا شك كان يستحق الثناء والاطراء بأعماله فاتحاً وإدارياً وجواداً ، ولكنه كان يحب أن يحمل الناس على إطرائه والثناء عليه ، حتى كانت من اغلى أمانيه على نفسه أن يعرف مايقوله الناس عنه بعد ان يفارق الحياة (٨٣) .

وبلغ به حبه للثناء والاطراء ، أنه يُقَرّب الذين يثنون عليه ويطرونه ، ويُبْعِد الذين لايحبون التملق للحاكمين حتى ولو كانوا من الاهل والاقرباء .

فقد كان للمُغيرة بن المهلب ابن اسمه : بشر ذكره أبو تمام الطائي في كتابه (الحماسة) ، لم يكن يحب ان يتقرب إلى عمه بالثناء ، فجفاه يزيد ، فقال في يزيد :

جفاني يزيدٌ والمُغيرةَ قد جفَا
وأمسى يزيدٌ لي قد ازورَّ جانبُه
وكلُّهم قد نال شبعاً لبطنه
وشبع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُه

---

(٨٣) وفيات الأعيان (٣٢٥/٥) .

فياعم مَهْلاً واتّخذني لنوبــة
تنوبُ فانّ الدّهرَ جمٌ نوائبُــه
أنا السَّيْف الا أن للسيف نَبْـوَةً
ومثلي لاتنبو عليكَ مضاربُــه
على أي باب ابتغى الاذنَ بعدمـا
حجبْتُ عن الباب الذي اناحاجبه (٨٤)

هـ . وكان يحبّ الامارة ويطلبها ويسعى اليها ، ولما ولي الحجاج خراسان المُفضّل بن المهلب وعزل يزيدَ ، وجعل المفضّل يستحثّ يزيد ، فقال للمفضل « إنّ الحجاج لايقركَّ بعدي ، وانما دعاه الى ماصنع مخافة أن أمتنع عليه » ، فقال المفضل : « بل حَسَدتَني ! » (٨٥) .

وكان سليمان بن عبد الملك ، قد ولى يزيد العراق ولم يوله خرّاسان ، فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك بن المهلب وهو بالشام ويزيد بالعراق : « فكيف أنتَ ياعبد الملك إنْ وليّتُك خرُاسان ؟ » « قال : « يجد ني أمير المؤمنين حيث يحبّ » ، ثم أعرض سليمان عن ذلك .

وكتب عبد الملك بن المهلب الى أصحابه وخاصته في خراسان : « إن امير المؤمنين عرّضَ علي ولاية خرُاسان » ، فبلغ الخبر يزيد .

وكان يزيد يطمع في خرُاسان ، فأوفد مبعوثاً خاصاً يعتمد عليه الى سليمان ابن عبدالملك، وقال لمبعوثه : « قدبلغني أن امير المؤمنين ذكَرَها – يريد خراسان – لعبد الملك بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ » . فقال : « سرّحني الى امير المؤمنين فاني أرجو أن آتيكَ بعهدكَ عليها » . قال « فاكتم ما اخبرتك به » (٨٦) . ولكن الخبر شاع . فسجّله التاريخ على يزيد ورواه الرواة عنه ، وما ينبغي أن

(٨٤) وفيات الأعيان (٣٣٠/٥) .
(٨٥) الطبري (٣٩٥/٦) .
(٨٦) الطبري (٥٢٥/٦) .

يبلغ حب السلطة والتكالب عليها حدّ التنافس بين الاخوين على منصب واحد من المناصب ، فقد كان السلف الصالح يعتبرون الامارة تكليفاً لا تشريفاً .

ولم يبق تنافس أبناء المهلّب على السلطة سرّاً ، بل تناقلة الناس . فقال الشاعر في عزل يزيد عن خراسان وتولية اخيه المفضل ، ثم عزل المفضل بقُتَيْبة بن مُسْلم ، مخاطباً المفضل بن المهلب واخاه عبد الملك بن المهلب . وامهما

يا ابْنَـي بَهْلة إنّما أخزاكما
ربيّ غداة غدا الهُمام الأزهر (٨٧)

أحَفَرْتُمُ لأخيكمُ فَوَقَعْتُمُ
في قَعْرِ مُظلمة أخُوها المُعْوَرُ

جُودوا بتوبةِ مُخْلِصيْنَ فانّما
يَأبَى وَيأنَفُ أنْ يتُوب الأخسَرُ (٨٨)

ولعل سبب حرصه على الامارة هي رغبته في جمع المال وتوزيعه على الذين يقصدونه من الناس تطميناً لخصلة الكرم والأريحية والمروءة والشهامة والنجدة التي كانت من ابرز مزاياه ، ولكنه اسرف في العطاء ، حتى حبسه الحجاج واغرمه ستة آلاف ألف (٨٩) ، وأغرمه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ستة آلاف ألف أيضاً ، يوم كانت الشاة بنصف درهم .

ولاشك ان عطاءه بدون حساب ، هو كرم خارق ، ولكنه سرف خارق أيضاً لا يُحمد عليه .

و . ومما يؤخذ عليه ، تعصّبه لقبيلته بخاصة وللقحطانيين على العدنانيين بعامة ، وبلغ تعصّبه درجة جعلته يطلق سراح الأسرى من قبيلته ليعيشوا أحراراً،

---

(٨٧) الهمام الازهر : يريد به يزيد بن المهلب .
(٨٨) الطبري (٦/٣٩٥) .
(٨٩) الطبري (٦/٤٤٨) .
(٩٠) الطبري (٦/٥٤٤ ـ ٥٤٥) وابن الاثير (٥/٣٥ ـ ٣٦) .

وبعث ببقية الأسرى الى الحجاج لينزل بهم عقوبة الموت ويضرب اعناقهم بالسيف (٩١) .

وما هكذا يكون العدل ، ولا هكذا يكون الانصاف ! !

ونظر مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير (٩٢) ، الى يزيد وهو يمشي وعليه حُلَّة يسحبها ، فقال له : « ما هذه المِشْيَة التي يبغضها الله ورسوله ؟ ! » ، فقال يزيد : « أما تعرفني ؟ ! » ، قال : بلى ! أوّلك نُطْفَةٌ مَذِرَة ، وآخرك جِيفَةٌ قَذِرة ، وانت بين ذلك تحمل العَذِرَة » (٩٣) .

فقد كان فيه كِبر وخيلاء ، تعجبه نفسه كثيراً ، ذا همّة عالية ، لايعرف الكلل والملل ، ويكره العَجَز والتواكل ، ومن أقواله : « مايسرّني أن أكفى أمور دنياي كلّها ، ولي الدنيا بحذا فيرها » ، فقيل له : ولمَ ذلك ؟ ! فقال « إني اكره عادة العَجَز » (٩٤) .

ولعل من اسباب كِبره ، وخيلائه ، شعوره بالتفوق على مَن حوله من الناس كفاية واقتداراً . وثراء وجاها . ومنصباً ومكانة ، ولكن التواضع من الخصال الحميدة التي يعجب بها الناس ويعجبون بصاحبها .

ولم يكن يزيد يتنازل عن خيلائه واعجابه بنفسه حتى في حضرة امير المؤمنين ، فقد سأله سليمان بن عبد الملك : « فيمن العِزّ بالبَصْرَة ؟ » ، قال «فينا وفي حلفائنا من ربيعة » ، قال سليمان : «الذي تحالفتما عليه أعز منكما» (٩٥)

وصدق عمر بن عبد العزيز رضى الله الذي يقول عن يزيد وأهل بيته :

---

(٩١) انظر التفاصيل في الطبري (٣٧٥/١٦ ــ ٣٨٣) .
(٩٢) مطرّف بن عبدالله بن الشخير الفقيه الفاضل ، انظر جمهرة انساب العرب (٢٨٨) .
(٩٣) وفيات الأعيان (٣٢٧/٦) ، والمذرة : الفاسدة . والعذرة : الغائط .
(٩٤) وفيات الأعيان (٣٣٧/٥) .
(٩٥) العقد الفريد (٣٥/٤) و (٤ /٤٨) وانظر عيون الأخبار (٢٩١/١) .

« هولاء جبابرة ، ولا احب مثلهم (٩٦) ، فكان يزيد وهو رئيس اهل بيته : جبار الجبابرة .

ز . أما علمه ، فقد روى عن انس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وابيه المهلب ، وروى عنه ابنه عبد الرحمن وأخوه ابو عُيَيْنَة بن المهلب وابو اسحق السَّبِيْعي وغيرهم (٩٨) ، وكان فصيحاً بليغاً قليل اللحن ، ومن أقواله في البيان : « أكْرَهُ أن يكون عقلُ الرجل على طرف لسانه » ، يريد انلايكون عقله إلا في الكلام (٩٩) الذي يتّسم بالفصاحة والبيان .

تلك ماليزيد وما عليه من السجايا والاضداد ، وكفى المرء نبلاً ان تعدّ معايبه .

هُوَيّته الشخصيّة :

ذكرنا أباه وأمه في نسبه وأيامه الأولى ، وقد ولد المهلب نحو ثلاثمائة ولد ، أعقب منهم تسعة عشر ، واعقابهم بالبصرة وبغيرها ، وهم : المُغيرة ، ويزيد ، ومَرْوان ، ومُعَاوية ، وزياد ، وعبد الملك ، وحبيب ، ومحمد ، وقَبِيْصَة ، والمُفَضَّل ، والمدْرِك ، وأبوعُيَيْنَة ،وعبدالعزيز ،وعبدالله ، وسعيد ، وشَبِيْب ، وعمرو ، وجعفر ، والحجاج .

ومن ولد يزيد : معاوية . والمهلب ولي فِلَسْطِيْن ، وعمرو وحبيب ومحمّد ، ومَخْلَد . وخالد ، وعبد الرحمن ثار بفارس (١٠٠) .

ونعرف من زوجاته : عاتِكة بنت الفرات بن معاوية العامريّة من بني البكّاء (١٠١) ، ومن جواريه التي أصبحت أمّ ولد : بَهْلَة الهنديّة ، وهي أمّ

---

(٩٦) الطبري (٥٥٧/٦) .
(٩٧) اسمه : عمرو بن عبدالله ، من السبيع ، انظر طبقات خليفة بن خياط (١٦٢) .
(٩٨) وفيات الأعيان (٣٢٣/٥) .
(٩٩) عيون الأخبار (١٦٨/٢) .
(١٠٠) أنساب العرب (٣٦٨) .
(١٠١) الطبري (٥٦٤/٦) والمحبر (٤٤٣) .

المُفَضَّل وعبد الملك (١٠٢) .

وقد ذكرنا أنّه ولد سنة ثلاث وخمسين الهجرية (٦٧٢ م) ، وقُتل سنة اثنتين ومئة الهجريّة (١٠٣) (٧٢٠ م) ، وأرسل رأسه إلى يزيد بن عبد الملك (١٠٤) ،

لقد عاش تسعاً وأربعين سنة قمرية ، وثمان وأربعين سنة شمسية ، ولكنه ملأ صفحات من التاريخ أكثر من سِنِيّ حياته عَدَداً ، فكانت حياته عامرة بالنشاط الزاخر إدارياً وقائداً وسجيناً ، فدخل التاريخ من أوسع أبوابه بجهوده وجهاده محسناً مرّات وغير محسن مرّة . فلم يبق كغيره من الولاة والقادة مُجَرّد عدد في السجل لا أثر له ولا تأثير في الناس حيّاً ، لأنه كان موظفاً حسب يتّبع ولا يَبْتَدع ، ومصيره موظفاً أهم بالنسبة إليه من مصائر الناس . ثم ما كادت وظيفته تزول عنه إلاّ أصبحت حياته تافهة كأنه مَيْت قبل أن يموت . فاذا مات لم يترك أثراً ولا تأثيرا ! !

لقد كان يزيد . . . . رجلا . . .

في رثائه :

ورثاه الشعراء بعد موته . بل أقرّ الخليفة الذي قتله بفضله ، فقال ثابت قُطْنَةَ (١٠٥)

ألا يا هِنْدُ طالَ عليَّ ليلي
وعاد قصيرُه ليلاً تماما

---

(١٠٢) الطبري (٣٩٥/٦) .

(١٠٣) تاريخ خليفة بن خياط (٣٣٢/١) والنجوم الزاهرة (٢٤٨/١) والعبر (١٢٤/١) .

(١٠٤) البدء والتاريخ (٤٨/٦) .

(١٠٥) هو ثابت بن كعب بن جابر العَتَكِيّ الازدي ، اصيبت عينه بخراسان ، فجعل عليها قطنة ، فعرف بذلك ، انظر وفيات الأعيان (٣٥١/٥) .

كأنّي حين حلّقت الثريّا
سُقيتُ لُعابَ أسوَدَ أو سَماما
أمرّ عليّ حلوَ العيش يومٌ
من الأيّام شيّبني غُلاما
مصابُ بني أبيك وغِبتُ عنهم
فلم أشهدهمُ ومضَوا كِراما
فلا واللهِ لا أنسى يزيداً
ولا القتلى التي قُتِلَت حَراما
فعَلّي أن أبُؤ بأخيك يوماً
يزيداً أو أبوءَ به هشاما
وعَلّي أنْ أقودَ الخيلَ شُعْثاً
شوازِبَ(١٠٦) ضُمّراً تَقِصُ(١٠٧) الأكاما
فأُصْبِحَهُنّ حِمْيَر من قريب
وعكّاً أو أرُعْ بهما جُذاما
ونَسْقِي مَذْحَجاً والحيّ كَلْباً
من الذّيفان (١٠٨) أنفاساً قَوَاما
عشائرنا التي تبغِي علينا
تَجرّبنا زَكا عاماً فعاما

(١٠٦) شزَب الحيوان ـ شزوباً : ضَمَرَ ، فهو شازِب . (ج) شزّب ،
وهي شازِبَة (ج) . شوازِب .
(١٠٧) تقص فرسه : تثب به وثباً قصير الخطى .
(١٠٨) الذيفان : السريع ، وصارم قاطع .

ولـولاهمْ ومـا جـَلـَبـُـوا علينا
لأ َصبح وَسْطُنـا مَـلِـكاً هُـمَاما

وقال أيضاً يرثي يزيد :

أبىَ طُـولُ هذا اللـَّيْـل أن يـَتـَصرَّما
وهاجَ لكَ الهـَمَّ الفـؤادَ المُتـَيـَّما
أرِقـْتُ وَلمْ تـَأ ْرَق معي أمُّ خالد
وقد أرِقـَّتْ عيناي َحوْلا ً مُجرَّما (١٠٩)
على هَالِكٍ هـَدَّ العشيرةَ فـَقـْدُهُ
دعته المنايا فاستجاب وَسَلـَّمَـا
على مَلِكٍ بِاصَاح بالعقـْرِ (١١٠)جـُبـِّنـَتْ
كتائبُـه واسْـتَوْرَدَ الموتَ مُعْلِما
أُصيبَ ولم أشـْهـَدْ ولـو كنتُ شاهـداً
تسلـَّيْـتَ إن لم يَجْـمَع الحيُّ مأتما
وفي غَيـرِ الأ َيـَّام ياهِـنـْدُ فاعلمي
لطالِـبِ وِتـْرٍ نظرة أن تلوّما
فـَعَلـَّيَ إنْ مالتْ بيَ الريح مَيْـلـَةً
على ابن أبي ذِبـَّانَ (١١١) أنْ يتندَّما
أمَسْلَمُ (١١٢) إن يـَقـْدِرْ عليك رِماحُـنا
نُذِقـْك بـها قَيءَ الأ َساود مسلما

---

(١٠٩) تجرّم : تم وانقضى ، يقال : تجرمت السنة ، وتجرّم الليل .

(١١٠) العقر : اسم مكان مر ذكره ، وهو مكان المعركة التي دارت بين يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبدالملك .

(١١١) ابو ذبان ، او ابو الذبان : لقب عبدالملك بـن مروان ، وابن ابى ذبان هو : يزيد بـن عبدالملك .

(١١٢) مَسْلَم : يريد به مسلمة بن عبدالملك . قائد جيش يزيد بن عبدالملك الذي قاتل به جيش يزيد بن المهلّب وانتصر عليه .

وإن تلْقَ للعبّاس (١١٣) في الدّهر عثرة
نكافِئْه باليوم الذي كان قدّما
قصاصاً ولا نعدو الذي كان قد أتى
إلينا وإن كان ابن مروانَ أظلما
ستعلمُ إنْ زَلّتْ بك النعْل زلّةً
وأظهر أقوامٌ حياءً مجَمْجِما (١١٤)
مَن الظالم الجاني على أهل بيته
إذا احْضِرَت (١١٥) أسباب أمرٍ وأبْهَما
وإنّا لعطّافون بالحلم بعدما
نرى الجهّلَ من فرط اللئيم تكرُّما
وإنّا لحلاّلونَ بالثّغْر لانرى
به ساكناً إلاّ الخميْس (١١٦) العرَمْرَما
نرى أنّ للجيْرانِ حاجاً وحُرْمةً
إذا النّاس لم يَرْعَوْا لدى الجار محرْمَا
وإنا لنقرى الضيفَ من قَمع الذّرى
إذا كانَ رفدُ الرافدين تَجَشّما

---

(١١٣) العباس : العباس بن الوليد بن عبدالملك ، كان مَسلمة بن عبدالملك في قيادة الجيش الذي قاتل يزيد بن المهلّب .

(١١٤) جمجم فلان : لم يبيّن كلامَه . وجمجم الشيءَ في صدره : اخفاه ولم يبْدِه .

(١١٥) في ابن الأثير (٥/٨٨) : احضرت .

(١١٦) الخميس : الجيش الجرار .

وراحت بصُرّادٍ (١١٧) مُلِثّ (١١٨) جليدُه
على الطَّلْح (١١٩) أرماكا(١٢٠) من الشُّهب صُيَّما
أبونا أبو الأنصار عمرو بن عامرٍ (١٢١)
وهم وَلدُوا عَوْفاً وكَعْباً وأسلما
وقد كان في غسَّانَ مَجْدٌ يَعُدُّهُ
وعادِيَّةٌ كانت من المجد مُعظَما (١٢٢)

ولما حُمِل رأس يزيد بن المهلّب إلى يزيد بن عبد الملك في الشام ، نال منه بعض جلسائه ، فقال له : إنّ يزيد طاب جسيماً ، وركب عظيماً ، ومات كريما (١٢٣) ، وحسبي بشهادة أعدى أعداء يزيد ، فقال النّاس : « ضحيّ بنو أُميّة بالكرم يوم (العَقْر) » (١٢٤) ، يريدون بذلك قتل يزيد ، فقد كان من النجباء الكرماء العظماء الفُرْسان (١٢٥) .

ولم يمض يزيد وحده إلى جوار ربّه ، بل مضى معه كثير من آل بيته من المهالبة في مجزرة مروّعة حصدتهم حصدا ، وحتى فتية المهالبة الأحداث التسعة الذين بعث بهم مَسْلَمة بن عبد الملك إلى يزيد بن عبد الملك أمر يزيد بقتلهم ، فقتلوا وبقي منهم غلام صغير ، فقال : « اقتلوني فما أنا بصغير » ، فقال يزيد : « انظروا أنبَتَ ! » ، فقال : « أنا أعلم بنفسي ، قد احتلمتُ

---

(١١٧) الصراد : الريح الباردة تخالطها رطوبة .
(١١٨) لث بالمكان : اقام . ولث المطر : دامَ اياماً لاينقلع .
(١١٩) الطلح : شجر عظام من شجر العِضاه ترعاه الأبل ، والطلح جمع طَلْحَة
(١٢٠) ارماك : جمع الرمكة : الضعيف . والرامك : المقيم بالمكان لايبرح ، جمعها ارماك .
(١٢١) عمرو بن عامر بن لحى ابو الاوس والخزرج من الانصار .
(١٢٢) الطبري (٦٠٣/٦ — ٦٠٤) وانظر ابن الاثير (٨٧/٥ — ٨٨) .
(١٢٣) وفيات الاعيان (٣٥٠/٥) .
(١٢٤) وفيات الاعيان (٣٥١/٥) .
(١٢٥) وفيات الاعيان (٣٥٢/٥) .

ووطئتُ النساء » ، فأمر به يزيد فقتل (١٢٦).

لقد كان يزيد رجلاً قد لا يتكرر أبدا .

القائد

١ ـ صفاته القيادية :

أ . قبل أن يُقْتَل يزيد ، وبعد أن هرب أكثر أصحابه من حوله ، وأخذ منْ يكره القتال ينكص ، وتسلّل الباقون معه أفراداً وجماعات ، جاءه أحد المقربين إليه يقول له : « أما ترى ماحولك من جبال الحديد ! » فقال لـه : « أما أنا فما أباليها ، جبال حديد كانت أم جبال نار ! » ثم مضى يقاتل وهو ينشد قول الأعشى :

أبا الموتِ خَشَّتني عُبَادٌ وإنَّما
رأيتُ مَنَايَا النّاسِ يَشْقى ذَليلُها
فما مِيْتَةٌ إن مُتُّهَا غيرَ عاجزٍ
بِعَارٍ إذا ما غالَتِ النفسَ غُولُهَا

وأقبل يزيد نحو مَسْلَمَة بن عبد الملك مستقتلاً لا يريد غيره ، حتى إذا دَنَا منه قرّب مَسْلَمَة فرسَه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشّام وعلى أصحابه وحملوا بأجمعهم .

واقتتلوا ساعة ، وسطع الغُبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا (١٢٧) ، وهكذا انتصر التفوّق العَدَدِيَ والعُدَدِيّ على الشّجاعة والاقدام ، فمات يزيد كريماً مُقْبلاً غير مُدْبر ، مُسْتَقتلاً غير متخاذل ، فصدق ثابت قُطنة في وصف مقتله :

(١٢٦) الطبري (٦٠٣/٦) وابن الاثير (٨٧/٥) .
(١٢٧) الطبري (٥٩٦/٦ ـ ٥٩٧) .

إنْ يقتلوكَ فانّ قتلك لم يكُـنْ
عاراً عليك ، وربّ قتلٍ عارُ (١٢٨)

لقد كان يزيد يستنكر الهرب من القتال ، ويرفض أيّ حجّة يعرضها الهارب ، وكان شعاره في كلّ حياته : النّصر أو الموت .

وطالما اندفع في المعارك التي خاضها إلى الأمام ، فأصبح في الصفوف الأمامية ملتحماً بالذين يقاتلهم ، فلا يكون أحدٌ من رجاله أقربَ إلى العدو منه ، فهو قائد يقود رجاله من (الأمام) ، يقول لأصحابه : اتبعوني ، ولا يبقى في (الخلف) مُستكيناً في موضع أمين ، يقول لأصحابه : تقدّموا ، وهو قابع في موضعه الأمين لايتقدّم !

والذين يُقاتلون في الصفوف الأمامية من القادة يضربون لرجالهم أروع الامثال ، إذ يكونون أسوة حسنة لرجالهم وقدوة صالحة ومثالاً يُحتذى به ، فيبعثون في نفوس رجالهم النّخوة والاقدام والتضحية والفداء .

وقلّما يُهزم الجيش يقاتل قائده في الصفوف الأمامية ويقوده من الامام .

ومن المعروف أن القادة العسكريين قسمان : قسم يقود رجاله من الامام من امثال خالد ين الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني ويزيد بن المهلب وكثير من قادة الفتح الآخرين ، وقسم يقوده رجاله من الخلف ، ومن النادر أن يثق الجيش بقائد يقوده من الخلف ، فالمقاتل ترتفع معنوياته اذا رأى بعينيه قائده وبخاصة في الاوقات الصعبة في حالة التماس بالعدو .

ولكن القائد الذي يكون في الصفوف الامامية في اثناء الاشتباك بالعدو لابد ان يكون متميزاً بالشجاعة الفائقة ، وهذا ماكان يتميز به يزيد ، وقد تحدثنا عن شجاعته عند الحديث على سماته إنساناً ، إذ لاخلاف في شجاعة

(١٢٨) وفيات الاعيان (٣٥١/٥) .

يزيد التي كانت من طراز فريد وكانت مضرب الامثال .

ب . لقد كان يزيد من هواة الحرب لامن اجل الحرب ، ولكن لتنفيذ خطط مرسومة للدولة في الفتح او استعادة الفتح وفي توطيد الأمن الداخلي واعادة الاستقرار والنظام وقمع الفتن ، والمعركة الواحدة التي خاضها لحسابه الخاص هي معركة (العقر) التي خسر فيها حياته ،ولم يخض تلك الحرب من أجل الحرب وحباً لاراقة الدماء ، ولكنه خاضها مُكْرهاً لا بطلاً ، فقد بقي في سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دون أن يهرب ، وكان بمقدوره أن يفعل . فلما اصبحت حياة عمر مهددة بالموت هرب يزيد خوفاً من انتقام يزيد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز لعداوة قديمة بين اليزيدين : يزيد بن عبد الملك ، ويزيد بن المهلب فهربه في الواقع كان دفاعاً عن النفس لاحباً في اشعال نيران الحرب .

والدليل القاطع على أنّه من هواة الحرب ، هو قضاؤه معظم أوقات ولايته غازياً لاجابيا ، فكان يؤثر مصاولة الأبطال وتحمل الاخطار والمشاق على الراحة في القصور بعيداً عن الأخطار والتعب والمشقة .

كما كانت حياته في أيام ابيه كلها في ميدان القتال ، محارباً الخوارج تارة ، وفاتحاً تارة اخرى ، ولم يبق مستقراً في مكان مريح أمين .

كما ان تميزه بالشجاعة الخارقة ، بالاضافة الى هوايته المفضلة للحرب ، دليل على انه من اصحاب الطبع الموهوب في القيادة

اما مزية التجربة العلمية التي يجب ان يتميز بها القائد الحق ، بالاضافة إلى الطبع الموهوب والعلم المكتسب ، فان أعمال يزيد العسكرية في القتال فاتحاً أو مستعيداً للفتح ، وفي القتال للقضاء على الفتن الداخلية غير دليل على تمتّعه بهذه الميزة الحيوية .

فقد كان أبوه المهلب خير استاذ له في التطبيق العملي لعلومه العسكرية

المكتسبة والتجربة العملية في القتال والاقتتال ، فما كان في العرب أضرب بسيفه ولا أحسن تعبية للحرب ولااغشى للناس من المهلب في ايامه ، فتعلم يزيد من ابيه ممارسة الحرب وادارتها مما أثرى علمه المكتسب وتجربته العملية ، فتولى القيادة بامرة أبيه المهلب واستعاد فتح قسم من البلاد التي انتقضت ، وما كان المهلب ليولي يزيد قيادة الجيوش لانه ابنه حسب ، فلا أحد يولي ولده قيادة عسكرية دون كفاية عالية ، لأنه بدونها يعرضه للمهالك وأفدح الاخطار .

وقد كان للمهلب كثير من الابناء . فما ولاهم جميعاً قيادات عسكرية ، بل ولى قسماً منهم فقط وعلى رأسهم ابنه يزيد ، مما يدل على اقتناع المهلب بأن يزيد استكمل علمه المكتسب وتجربته العملية فأصبح مصدراً من مصادر قوة أبيه اولاً قبل غيره من الناس ومصدر قوة للدولة التي يعمل المهلب وبنوه في خدمتها والدفاع عن مصالحها بأمانة وقوة وإخلاص .

نستنتج مما ذكرناه ، أنّ يزيد تيسرت له مزايا القائد المميز الثلاث : العلم المكتسب . والتجربة العملية . وقبل هاتين المزيتين الطبع الموهوب .

ج . فكيف استعمل يزيد مزاياه القيادية المتميزة الثلاث في التطبيق العملي قائداً . وبخاصة . في التطبيق العملي لمبادئ الحرب .

يبدو أنه اهتم كثيراً بمبدأين حيويين من مبادئ الحرب . الأمن ، والمباغتة وهما أهم مبادئ الحرب على الاطلاق .

وليس معنى هذا أنه لم يهتم بمبادئ الحرب الاخرى ، بالعكس ، فان اهتمامه بها كان عظيماً كما سنرى . ولكن أسبقية اهتمامه تركّزت على هذين المبدأين بالدرجة الأولى وبصورة خاصة ، دون أن ينسى المبادئ الباقية عامة أو يغض النظر عنها طرفة عين .

ففي مجال تطبيق ، مبدأ الأمن ، سيطر سيطرة كاملة على قاعدة الفتح واستعادة الفتح المتقدمة (مَرْو) ، وطهرها من أعداء الدولة . وخلّف عليها

ابنه مَخْلَد ، وهو ألمع أبنائه وأكثرهم كفاية ، ثم انطلق فاتحاً ومستعيداً للفتح (١٢٩) ، وبهذا جعل قاعدته المتقدمة امينة رصينة لايخشى عليها خطراً .

وكان يدأب على : الاستطلاع الشخصي قائداً لسرية قتالية ، كما فعل في حصار قُهِسْتان ، فقد خرج ينظر مكاناً يدخل منه الى المدينة المحاصرة في اربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم ، فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك في أربعة آلاف ، فقاتلوهم ساعة حتى رجع عنهم العدو خائباً (١٣٠) .

وهذا الاسلوب من الاستطلاع ، وهو لغرض الحصول على المعلومات عن العدو بالقتال ، وهو أسلوب من اساليب تحقيق مبدأ : الأمن ، إضافة إلى فوائده الأخرى .

كما أنه وضع (العيون) على (نيزك) لرصد حركاته ، فلما استيقن خروجه من قلعته ، تحرك يزيد لفتح القلعة الحصينة التي استعصت على الفاتحين (١٣١) وهذا الأسلوب من الأساليب الاستطلاعية التي تحقق مبدأ : الامن ، ايضاً .

وكان يزيد لا يُغْفِل اتخاذ تدابير الحماية لجيشه ، فيرسل المقدمات والجنبات والمؤخرات ، لحماية جيشه من المباغتة ولحرمان عدوه من الحصول على المعلومات الضرورية عن هذا الجيش ، فلا عجب ألاّ تُباغت قوّات يزيد التي تعمل بقيادته من العدو أبداً .

ولعل من أهم عوامل تحقيق مبدأ الأمن ، بالنسبة للجيش الذي يتغلغل بالعمق بعيداً في البلاد المعادية وهو وضع حاميات في المراكز المهمة وهذا ما فعله يزيد في معاركه التي خاضها لاستعداد فتح جُرْجان وطَبرِستان ، فقد خلّف حاميتين تَعْداد كلّ حامية أربعة آلاف مقاتل على طريق مواصلاته ،

---

(١٢٩) الطبري (٥٣٢/٦) .

(١٣٠) انظر التفاصيل فى الطبري (٥٣٢/٦ — ٥٣٩) و (٢٧١/٤) وابن الاثير (٢٩/٤-٣٠) وابن خلدون (١٠١٩/٢) .

(١٣١) الطبري (٣٨٦/٦) وابن الاثير (٤٩٨/٤ — ٤٩٩) .

لحماية خطوط تلك المواصلات (١٣٢) .

ولا أعرف أسلوباً من أساليب تحقيق مبدأ الامن ، إلاّ اتّخذه يزيد في حروبه بِكلٍّ حرص وكفاية وبموجب خطة عسكرية مدّبرة مدروسة ، فقد كان الرجل لايرتجل الخطط وبعيداً غاية البعد عن الارتجال .

ونعود إلى تطبيق مبدأ المباغتة ، فقد استطاع يزيد تطويق قلعة نيزك الحصينة في وقت كان فيه نيزك بعيداً عن قلعته (١٣٣) ، مما أجْبر نيزك على الصّلح فكانت عملية يزيد هذه مباغتة كاملة لنيزك في الزمان ، لأن يزيد طوق قلعته في وقت لايتوقعه نيزك .

وقد كتب يزيد ال الأصبهبذ في طَبَرِستان كتاباً يسأله فيه ان يحتال لِصُوْل حتى يقيم بجُرجان ، وهو يعلم ان كتابه سيّطلع عليه صُوْل بشكل أو آخر ، فيتحول عن جُرجان وينزل البُحيرة ، فيهاجم يزيد حنيذاك جُرجان ويستعيد فتحها بدون مقاومة تذكر .

فاذا تمّ له استعادة فتح جُرجان ، أصبح محاصرة البحيرة وفيها صُوْل ميسوراً ومضمون النتيجة .

وهذا ما طبقه يزيد فعْلاً ، فاستعاد فتح جرجان وانتصر على صُول في البحيرة (١٣٤) ، وبذلك حقق مباغتة صُوْل بالزمان أيضاً .

وفي حصار جُرجان بعد ان نقضت وغدرت بحاميتها الاسلاميّة ، استطاع أحد رجاله أن يكشف طريقاً جديداً يؤدي اليها مباشرة ، فأعدّ خطة للهجوم على العدو المحاصر من اتجاه تلك الطريق وبالهجوم عليه من الجبهة (١٣٥) ،

(١٣٢) الطبري (٦/٥٣٩) وابن الاثير (٥/٣) .
(١٣٣) الطبري (٦/٣٨٧) وابن الاثير (٤/٤٩٩) .
(١٣٤) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٣٨ — ٥٣٩) وابن الاثير (٥/٣٢ — ٣٣) .
(١٣٥) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٤١ ٥٤٣ وابن الاثير (٥/٣٤ — ٣٥) .

فاستطاع استعادة فتح جُرجان ثانية بعد حصار مديد ، وحقق مباغتة عدوّه بالزمان والمكان معاً .

كما أنّ إعداد تلك الخُطّة وتوقيت تنفيذها الدقيق ، يمكن اعتباره مباغتة بالاسلوب أيضاً ، ومن المعلوم ان تطبيق مبدأ المباغتة ، يتمّ في المكان ، اي من مكان لايتوقعه العدو ، وفي الزمان ، اي في زمان لا يتوقعه العدو ، أو بالأسلوب ، أي بأسلوب تعبوي لايتوقعه الخصْم .

وقد حقق يزيد هذه الاساليب الثلاثة في تطبيق مبدأ : المباغتة .

ويبقى أسلوب رابع في تطبيق مبدأ : المباغتة ، هو استخدام سلاح جديد متفوق لايتوقع العدو استخدامه . وهذا الاسلوب لم يطبق من سائر قادة عصر يزيد العرب المسلمين ، لانهم لم يستطيعوا ابتكار سلاح جديد متفوق في حينه .

ج : ذلك مبلغ اهتمام يزيد بتطبيق مبدأي : الأمن والمباغتة .

د : ولكن يزيد لم يهمل بقية مبادىء الحرب الأخرى كما ذكرنا .

فقد كان يطبق مبدأ اختيار المقصد وادامته ، ولا اعرف قائداً اختار مقصده منذ كان (لاجئاً) في كنف سليمان بن عبد الملك ، ونفذه حرفياً دون تردد بعد ان تولى خراسان حين اصبح سليمان الذي كان ولياً للعهد خليفة ، وبين اختيار يزيد مقصده وبين تنفيذه بضع سنوات !

فحين كان يزيد عند سليمان بن عبد الملك بعد هربه من سجن الحجّاج كان سليمان كلمـا فتح قُتَيْبَة بن مسلم فتحاً يقول ليزيد ؛ « ألا ترى الى مايفتح الله على قُتَيْبَة ؟ » فيقول يزيد : « ما فعلتْ جُرجان التي قطعت الطريق وأفسدت (قُومِس) و (نَيْسابور) ؟ هذه الفتوح ليست بشيء ، الشأن هي جُرجان ! » .

ونفذ يزيد ما وعد ، وكان هدفه واضحاً جلياً منذ امد بعيد ، والفرق بينه وبين كثيرين غيره ، أنهم يعدون ويخلفون ، ووعودهم هي لتولى المناصب

أما يزيد ، فلم ينس وعده ، وبادر الى تحقيقه ، وتحمّل الأهوال من أجله محتسباً . وكان يطبق مبدأ . التعَرُّض ، وكانت حروبه لها تعرُّضيّه ، ولم يتّخذ خُطّة الدّفاع طيلة حياته العسكرية . جندياً أو قائداً ، مرؤوساً أو قائداً عاماً .

وكان يطبق مبدأ : حَشْد القوّة ، فقد حشد قوات ضاربة قادرة على الفتح واستعادة الفتح واحراز النصر ، فحشد في جيشه اهل الشام واهل البصرة واهل الكوفة ووجوه أهل خراسان والرّي في مئة الف مقاتل سوى الموالي والمماليك والمتطوعين (١٣٦) وذلك قبل أن يسير إلى جرجان وطَبرستان .

وهذا مجرّد مثال واحد على احتفال يزيد الباهر في تطبيق مبدأ . حشد القوة

وكان يطبّق مبدأ . الاقتصاد في المجهود ، فقد كان يستخدم القوات المناسبة لتحقيق الهدف المناسب . ولم يُعرف عنه أنه بذّر في المجهود أو استهتر بارواح أصحابه دون مسوّغ .

وكان يطبّق مبدأ . المرونة ، تطبيقاً رائعاً حقاً ، فلما ساءت احوال قواته في جُرجان ، لم يصرّ على تنفيذ خطته العسكرية المرسومة في القضاء على الأصبهبذ في طَبَرِستان . لأنّه اقتنع أنّ القوة وحدها لاتحقق له هدفه في استعادة الفتح فلجأ الى المفاوضات السياسية ، وأوفد حَيّان النّبطي إلى حاكم طبرستان ، فعقد معه صلحاً وضع حداً للحرب الدائرة بين الجانبين إلى حين (١٣٧) .

ومن هذه العملية السياسية التي نفذها يزيد بنجاح ، نستنتج أن القوة وحدها قد تعجز عن تحقيق كثير من الأهداف . وأنّ السياسة قد تنجح في تحقيق أهداف عجزت القوّة العسكرية عن تحقيقها . وأنّ القوة لايمكن أن تستغني عن السياسة . كما أنّ السياسة لايمكن أن تستغني عن القوة ، والقائد الحصيف

---

(١٣٦) الطبري (٦/٥٣٢) .
(١٣٧) انظر التفاصيل فى الطبري (٦/٥٣٩ ــ ٥٤١) وابن الاثير (٥/٣٠ ــ ٣٢) .

هو الذي يحقق التوازن بين السياسة من جهة وبين القوة من جهة أخرى .

ولكن يزيد لم يكن مرناً في المناورة أثناء القتال ، فهو اما أن ينتصر أو يموت ، أما أن ينحاز الى فئة أو ينسحب ، فلا .

وكان يطبق مبدأ : التعاون ، فقد كان ينسق التعاون بين أجناد الأمصار كما ذكرنا في تطبيق مبدأ الحشد ، فقد تعاون أجناد الكوفة وأجناد البصرة وأجناد الشام وأجناد خُراسان وأجناد الرَيّ ، وكان التعاون بين جميع هذه الاجناد وثيقاً فعملت بقيادة واحدة لتحقيق أهداف موحدة ، كما أنّ يزيد طبق هذا المبدأ في الحرب ، فجرى التنسيق بين قوات الهجوم الجبهوى وقوات الهجوم من الخلف ، فانتصر المسلمون في تلك المعركة على عدوّهم .

وكان يطبق مبدأ : إدامة المعنويات ، وقد ذكرنا قصّة كتات يزيد إلى سليمان بن عبد الملك يبشّره بالنصر وبضخامة الغنائم في استعادة فتح جُرجان فأخذنا على يزيد مبالغته في هذه الرسالة ، ولكنه أراد بهذه المبالغة أن يتسامع بها رجاله بخاصة والمسلمون بعامة من أجل رفع معنوياتهم وإدامة مستواها الرفيع

وقد كان يكثر من مواجهة قوّاته بخطبه وأحاديثه ، لرفع المعنويات وإدامتها ، وكان يبادر إلى معالجة أي انهيار معنويّ فوراً ولا يفسح المجال أبداً لانهيار المعنويات .

وكان يطبق مبدأ الأمور الادارية ، فقد كان أسلوب توزيع الأرزاق على أفراد قواته بعد انتصاره في معركة البُحيرة متميزاً للغاية وعملياً وناجحاً . وكانت المسؤولية في جمع الغنائم وتوزيعها واضحة للغاية ، وكانت الرقابة على أموال الدولة صارمة بحيث لم يغب عنه ولا عن قواته تصرّف المسؤول عن مخازن الغنائم بخريطة تافهة الثمن والقيمة ، فأُعيدت إلى المخازن ، ونال الذي تصرف بها اللوم والتأنيب ١٣٩) .

(١٣٨) الطبري (٦/٥٤٤ ـ ٥٤٥) وانظر ابن الاثير (٥/٣٥ ـ ٣٦) .

(١٣٩) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٣٨ ـ ٥٣٩) وابن الاثير (٥/٣٢ ـ ٣٣) .

وكان يغدق على رجاله إغداقاً بلغ حدّ الاسراف ، ولما هرب من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ودخل البَصْرَة ، أخذ يعطي مَنْ أتاه قطع الذّهب والفِضّة ، فمال الناس اليه (١٤٠) . وكان في كل حياته العامة والخاصة كريماً معطاءً لايقصّر في العطاء ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

وكان يتدخل بتفاصيل القضايا الادارية ، لأنه يعرف أهميتها القصوى وكمثال على ذلك اتخاذه (الفعلة) ، وهم سلاح الهندسة كما نسميه في المصطلحات العسكرية الحديثة ، يقطعون الشّجر ، ويصلحون الطرق (١٤١) .

وكما كان يهتمّ بتأمين القضايا الادارية لاصحابه ، كان يحول دون وصولها الى عدوّه ، ففي حصار دِهِسْتان : ألح عليها وأنزل الجنود من كل مكان حولها ، وقطع عنهم المواد ، فلما جُهِدوا أوعجزوا عن قتال المسلمين ، واشتدّ عليهم الحصار والبلاء ، بعث صُول دِهْقان دِهِسْتان الى يزيد : «اني أصالحك على أن تؤمنني على نفسي وأهل بيتي ومالي . . . » (١٤٢) .

وكانت وسيلة يزيد لحرمان العدو من القضايا الادارية ، فرض الحصار على المدن والحصون التي يستعصى عليه فتحها ، وما فرضُ الحصار إلاّ معركة يربحها منْ يحرم العدو من المواد الغذائية وغيرها من القضايا الادارية ، ويؤمن في نفس الوقت القضايا الادارية لرجاله .

وما دمنا قد تطرقنا الى فرض الحصار ، فقد مارس يزيد في حرب جُرجان وطبرسْتان هذا الأسلوب التعبوي مرتين : مرة في حصار منطقة البحيرة حصاراً مديداً لمدة ستة شهور (١٤٣) ، ومرة في حصار مديد لمدة سبعة شهور(١٤٤) وانتصر في الحصارين على عدوه .

(١٤٠) الطبري (٦/٥٨٠) وابن الأثير (٥/٧٢) .
(١٤١) الطبري (٦/٥٣٤) .
(١٤٢) الطبري (٦/٥٣٤) .
(١٤٣) ابن الأثير (٥/٣٣) وهى منطقة دهستان .
(١٤٤) الطبري (٦/٥٤٢) .

ونهوض يزيد بهذين الحصارين المديدين ، يكذب مزاعم أعداء العرب من مستشرقين ومستغربين بأن العرب لايصبرون على حصار طويل .

وانتصار يزيد في هذين الحصارين المديدين على أعدائه ، دليل قاطع على اهتمامه بالقضايا الادارية اهتماماً كبيراً قاده الى النصر ، فلا نصر لقائد في حصار مديد لايؤمن القضايا الادارية لقواته بشكل متميز قدير ، ويحرم عدوه منها بشكل صارم شديد .

هـ : لقد كان يزيد ذكياً حاضر البديهة ، لذلك كانت قراراته سريعة وصحيحة ، وبالرغم من شجاعته الخارقة ، « فكان أصحابه يقولون له : « انصرف ونحن نقاتل عنك ، فأبى ان يفعل ، وغَشِيَ القتال يومئذٍ بنفسه ، وكان كأحدهم » ، الا أنه لم يكن متهوراً ، إذ لم يكن يفقد أعصابه ، في ساعة القتال ، ويُعِدّ لكل أمر عدّته لانقاذ رجاله وإحراز النصر (١٤٥) .

وكان يزيد يتمتع بارادة قوية ثابتة ، اذا اقتنع بأمر نفّذهُ ، لأنه كان شجاعاً لا يهاب الموت ولا يخشى أحدا .

وكانت نفسيته لاتتبدل في حالتي النصر والهزيمة ، فلا يتجبر في حالة النصر ، ولا يذل في حالة الهزيمة ، فهو ثابت النفس صاب العود ، يثق ثقة مطلقة بالقضاء والقدر .

وبلغ من قوّة شخصية يزيد ، أنه كان يتحدى الحجّاج الذي لايُتحدّى ، فقد أطلق الأسرى من عشيرته ومَن له فضل عليه أو على أهله ، ثم بعث بالباقين الى الحجاج لينفّذ فيهم حكم الموت (١٤٧) .

وكتب الحجاج الى يزيد : « أنْ أغز خُوارزْم » ، فكتب اليـه :

(١٤٥) الطبري (٦/٥٣٣ – ٥٣٤) .
(١٤٦) الطبري (٦/٥٣٤) وابن الأثير (٥/٣٠) .
(١٤٧) الطبري (١٦/ ٣٨٠) .

« أيها ألامير ! إنها قليلة السلب ، شديدة الكَلَب »، فكتب اليه الحجاج : «لاتَغزُها ، فانها كما وصفت » . فغزا يزيد ولم يُطِعْهُ (١٤٨) .

وكان الحجّاج بعد أن هزم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لم يبق له همّ الا يزيد وأهل بيته ، وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم الا يزيد وأهل بيته ومَنْ معهم من أهل المصرَيْن ، البصرة والكوفة – بخراسان (١٤٩)

لقد كانت شخصية يزيد شخصية فذة ، تملأ الأعين قدرا واجلالا ، وتملأ الأنفس هيبة ووقاراً .

وكان يتمتع بقابلية بدنية سليمة ، فقد مارس الحرب وهو في ريعان الشباب ينازل الابطال ولداته يلعبون في الطرقات ، ومات وهو في أوج قابليته البدنية فسقط قتيلاً في المعركة ولم يسقط السيف من يده .

وكان له ماضٍ ناصع مجيد حسباً ونسباً ، وقديماً وجديداً ، وحتى آخر لحظة في حياته آثر الموت على الحياة في معركة خاسرة معروفة النتائج سلفاً ، على أن يلوث أحسابه أو سيرته بشائبة الهرب .

وقد صدق ثابت قُطْنَة في وصف يزيد قائلاً:

إن أمرأً حدبتْ ربيعة حولَه
والحيُّ من يَمن وهاب كؤودا (١٥٠)

لضعيفُ ماضمَّت جوانحُ صدرِه
إنْ لم يَلُفَّ الى الجنود جنوداً (١٥١)

أيزيدُ كُنْ في الحَرْب إذ هيّجتها
كأبيك لا رعشاً ولا رِعْديداً (١٥٢)

---

(١٤٨) الطبري (٣٩٦/٦) .
(١٤٩) الطبري (٣٩٦/٦ – ٣٩٧) .
(١٥٠) الكؤود : المرتقى الصعب .
(١٥١) ماضمت جوانح صدره : كناية عن القلب .
(١٥٢) الرعش والرعديد : الجبان .

شَاوَرْتَ أكْرم من تناول ماجداً
فرأيت هَمَّك في الهموم بعيداً
ما كان في أبَوَيْك قادحُ هُجْنَة
فيكون زندك في الزناد صلودا (١٥٣)
إنا لضرّابونَ في حَمَس الوَغَى
رأسَ المتوّج إن أراد صدوداً
وقُرٌ إذا كَفَر العجاج ترى لنا
في كل معركة فوارس صيداً (١٥٤)
ياليتَ أُسْرتك الذين تغيّبوا
كانوا ليومك في العراق شهُوداً
وترى مواطنهم إذا اختلف القنا
والمشرفيّة يلتظين وقوداً (١٥٥)

فلما قرأ يزيد قصيدة ثابت ، ويزيد في العراق يستعد لحرب مَسْلَمَة بن عبد الملك ، وثابت في خُراسان وعلم أن يزيد مصممٌ على إحدى الحسنيين : النصر أو الموت ، قال : « إنّ ثابتاً لغافلٌ عما نحن فيه ، ولعمري لأطيعنّه وسيرى مايكون ، فاكتبوا اليه بذلك (١٥٦) .

تلك هي مجمل مزايا يزيد الرئيسة قائداً ، ومزاياه الفرعية أيضا ، وقد كان الرجل مكشوفاً غير معقّد ، يستطيع الدارسون تبيّن شخصيته قائداً

(١٥٣) الهجنة : كون احد الزندين وارياً والآخر صالداً ، وصلد الزند : صوت ولم يور ، فهو صالد وصلود .
(١٥٤) العجاج : الغبار . كفره كفراً بالفتح : ستره وغطاه . والثرى الارض . وصيد : جمع أصيد ، وهو رافع راسه كبرا .
(١٥٥) القنا : الرماح . والمشرفية : السيوف نسبة الى مشارف الشام .
(١٥٦) الاغاني (١٤/٢٧٧ – ٢٧٨) .

وإدارياً بوضوح ، ومن النادر أن نجد قائداً وإدارياً من الذين لهم صفحات في التاريخ العربي الاسلامي يمتلك شخصية واضحة المعالم غاية الوضوح كما في شخصية يزيد ، فقد عاش الرجل لالنفسه حسب بل للناس جميعاً ، فبقي خالداً في التاريخ بينما مات الذين عملوا لأنفسهم وهم على قيد الحياة .

لقد كان يزيد قائداً فذاً ، قد لا يتكرر مثله إلا نادراً .

٢ ـ اسباب هزيمته

حين عزل الحجّاج يزيد عن خُراسان ، استشار يزيد أحد المقربين اليه من ذوي العقل والحكمة ، وهو حُضَيْن بن المنذر فقال له : « أقِمْ واعتلَّ فانَّ أمير المؤمنين حسن الرأي فيك ، وإنما أُتيتَ من الحجاج ، فان أقمتَ ولم تعْجل ، رجوت أن يكتب اليه أن يقر يزيد » . قال : « أنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف » (١٥٨) .

وفي سنة ثلاث وثمانين الهجرية (٧٠٢م) . خاض عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث الكِنْدِيّ معركتين كبيرتين في ثورة عارمة على الدولة التي كان الحجّاج يقود جيشها ، فانتصر الحجّاج على ابن الأشعث ، وهرب ابن الأشعث وفلول جيشه إلى سِجِسْتان .

---

(١٥٧) هو حُضَين بن المنذر بن الحارث بن وَعْلة بن المجالد بن اليَثْربيّ ابن الرَّيّان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة ، صاحب راية ربيعة كلها العلى بن ابى طالب رضى الله عنه يوم صفين ، وفيه يقول على رضى الله عنه :

لمَنْ رايةٌ سَوْداء يَخْفقُ ظِلها اذا قيل : قدّمها حُضَيْنُ تقدما

انظر جمهرة انساب العرب (٣١٧) .

(١٥٨) الطبري (٦/٣٩٥) .

ولجأت تلك الفلول إلى (هَراة) بقيادة عبد الرحمن بن العبّاس الهاشمي فخاض يزيد معركة ضد تلك الفلول بعد أن بذل قصارى جهده في دعوته السلميّة دون جدوى .

وكان يزيد من البصرة ، وكان الحجاج قد أذلّ أهل العراق كلهم ألا يزيد وأهل بيته ومَنْ معهم من أهل البصرة والكوفة بخراسان (١٥٩) .

وفي عنفوان المعركة التي دارت بين يزيد من جهة والهاشمي من جهة أخرى أراد أحد رجال الهاشمي ، أن يسمع يزيد مايعانيه أهل العراق من الحجاج فقال :

دَعَتْ يايزيدَ بن المهلّب دَعْوَةً
لها جَزَعٌ ثمّ استهلّتْ عيُونُها

ولو يُسْمِع الداعي النداءَ أجابَها
بِصُمِّ القَنَا والبيْض تلْقَى جفُونها

وقد فَرَّ أشرافُ العِراق وغادروا
بهــا بقَراً للحيْن جُمّاً قُرونُها

وأراد أن يحض يزيد ، فسكت يزيد طويلاً حتى ظن الناس أنّ الشعر قد حركه ، ثم قال لرجل : « نادِ وأسمعهُم ، جَشّموهم ذلك » ، يريد : أنتم كلفتموهم بذلك ، فقال خُلَيد .

لبئس المنادي ، والمنوّهُ باسمــه
تناديه أبكارُ العراق وعونُــها

يزيد إذا يُــدْعى ليوم حَـفيظَـة
ولا يَـمْـنَـعُ السّوْآتِ إلاّ حُـصُونُها

فإني أراه عن قليلٍ بنفســـــه
يُدانُ كما قــد كان قَبْلُ يَدينُها

(١٥٩) الطبري (٣٩٦/٦ ـ ٣٩٧) .

فلا حُرَّةٌ تبكيه لكن نوائحٌ
تُبكي عليه البُقْع عنها وجُونها (١٦٠)

وهكذا أراد الشاعر استثارته لعله ينتقض على الحجّاج حميّة لاهل العراق العرب الذين هو منهم . ولكنه فكر ملياً قبل أن يُجيب ، فلما عاد اليه رشده بعد سكوته الطويل ، لم يستجب إلى إثارة الشاعر العاطفية ، والقى باللوم كله على الثوار الذين اصطلت بنار ثورتهم نساء العراق ورجاله على السواء .

ولما ألح الحجّاج وألحف على عبد الملك بن مروان في طلب عزل يزيد من خُراسان بحجة انه من الموالين لآل الزبير وأن يزيد وآل المهلب زبيرية كتب اليه عبدالملك : « إني لاأرى نقصاً بآل المهلّب طاعتهم لآل الزّبير بل أراه وفاء منهم لهم ، وإنّ وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي » (١٦١) .

لقد كان يزيد رجل دولة ، منضبطاً ملتزماً ، وكان يتحلّى بمزية الضبط المتين ، ولكنه لم يكن إمّعة يميل حيث تميل الريح ، بل كان له رأيه الذي يعتز به ولا يُخفيه . ولم يكن من أهدافه إعلان الثورة على الدولة ولاخلع الخليفة فقد خدم الدولةوالخلفاء خدمة صادقة كل حياته وقاتل أعداءهم في خارج الحدود وداخلها وحقق انتصارات باهرة هو والمهالبة من آل بيته يذكرها التاريخ لهم ما بقي التاريخ .

ولكنه هرب من سجن حلب بعد أن أيقن أن عمر بن عبد العزيز يعاني سكرات الموت . وكتب الى عمر بعد أن أصبح حراً من سجنه : « إني والله لوعلمتُ أنك تبقى ماخرجتُ من محبسي ، ولكني لم آمن يزيد بن عبدالملك (١٦٢) .

وصدق يزيد بن المهلب . فقد كان بينه وبين يزيد بن عبد الملك عداوة

(١٦٠) الطبري (٦/٣٧٢) .
(١٦١) الطبري (٦/٣٩٥) .
(١٦٢) الطبري (٦/٥٦٤) .

مستحكمة ، وكان يخشى أن يعذبه يزيد ويقتاه ، فكان انطلاقه من سجنه دفاعاً عن النفس ، وهو دفاع مشروع .

وتطورت الأمور بسرعة بعد وصول يزيد إلى العراق ، وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن ، حتى آلت الأمور إلى ما آلت اليه حرباً ضروساً لم يكن من دعاتها ولكنه اصطلى بنارها ، فاحترق الاخضر واليابس ، ووقع أبلغ الضرر على يزيد وآل بيته .

وسبب اندحاره في تلك الحرب بالرغم من كفايته القيادية ، هو أنّ الاحداث جرفته بقوة وعنف ، فلم يستطع أن يختار مكان المعركة وزمانها ، ويفرض هذا الاختيار فرضاً على قائد جيش الدولة ، وبذلك خسر نصف المعركة قبل أن ينشب الاقتتال .

فقد كتب يزيد بن عبد الملك إلى أمير الكوفة وأمير البصرة يعلمهما بهرب يزيد بن المهلب ويأمرهما أن يتهيأ كلّ منهما لقتاله ، وأن يسجن أميرُ البصرة آل بيت المهلّب .

اما امير الكوفة ، فقد بعث جيشاً لقتال يزيد ، فمرّ يزيد في طريق هربه إلى البصرة بجيش الكوفة . فاتّقى ذلك الجيش الاقدام عليه ، فمضى يزيد إلى سبيله ، وعاد جيش الكوفة إلى الكوفة راضياً بالسّلامة .

وأما أمير البصرة ، فقد جمع اليه أهل البصرة ، وخندق عليها ، وبعث على خيل البصرة قائداً من قادته ، فقال عبد الملك بن المهلب لأمير البصرة : « خُذْ ابني حُمَيداً فاحبسه مكاني ،وأنا أضمن لك أن أردّ يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس ، ويطلب لنفسه الأمان ، ولا يقربك » ، فأبى عليه .

وجاء يزيد ومعه أصحابه الذين أقبل فيهم ، والبصرة محفوفة بالرجال ، وقد جمع محمد بن المهلّب — ولم يكن ممن حُبِسَ — رجالاً وفتية من أهل بيته وناساً من مواليه ، فخرج حتى استقبل يزيد ، فأقبل يزيد في كتيبة تهول من رآها.

وأقبل يزيد لا يمر بخيل من خيول البصرةَ ولا من قبائلها الا تَنَحَّوْا

له عن طريقه حتى يمضي . واستقبله قائد خيل والي البصرة ، فحمل عليه محمد ابن المهلّب في الخيل ، فأفرج له عن الطريق هو واصحابه .

ومضى يزيد في طريقه قُدُماً حتى نزل داره ، واختلف الناس اليه .

وبعث يزيد إلى امير البصرة ، أن ادفع إليّ إخوتي الذين سجنتهم ، وأنا أصالحك على البصرة ، وأُخليك وإياها حتى آخـذ لنفسي ما أُحبّ من يزيد ابن عبد الملك .

ولكن أمير البصرة رفض عرض يزيد ، فاضطرّ يزيد أن ينقذ إخوته من السجن بالقوة (١٦٣) .

وسُفك الدم بين رجال الدولة ورجال يزيد . فلم يعد هناك أمل بالصلح بين الجانبين .

وكان حُمَيْد بن عبد الملك بن المهلّب قد خرج الى يزيد بن عبد الملك في الشام ، فبعث معه ابن عبد الملك بأمان يزيد وأهل بيته (١٦٤) ، ولكن هذه المساعي السلمية للصلح جاءت متأخرة بعد أن سُفك الدّم . والدّم يعقبة الدّم .

وتكاثر الناس على يزيد في البصرة ، ينضمّون إلى جيشه ، كان يغدق عليهم المال بسخاء . بينما يبخل عليهم أمير البصرة بهذا المال (١٦٥) ، وأكثر الناس عبيد جيوبهم لاسادة قلوبهم .

وخرج يزيد من البصرة ، وخرج معه بالسلاح وبيت المال ، فاقبل حتى نزل مدينة (واسط) ، وهناك استشار أصحابه قائلاً : « هاتوا الرأى ، فانّ أهل الشام قد نهضوا اليكم ! » ، فقال له حبيب بن المهاب ، وقد أشار عليه غير حبيب أيضاً ، فقالوا : نرى أن تخرج وتنزل بفارس ، فتأخذ بالشعاب والعقاب وتدنو من خُراسان ، وتطاول القوم ، فانّ أهل الجبال ينفضّون

(١٦٣) انظر التفاصيل في الطبري (٥٧٨/٦ — ٥٨٢) .
(١٦٤) الطبري (٥٨٠/٦) .
(١٦٥) الطبري (٥٨٠/٦ — ٥٨١) .

اليك وفي يديك القلاع والحصون » ، فقال يزيد : « ليس هنا برأي ، ليس يوافقني هذا ، وانما تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل » . فقال حبيب « فان الرأي الذي كان ينبغي أن يكون في أول الامر قد فات : قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجّه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة ، فان اميرها مررت بهفي سبعين رجلاً فعجز عنك ،فهو عن خيلك أعجز في العدةفنسبق اليها أهل الشام ، وعظماء أهلها يرون رأيك وان لي عليهم أحب إلى جاهم من أن يلي عليهم أهل الشام ؛ فلم تطعني ! وأنا أشير الآن برأيي : سرّح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأتي الجزيرة — جزيرة ابن عمر — وتبادر اليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها ، فاذا أقبل أهل الشام بريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة ، ويقبلون اليك ، فيقيمون عليهم ، فيحبسونهم عنك ، حتى يأتيهم فيأيك مَنْ بالموصل من قومك ، وينفض اليك أهل العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم في ارض رخيصة السّعر ، وقد جعلت العراق كلّه وراء ظهرك ! » ، فقال : « إني اكره ان اقطع جيشي وجندي » (١٦٦) .

ولم يستطيع يزيد أن ينفّذ رأياً من هذه الآراء الحصيفة المخلصة ، لأن الأحداث التي كانت تجري بسرعة خاطفة قد سبقته ، فقد بعث يزيد ابن عبدالملك العبّاس بن الوليد بن عبد الملك في اربعة آلاف فارس جريدة خيل ، حتى وافوا الحيرة يبادر اليها يزيد بن المهلب ، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود الشام ، واخذ على الجـزيرة وعلى شاطىء الفـرات (١٦٧) ، ففات الوقت التي كان يستطيع ابن المهلب أن يسير الى الجزيرة ، لأنها أصبحت بسيطرة أهل الشام ، أو يسير الى فارس وخُراسان ، لأنّ جيش الشام أصبح قريباً منه لايدعه يفلت أو يتملص من قبول المعركة .

---

(١٦٦) الطبري (٥٨٨/٦ — ٥٨٩) .

(١٦٧) الطبري (٥٨٥/٦) .

وهكذا فرضت قوّات الدولة مكان المعركة ، وزمانها ، فربحت بذلك الدولة نصف المعركة ، وكان المفروض ان يفرض زمان المعركة ومكانها يزيد على قوّات الدولة .

ولم يكن مكان المعركة مناسباً ، فقد كان مكشوفاً في سهل ممتد الى مسافات شاسعة ، يساعد على الهجوم ولكنه لا يساعد على الدفاع ، وقوات الدولة اذا خسرت المعركة فيه ، فانها لاتخسر كل شيء ، لأنها تستطيع أن تُعيد الكرة مرّة بعد أخرى ، حتى تحرز النصر .

أما الأمر بالنسبة الى يزيد ، فمختلف جداً ، لأنه اذا خسر معركة واحدة فقد خسر كل شيء كما حدث ، ذلك فعلاً .

كما أنّ مكان المعركة قريب من قاعدة الدولة الرئيسة في أرض الشام ، كما أنه قريب من القواعد المتقدمة : الكوفة وواسط والبصرة والجزيرة ، ولاعبرة بسيطرة يزيد على البصرة وواسط ، لأنها تبقى قواعد متقدمة للدولة ، مادامت الدولة قائمة ، وتدفع الأموال ثمناً للامورالادارية التي يحتاج اليها جيشها ، أما فارس وخُراسان فبعيدة عن قواعد الدولة الرئيسة والأمامية والمتقدمة ، مما يعرقل القضايا الادارية لقوات الدولة ، ويهدد خطوط مواصلاتها بالانقطاع في اول نكسة تصيب تلك القوّات .

كما أنّ ليزيد جذوراً عريقة وعميقة في خراسان ، وفيها أعداد ضخمة من قومه ومن الموالين له يَعتمد عليهم غاية الاعتماد في القتال ، فكان بامكان يزيد الاستفادة من اولئك الأنصار المخلصين له في الحرب ، وقد ادرك يزيد هذه الحقيقة بعد فوات الاوان ، فقال قُبَيْل أن ينشب القتال : « ترون أن في هذا العسكر الف سيف يُضرب به ؟ ! » ، فقيل له : أي والله ، وأربعة آلاف سيف » ، قال « انهم والله ما ضربوا الف سيف قط ، والله لقد أحصى ديواني مئة وعشرين الفاً ، والله لوددْتُ أنّ مكانهم السّاعة معي مَنْ بخراسان

من قومي ! » (١٦٨) .

ولم يكن زمان المعركة مناسباً أيضاً ، فان المطاولة تفيد يزيد لاستكمال استحضاراته القتالية ، فكان ينبغي أن يكمل هذه الاستحضارات ثم ينشب القتال بعد اكمال الاعداد لاقبله على كلّ حال .

ومن أسباب هزيمة يزيد ، أنه لم يستطع أن يُعلن سبباً مسوغاً لثورته على الدولة ، فخوفه على نفسه من يزيد بن المهلب ليس سبباً يقنع الناس في حينه بأنه على حق فيما اقدم عليه .

لقد تظاهر يزيد بانه ثار على الدولة ليعمل بكتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم (١٦٩) ، باعتبار أنّ الدولة انحرفت عن منهج الدين الحنيف ، ولكن لااعتقد أنّ الحشود الذين التفوا حوله قد صدّقوا هذا الشعار الذي أعلنه ، كما لا أعتقد أن آل بيته المهالبة قد صدّقوا هذا الشعار أو التزموا به .

وقد كان الشعور الديني حينذاك قوّياً عارماً ، وكان الناس يقبلون على مثل هذا الشعار إقبالاً شديدا ، وكان في البصرة والكوفة من العلماء الأعلام الذين لا تنطلي عليهم الشعارات الزائفة ولا يسكتون عن الذين يحملونها زوراً وبهتاناً .

فقد خطب يزيد بعد خلع يزيد بن عبد الملك وإعلان ثورته ، فأخبر اهل البصرة بخطابه أنه يدعو الى كتاب الله وسنّة نبيّه ويحثهم على الجهاد ، وكان الحسن البصري يسمع ، فرفع صوته يقول : « والله لقد رأيناك والياً ومُوَلّى عليك ، فما ينبغي عليك ذلك » (١٧٠) ، ومرّ الحسن بالناس وقد نصبوا الرايات وهم ينتظرون خروج يزيد ، وهم يقولون : تدعونا الى سُنّة العُمَرَين ، فقال الحسن : « كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم

(١٦٨) الطبري (٥٩٢/٦) .
(١٦٩) الطبري (٥٩٢/٦) .
(١٧٠) ابن الأثير (٧٥/٥) .

يرسلها إلى بني مروان يريد رضاهم ، فلما غضب نصب قصباً ثم وضع عليها خرقاً ، ثم قال « اني قد خالفتهم فخالفوهم ! قال هؤلاء : نعم ! ثم قال : « إني أدعوهم إلى سُنّة العُمَرَيْن ، وأنّ من سُنّة العُمَرَيْن أن يوضع في رجله قيد ثم يُردّ إلى محبسه » (١٧١) . ثم مضى الحسن يثبط الناس ، ويأمرهم بالقعود ، لان يزيد في شعاره الديني الذي رفعه ليس صادقاً .

وكان في المجتمع الاسلامي من علماء الحق أمثال الحسن البصري كثير ، يقولون كلمة الحق كما جاء بها الدين الحنيف ، ولم يكن في ذلك المجتمع من علماء السلطان الذين يؤيدون السلطان ويسوغون كلمته مهما تناقض تعاليم الدين الحنيف ، لذلك أخفق يزيد في رفع هذا الشعار ، لأنه لم يكن بينه وبين رجال الدولة فرق كبير ، ولان صوت علماء الحق اكتسح صوت علماء السلطان ، فالتف حول يزيد الراغبون في الدنيا ، ولم يلتف حوله الراغبون عن الدنيا .

ومن المعلوم أنّ الذي يقاتل عن عقيدة راسخة ، ليس كالذي يقاتل بدون عقيدة ، والجندي المجاهد غير الجندي المرتزق ، وكل ثورة بلا (قضيّة) تؤمن بها وتدافع عنها قد تنتصر ولكن انتصارها لايبقى طويلاً ، ومصيرها إلى الاخفاق الاكيد .

وقد كان غالبية جند يزيد مرتزقة ، تكاثروا عليه حين وجدوه جواداً كريماً . وتخلوا عن أمير البصرة حين وجدوه بخيلاً مقتّراً ، فلما زجت الدولة بقواها الضاربة وفتحت خزائنها بسخاء للذين يؤيدونها ، تسلل كثير من المرتزقة إلى معسكر الدولة من معسكر يزيد ، فالامر بالنسبة لهؤلاء مسألة مكاسب شخصية لا اكثر ولا اقلّ .

كما أنّ غالبية جيش مَسْلَمَة بن عبد الملك ، وهو جيش الدولة ، كان من المرتزقة أيضاً ، فكان من اسباب اخفاق يزيد أن مرتزقته قاتلوا لمستقبل غير

(١٧١) الطبري (٥/٧٦) .

مضمون ، بينما انتصر مرتزقة الدولة لانهم قاتلوا لمستقبل مضمون ، فما مستقبل يزيد الغامض كمستقبل دولة قائمة راسخة الجذور .

وبالنسبة للمرتزق ، فانه يشهد الحرب ولكنه لايقاتل الا مضطراً أبداً ، أما اذا كان في غفلة من عيون المراقبين ، فهو لايقاتل ابدا ، بل يأوى الى موضع امين مريح ، حتى تنتهي المعركة غير مكترث اذا خسرها الذين يرتزقون منهم أو ربحوها ، وقد ينقلب عن جماعته الى اعدائها اذا كان ما يدفع العدو أكبر مما يدفعه الصديق .

فاذا شعر المرتزق أن حياته أصبحت مهددة بالموت ، وكان قادراً على الفرار فانه لا يتردد لحظة واحدة عن الفرار من خطر المعركة إلى امن السّلام .

وقد هرب مرتزقة يزيد فورا حين قيل لهم : أحرق الجسر ، فانهزموا لايلوون على شيء ، لانّ الجسر يفيدهم في التسلل إلى الصحراء أو إلى المدن الأخرى فقال يزيد : « قبّحهم الله ! بَقٌ دُخّن عليه فطار » ، وخرج يزيد وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : « اضربوا وجوه من ينهزم » ، ففعلوا ذلك بهم ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : « دعوهم ! فوالله إني لاارجو ألا يجمعني الله واياهم في مكان واحد ابدأ ! دعوهم يرحمهم الله غنمٌ عدا في نواحيها الذئب » (١٧٢) .

وصدق يزيد ، فالمرتزقة كالبق ، يطير بعيدا عن الدخان ، أما غير المرتزق فلا يخشى الدخان ، بل يقتحم النار ولا يحترق .

وسبب هرب المرتزق في اول صدمة ، هو أنه لا (قضية) له يؤمن بها ويدافع عنها ويضحي من أجلها ، كما أنه يتعرض للموت ، فالروح أغلى من المال الذي يقبضه ، وهو تاجر في الحرب يوازن بين الخسارة والربح ، فاذا ربحت كفة الخسارة على كفة الربح ، تملص من المعركة ناجياً بروحه ليدخرها لارتزاق جديد .

---

(١٧٢) الطبري (٦/٥٩٥) .

وهكذا لم يبق مع يزيد في معركة (العَقر) غير اصحابه ومواليه وناس من قومــه ، ثبتوا وضحّوا دفاعــاً عن انفسهم ومصــالحهــم الشخصية واحسابهم ، اما(القضية)التي يضحي الناس من اجلها ، فغائبة عن هذا الميدان.

وتَغَلّبُ عنصرِ المرتزقة على جيش يزيد ، جعله لا يثق به كما كان يثق برجاله الذين قاتلوا تحت رايته في معارك الفتح ومعارك استعادة الفتح .

وقد كان تَعداد جيشه مئة الف في معركة (العَقْر) ، ولكنه كان لا يصدق أنّ الفاً منهم يقاتلون كما يقاتل الرجال (١٧٣) ، أي أنّه كان يثق بواحد بالمئة من تعداد جيشه ولا يثق بتسع وتسعين بالمئة من هذا الجيش !

ولا يمكن أن ينتصر قائد يقود مثل هذا الجيش !

ومن عيوب المرتزقة ، أنهم لا يتحلّون بالضبط المتين ، فهم لا يطيعون الاوامر كما ينبغي . ولا ينفذونها إذا كان تنفيذها يناقض مصالحهم الشخصية ، وبخاصة اذا كان تنفيذها يؤدى بهم الى الموت .

لقد كانت أوامر يزيد في المعركة لاتنفذ ، وكانت موضع نقاش بينه وبين المترددين من رجاله (١٧٤) . وكان لاينفذ أوامره غير اصحابه ومواليه وأهل بيته ، أما الباقون فكانوا متفرجين . ولقد برز رجل من اهل الشام في بداية المعركة ودعا الى المبارزة . فلم يخرج اليه أحد من جيش يزيد ، فاضطر محمد ابن المهلب أن يبرز للرجل الشامي ويقاتله (١٧٥) ، اذ ان المبارزة هي تحدى جيش لآخر . ولا ينبغي السكوت عن التحدي ولا قبوله .

تلك هي مجمل اسباب هزيمة يزيد : قبول معركته الفاصلة في وقت غير مناسب. وغياب (قضيّة) . يؤمن بها الناس ويلتفون حولها ويضحون من اجلها ،

---

(١٧٣) الطبري (٦/٥٩٢) .
(١٧٤) الطبري (٦/٥٩٣) .
(١٧٥) الطبري (٦/٥٩٥) .

وقيادة جيش من المرتزقة لايقاتل ولا يوثق به ، ولا يتحلى بالضبط المتين ولا يطيع الاوامر الصادرة اليه من القيادة ولا ينفذها .

بقي علينا أن نذكر أنّ يزيد كان يعتد برأيه كثيراً ولا يعتد بآراء الآخرين ، ولا يقبل نصائح الناصحين ، فهو قلما يستشير احداً واذا استشار خالف المشيرين .
وأستطيع أن أتبين بوضوح من دراسة شخصيته ، أنه كان يتميز بالعناد الشّديد ، فاذا قرر امراً مضى في تنفيذه ، غير ملتفت إلى آراء الآخرين .

وحين وجد اموره في معركة (العَقْر) سيّئة لا تبشّر بخير ، قرر أن يموت مقاتلاً ، فقد كان لايحدّث نفسه بالفرار (١٧٦) .
وطالما تحدث عن هرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكِنْدِيّ من معركته امام الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فقال عنه بمرارة وأسى : « إنّ عبد الرحمن فضح الذّمار ، وفضح حَسَبه ، وهل كان يعدو أجلَه » (١٨٧)
وهو الذي اوصى ابنه خالداً ، وقد بعثه قائداً لسرية في واجب محفوف بالاخطار ، في معارك استعادة فتح (جُرْجان) ، فقال لابنه : « إنْ غُلِبْتَ على الحياة ، فلا تُغْلَبَنّ على الموت ، وإيّاكَ أن اراك أنعندي مُنْهزماً » (١٧٨)
وليس يزيد ممن ينتقدون أحداً ، ولا يتحاشون ماعابوا الناس به ، وليس ممن يوصي ابنه بأمر ، ولا يطبّق وصيّته على نفسه ، وليس يزيد ممن يقولون مالا يفعلون .

ومضى يزيد إلى الموت حُضْراً على حصانه ، والسيف بيده لا يرتعش ولا يهون ، فسقط قتيلاً وبقي السيف بيده ، فخسر في معركته الأخيرة كل شيءٌ . . . . إلا الشَّرَف .

(١٧٦) الطبري (٥٩٦/٦) .
(١٧٧) الطبري (٥٩٢/٥) .
(١٧٨) الطبري (٥٤٣/٦) .

ابن المهلب في التاريخ

يذكر التاريخ ليزيد بن المهلب ، أنّه فتح مناطق واسعة في بلاد ما وراء النهر وخُراسان وَطَبرِستان .

وانه استعاد فتح مناطق شاسعة انتقضت من هذه البلاد الاسلاميّة الثلاثة .

وأنّه أعاد اليها الأمن والاطمئنان والسلام بعد ان كانت ردحًا من الزمن تعج بالقلاقل والاضطرابات والفتن .

ويذكر له ، أنّه كان قائداً فذاً لا يتكرر الا نادراً ، واداريًا قديراً يسيطر على رعيته بقوة من غير عنف وسماحة من غير ضَعف .

ويذكر له أنّه كان يؤثر أن يكون (غازياً) في الفيافي والقفار والسهول والجبال ، على أن يبقى (جابياً) فى المدن والأمصار والقصور والدور .

ويذكر له . أنّه كان يقود رجاله من (الامام) ، يقول لهم ، اتبعوني ، ولا يقود رجاله من الخلف ، يقول لهم : قدموا ، ويبقى هو في موضع أمين

ويذكر له ، أنّه كان جوادا سبق الاولين والآخرين في جوده ، كأنّ السّفن كانت تمخر في عُباب جوده .

ويذكر له. أنّه كان شجاعاً لا يخشى أحداً في القتال، ويخشاه كل أحد ، وكان الموت أهون عليه من الفرار .

ويذكر له ، أنّه كان يقول ويفعل ، ولا يقول دون أن يفعل، وكان عمله الغالب على قوله . فاذا تكلم التزم بكلامه التزاماً مطلقاً .

ويذكر له ، أنّه ضحى بنفسه ، ولم يُضح بشرفه ، فخسر كل شيء في معركته الأخيرة الا شرفه وشرف قومه .

ويذكر له ، أنّه من بين القلائل الذين استحقوا ثناء أعدى اعدائهم وثناء الذين ساقهم الى الموت في ميدان القتال .

ويذكر له ، أنّه كان فتى العرب في أيامه دون منازع ، وسيد أهل العراق بعامة واهل البصرة بخاصة .

ويذكر له ، أنّ قتله لم يكن خسارة للمهالبة وحدهم ، بل كان خسارة للدولة وخسارة للمسلمين كافة .

ويذكر له أنّه قضى حياته أميراً تارة وسجيناً تارة أخرى ، ولكن منزلته أميراً ومنزلته سجيناً في القمة بنظر الناس الذين يقصدونه في السجن كما يقصدونه في القصر .

ويذكر له ، أنّه من القلائل الذين يثبتون عملياً ، بانّ مراسيم الخلفاء تصنع الوزراء ولكنها لا تصنع الرجال .

يرحم الله القائد الفاتح ، الاداري الحازم ، الفارس البطل ، الجواد الكريم ، يزيد بن المُهلَّب بن أبي صُفْرة الازدي ، جزاء ماقدّم للعرب والمسلمين حياً من أعمال جليلة ، وما قدّمه ميْتاً من مُثُلٍ عُلْيا .



الملابسُ في مُعجَم لِسانِ العَرَب

الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يقترن الحديث عن الملابس بالحديث عن صناعة النسيج والوسائل التي حملت الانسان في مراحله الاولى على تطوير هذه الصنعة والاخذ بالاسباب الكفيلة التي تدفع الانسان الى الاهتداء لكل ما يدفع عنه عوامل الطبيعة ويقية حرها اللاهب او بردها القارص او مطرها الثقيل او ريحها الصرصر ، فالحاجة كانت بداية اولية لكل محاولة والوقاية كانت سبباً حيّاً من اسباب الانصراف لما يستر به جسده ويمنع ـــ كُلّ مايترك هذا الجسد نهباً لعوامل الطبيعة المؤذية وتقلباتها القاسية ، وَوحي محاولات الانسان التي تركها وهو ينتقل من مرحلة الى اخرى بالمراحل التي وقف عليها واستخدام ما تهيأ له منها بشدة الحاجة وعظم الغاية التي كان يفتش عنها لاختيار أنسب ما يقف عليه او يهتدي اليه او يراه جاهزاً مما تقع عليه عيناه . فورقة الشجر الكبيرة وأليافها كانت واحدة من المحاولات وجلود الحيوان واغلفة الاشجار كانت محاولة أخرى . وفي كل مرحلة من مراحل حياته كانت الملابس تأخذ طوراً يتناسب ومرحلة الحياة التي يقطعها واسباب الحضارة التي يأخذ بها عصر التقدم الذي يعيش فيه . لانها أقرب الوسائل اليه . واشدها تأثيراً في حياته ، وايسرها الى نفسه وهو يواجه المصير المرتقب فالبساطة كانت مظهراً من مظاهر تطورها . والواقعية في استخدام اوليات صناعتها كانت ظاهرة متميزة من ظواهر تطور صناعتها ، وتميز اصحاب حرفتها كانت عاملا من

عوامل التطور التي شهدته هذه الحرفة . ومن المؤكد ان الدراسات التاريخية الدقيقة للبدايات الاولى لنشأة الملابس ، والوقوف على الصناعات التي صاحبتها تحدّد النمط الفكري للانسان ، وهو يجتاز كل مرحلة من المراحل مستخدماً ما يراه مناسباً ومهيئاً ، وان حرصه الشديد وحاجته الملحة كانت تدفعه الى التقاط انسب العناصر والانتفاع من اقربها الى حياته وتحوير مايقدر على تحويره ليتخذ منه درعاً او وقاية تخفف عنه عاديات الطبيعة ويحفظ نفسه مما يعتور حياته من صعوبات .

واذا كانت عصور الحضارة قد حدّدت بصمات الصناعات الخاصة بالملابس واشارت الى الفنون التي تعطيها رونق الحضارة وبراعة التطريز والتزويق والتخطيط فان المراحل التي سبقت هذه المرحلة ظلت بعيدة الا اشارات مبهمة او تصاوير غير متميزة او آراء استنتاجية تحددها براعة المعنيين وتقدمها استدلالية البحث المتخصص لتربط بين حلقات التطور ، وتصل ما انقطع من سلسلة الازدهار التي شهدتها العصور الحضارية التي قطعتها الانسانية وهي تجد في الملابس زينة ويُضفي عليها من الجمال ما يجعلها أقرب الى الناس ، وهيبة تعظمها في المناسبات ، وزهواً يميزها في حساب الطبقات الاجتماعية التي تعطي كل فئة ما تنال به الوجاهة والمكانة .

وقد أفاضت التآليف الحديثة في هذا الحديث واستغرقت من ذكر فنون الانسجة ما يُغني (١) بعد أن تناثرت اخبارها في كتب الأدب وتحددت بعض معانيها واشكالها في معاجم اللغة ، واستشهدت ببعض ما وقفت عليه في كتب الفقه والتاريخ والرحلات والجغرافية . ومازال حالة بعض الملابس غير متميزة ، تتداخل فيها الاستعمالات ، وتضطرب في تسميتها النصوص لبعدها عن عصرنا ، وتجاوزنا دواعي استخدامها . ولكن تحديد اشكالها تبقى

(١) ينظر كتاب الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي للدكتور صلاح العبيدي وقائمة المصادر التي اعتمدها .

رهينة بالصور الآثارية او المصادر التي تكشف عن دقة تسميتها . ومحاولتي هذه لها خصيصة تختلف عن تلك الخصائص وانا أعود الى معجم لسان العرب لألتقط منه مفردات الملابس وما يتعلق بها او يتصل بالحديث عنها (٢) بعد أن قدمت قبل عشرين سنة بحثاً عن الملابس في الشعر الجاهلي ، مستخدماً المعاني التي وقف عليها الشعراء لمعرفة ما ورد من الاسماء وهي محاولة شاقة يعرفها الذين يعانون حالة التداخل في الاسماء والتعميم في المصطلح ومازال هذه الحالة غير متميزة – الى حد ما – في بعض الاصناف . وأملي ان اوفق فيما اعرض له في هذا الجهد واقدمه من هذا السفر الخالد الذي يحتجن مفردات غنية ، ويجمع نصوصاً ثرية ، ويقدم من اسباب الحياة الاجتماعية ما يربط بين الحضارة والواقع ويشدّ بين الحاجة والاقتدار ويعبّر عن طبيعة الأزياء واذواق الناس وانماط سلوكهم .

ان سعة مفردات الملابس التي اوردها صاحب اللسان واتساع قاعدة الاهتمام بها من حيث الجودة والخياطة والتنوع والاشكال والتلوين والتصوير والاستخدام ، ومن حيث الفتل والمتانة والصلابة والخشونة والقوة والكثافة او الرقة ، ومن حيث مواضع الاماكن التي تصنع بها ، وما قيل بشأن ترقيعها وانشقاقها وتمزقها وما تلبسه النساء او الصبيان وما يلبس في المطر وضروب الاكسية وغيرها مما سأقف عليه ، يحدد الجانب الحضاري الذي اعطى الملابس هذه الأهمية ، وترك لها هذه السعة في المعجم العربي وهو يعرض لدقائق لم يقف عليها الباحثون ولم يعرض لها الدارسون الذين ابتعدوا عن المعجم والتزموا بما تعاور عليه البحث من النصوص ، ومازال هناك مفردات غنية تعطي صنعة

(٢) لابد لي من الاشادة بجهود السيد منذر رديف طالب الماجستير الذي عمل معي رسالة الماجستير عن معجم السلاح في لسان العرب حين طلبت منه تسجيل ملاحظاته عن الملابس التي يمر عليها في المعجم فكان له الشكر على تهيئته ما طلبته منه فأفدت من ملاحظاته التي قدمها اليّ .

الملابس دورها في الحياة وتكشف عن جوانب فنية وحرفية بعيدة عن تناول الدارسين ، ولابد لي من الاشارة وانا اتابع هذه النصوص من الفائدة الكبيرة التي قدمتها كتب الحديث والفقه والسيرة والمغازي وهي تفصّل اخبار الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة الكرام ، وتقف عند دقائق المسائل وما يتعلق بحياتهم وتفاصيلها وما يلبسونه ووصف ذلك بدقة التزاماً بالسنّة واقتداء بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ودقة في وقوف المسلمين على ما كان يرتديه من ملابس ويحتفظ به ويؤثره في بيته ويحبذ استعماله منها واصناف الاقمشة والوانها . وقد قدمت هذه النصوص مادة أصيلة وحصيلة علمية اساسية في هذا الجانب ، واذا كانت بعض المفردات غير محددة في الاستعمال فدفعت اصحاب المعاجم الى تقديم اكثر من معنى وحملتهم على اعطاء اكثر من اسم لموصوف ممـــا أدى الى ارباك في الاستعمال واضطراب في تحـــديد اشكال الملابس وأوصافها ، ولعلّ هذا السبب هو الذي ادّى الى تباين الآراء واختلاف المقولات بشأن موضوع الملابس التي بقيت اوصافها مقتصرة على النقول واشكالها مقترنة باقوال القدامى ، مادامت الصورة الحقيقية غائبة . وانها محاولة اخرى من محاولات البحث التي تقدم من هذا السفر الخالد الخزين بكل نادر والحفيظ بكل مأثور مايُعيننا على معرفة مفردات الحضارة التي عرفها العرب ووصفوا اجزاءها ، ولتكون بين ايدي ابناء العربية الذين يحرصون على التعريب منتفعين من الالفاظ التي استخدمت والمفردات التي وضعت .

لقد وجدت من المناسب ان ابدأ البحث بتحديد المواضع التي تصنع فيها الثياب لمعرفة المراكز التي شُهرت بصناعتها وعُرفت بين الأمم بجودة هذه الصنعة ولابد ان تكون هذه الحرفة موضع اهتمام أهلها وموئل اعتزازهم وانها وجدت في ابنائها من توارثها إتقاناً ، وعمل فيها براعة وجودة واتخذ تجارتها مهنة رابحة فجاب البلاد وقصد الممالك فكانوا رواداً ، وكانت اليمن من

اوائل الاماكن التي عرفت بصناعة البرود (فسحُول) (٣) قرية من قرى اليمن تحمل منها ثيابُ قطن بيض تسمى (السُّحولية) وقيل: هو موضع باليمن تُنسب اليه الثياب السُحولية وفيها يقول طرفة (٤) :

وبالسفح آياتٌ كأن رسـومَها
يَمانٍ ، وَشَتْهُ رَيْدةُ وسَحُـول

و(المراجل) (٥) ضرب من برود اليمن وأنشد :

وابصرتُ سلمى بين بُرْدي مَراجلٍ
وأخياشِ عصب مـن مهلهة اليمنْ

وأنشد :

يُسائلن : من هذا الصريع الذي نرى
وينظرن خلساً من خلال المراجـل

والمُمَرجل : ضرب من ثياب الوشي فيه صور المراجل ، وثوبٌ مرْجليّ من المُمَرجَل وفي المثل : حديثاً كان بُرْدُكَ مرْجَليّا :

أي انما كسيت المراجل حديثاً وكنت تلبس العباء .

وفي الحديث : حتى يبني الناس بيوتاً يُوَشّونها وَشْيَ المراحِل يعني تلك الثياب . قال : ويقال لها المراجل بالجيم ايضاً ويقال لها الراحولات .

ويبدو ان قائمة الاماكن التي عرفت بصناعة الثياب عند صاحب اللسان

(٣) ينظر اللسان [سحل]
(٤) ينظر ديوان طرفة/٧٩ (دار صادر) . يمانٍ : اي ثوب يمان . وشته : زينته . ريدة وسحول : قريتان باليمن .
(٥) ينظر اللسان [رجل] .

كبيرة وان اليمن في مقدمة تلك الاماكن مثل (الخال) (٦) ضرب من برود اليمن الموشية وهو من ثياب اليمن الناعمة قال الشماخ :

وبُردان من خالٍ وسبعون درهماً
على ذاك مقروظ من الجلد ماعــزُ

و(الوصيل) (٧) ثياب يمانية حمر مخططة و (البرْكة) (٨) جنس من برود اليمن :

و (التجاويز) (٩) برود موَشيّة من برود اليمن واحدها تجواز وفيها يقول الكميت

حتى كأنّ عراصَ الدار أرديــةٌ
من التجاويز أو كُرّاسُ أســفارِ

و(السعيدية) (١٠) من برود اليمن وكذلك(المُهاصِريّ)(١١) و (المُشيح)(١٢) وهو المخطط و (المَراجل) و(المُمَرْجَل) (١٣) ضرب من ثياب الوشي فيه صور المَراجل وفي المثل :

حديثاً كان بُرْدُك مرجَليّاً ، و(المُرَحَّل) (١٤) الذي عليه تصاوير رَحْل

ومثل ما عرفت اليمن بصناعــة برودها عرفت الظَّهْران بالثيــاب (الظَهرانية) (١٥) التي يُجاء بها منمَرّ الظَهْران و (المُعَقّد) من بُرود هجر .

وروى ابن سيرين ان ابا موسى كَسَا في كفّارة اليمين ثوبين ظهْرانياً ومُعَقَداً ، و (الحُلَل) : برود اليمن . ولا تُسمّى حُلّة حتى تكون ثوبين ، وقيل ثوبين من جنس واحد قال : ومما يُبين ذلك حديث عمر (رضي) أنه

---

(٦) اللسان [خيل] .
(٧) اللسان [وصل] .
(٨) اللسان [برك] .
(٩) اللسان [جوز] .
(١٠) اللسان [سعد] .
(١١) اللسان [هصر] .
(١٢) اللسان [شيح] .
(١٣) اللسان [رجل] .
(١٤) اللسان [رحل] .
(١٥) اللسان [ظهر] .

رأى رجلا عليه حُلّة قد أتّزر باحدهما وارتدى بآخر فهذا ثوبان :
والحُلّة إزار ورداء بُرْد وغيره ، ولا يُقال لها حُلّة حتى تكون من ثوبين والجمع حُلَل . وفي الحديث : أنه كسا علياً كرم الله وجهه حُلّة سِيَراء . قال : قال خالد بن جنبة : الحُلّة : رداء وقميص وتمامها العمامة ، قال : ولايزال الثوب الجيّد يقال له : في الثياب حُلّة فاذا وقع على الانسان ذهبت حُلّته حتى يجتمعن له اما اثنان وإما ثلاثة . وانكران تكون الحُلة ازاراً ورداءً وحده قال : والحُلل : الوشي والحبْرة والخزّ والقزّ والقوهي والمروي والحرير . وقال اليمامي : الحُلة : كُل ثوب جيد جديد تلبُسه غليظ أو دقيق ولا يكون الا ذا ثوبين . وقال ابن شمر : الحُلة القميص والازرار والرداء لاتكـون أقلّ من هذه الثلاثة وقال شمر : الحُلة عند الاعراب ثلاثة اثواب . وقال ابن الاعرابي : يُقال للازار والرداء حُلّة ولكل واحد منهما على انفراد حُلة قال الازهري : واما ابو عبيدة فإنه جَعل الحُلة ثوبين (١٦) .
و (صُحَاري) : ثوب نسب الى صحار قرية باليمن وفي الحديث : "كفّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين صُحَاريّين. وقيل هو من الصُّحر لون قريب من الأصهب وقيل غيره في حمرة خفيفة الى بياض .
قال ذو الرّمة : (١٧)

يَحْدو نحائصَ اشباهـاً مُحَمْلَجةً
صُحْرَ السرابيل في احشائها قَبَبُ

و (المعَافري) : بُرد منسوب الى مَعافر اليمن ثم صار اسماً لها وقيل : ثوب مَعَافري لانه نسبَ الى رجل اسمه مَعافر وفي الحديث: انه بَعث مُعاذاً الى اليمن وأقره أن يأخذ من كل حالِمٍ ديناراً أو عِدْلَه من المَعافِري وهي برود باليمن منسوبة الى مَعافِر ومنه حديث: عمر أنه دخل المسجد وعليه بُردان مَعافريان (١٨) .

(١٦) ينظر اللسان [حلل] . (١٧) ينظر اللسان [صحر] .
(١٨) ينظر اللسان [عفر] .

وهناك ضروب اخرى عرفت بأسمائها مثل (القطْريّة)(١٩) وفي الحديث : ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان متوشحاً بثوب قِطريّ ، وفي حديث عائشة : قال أيمن : دخلت على عائشة وعليها درع قطريٌ ثمنه خمسة دراهم . واشارة الثمن هنا تحدّد القيمة الفعلية لهذا الضرب من الثياب إذا علمنا القيمة الحقيقية للدرهم . وهذه البرود حُمرٌ لها أعلام تأتي من قبل البحرين وقيل من قطر وربما تكون النسبة الى قطر اقرب . والثيــاب (النجرانيــة) منسوبة الى نجران(*) و (المَقَديُ) (٢٠) والجَماد (٢١) قال ابو دواد (٢٢)

عَبَقَ الكَباءُ بهنَّ كُــلَّ عشيّة
وغَمَرْنَ ما يَلْبَسْنَ غير جَمادِ

و(الاسْدي)(٢٣) و(المُطيَّر) (٢٤) و (السقلاطون)(٢٥)و(العَرْضيّ) (٢٦) و (القُرْدُح)أو (القَرْدَح) (٢٧) و (الجُرْجَة) أو (الجَرَجة) (٢٨) و (الدّيباج) (٢٩) و (الدَّوَّاج) (٣٠) و (البَرْنكان) (٣١) وهو كساء من صوف له علمان ويقال:(بَرَّكان) و (الدُّرْنُوك) (٣٢) و(الدَّرْنيك) وهو ضرب من الثياب او البسط ، له خَمَل قصير كخمل المناديل وبه تشبه فروة البعير والأسد .

و (اليُمْنة)(٣٣) و(اليَمَنة)ضرب من برود اليمن قال : واليُمْنَة المُعَصَّبا وفي الحديث:أنه عليه الصلاة والسلام كُفِّنَ في يُمْنة هي بضم

---

(١٩) اللسان [قطر] .
(٢٠) اللسان [مَقَد] .
(٢١) اللسان [جمد] .
(٢٢) أبو دواد . الديوان / ٣١١
(٢٣) اللسان [اسد] .
(٢٤) اللسان [طير] .
(٢٥) اللسان [سقلط] .
(٢٦) اللسان [عرض] .
(٢٧) اللسان [قردح] .
(٢٨) اللسان [جرج] .
(٢٩) اللسان [دبج] .
(٣٠) اللسان [دوج] .
(٣١) اللسان [برنك] .
(٣٢) اللسان [درنك] .
(*) اللسان [نجر] .
(٣٣) ينظر اللسان [يمن

الياء ضرب من برود اليمن وانشد ابن بري لأبي قُرْدُودة يرثي ابن عمّار :

يا جَفْنَةً كازاء الحَوْضِ قد كَفَؤا
ومَنْطِقاً مثلَ وَشْي اليُمْنَة الحَبَره

وقال ربيعة الأسدي :

إن المَودّةَ والهَوادة بيننـــا
خَلَقٌ كسَحْقِ اليُمْنةِ المُنْجاب

و (السَّنَدُ) (٣٤) ضرب من الثياب قميص ثم فوقه قميص أقصر منه .
وكذلك قُمُصٌ قصار من خِرَق مُغَيَّب بعضها تحت بعض وأنشد :

جُبَّةُ أسنـادٍ نقيٌّ لونهـا
لـم يَضْرِبِ الخياط فيها بالابر

وقيل : هي الحمراء من جباب البرود

والمُسَنَّدَ والمِسنَدِيَة ضرب من الثيـاب وفي حـديث عائشة (ضى اللهعنها) : أنهرأى عليها اربعةَ أثواب سَنُدقيل : هونوع من البرود اليمانية .

و (القَبْطيَّة) (٣٥) : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة الى القِبط .

وقيل القُبَاطي : ثيابٌ الى الدّقة والرّقة والبياض .

قال الكُميت يصف ثوراً :

لياحٌ كأنْ بالاتْحَمية مُسْبَعٌ
إزاراً وفي قُبْطيَّةٍ مُتَجَلْبَبُ

وفي الحديث : إنه كسا امرأةً قُبْطيّةً فقال : مُرْها فلتتخذ تحتها غلالة لا تَصِفُ حجم عِظامها ،وجمعها القباطي ومنه حديث عمر (رضي) : لاتُلبسوا نساءكم القَباطي فإنه إنْ لا يَشِفَّ فإنه يَصِفُ .

---

(٣٤) اللسان [سند] .
(٣٥) ينظر اللسان [قبط] .

و(الدَّبيقي) من دقّ ثياب مصر معروفة تُنسب الى دبق (٣٦) .

والشَّطَوية : ضَرب من ثياب تُصنع فيشطى ؛ وقيل:تعمل بارض يقال لها الشطاة و (شطى) : اسم قرية بناحية مصر تنسب اليها الثياب الشطوية وقول الشاعر : تُجلل بالشطي والحبرات (٣٧)

و (الدَّفنيّ) (٣٨) وهو من الثياب المخططة قال الشاعر :

الواطئين على صدور نِعالهِم
يَمشُون في الدَّفنيّ والأبرادِ

و (المَرْن) (٣٩) وهي ثيابٌ قُوهية وأنشد :

خفيفاتُ الشُخُوص وهُنّ خُوصٌ
كأنّ جلُودَهُنّ ثيابُ مَرْنِ

و (الوشي) (٤٠)و (الباغزية) (٤١) و (السجلاّط) (٤٢)وهي ثياب صوف مَوْشية كأن وشيها خاتم .

و (المَيْسَنانيُّ) (٤٣) : ضرب من الثياب منسوبة الى مَيْسان .

قال ابو دواد : (٤٤)

ويَصُنّ الوجوهَ في المَيْسَنَانِيّ
كما صانَ قَرْنَ شمس غمامُ

و (قَطَوانيُّ) : كساء ؛ وقَطَوان موضع بالكوفة (٤٥) .

---

(٣٦) ينظر اللسان [دبق] .
(٣٧) ينظر اللسان [شطى] .
(٣٨) اللسان [دفن] .
(٣٩) اللسان [مرن] .
(٤٠) اللسان [وشي] .
(٤١) اللسان [بغز] .
(٤٢) اللسان [سجلط] .
(٤٣) ينظر اللسان [مسن] .
(٤٤) ابو دواد . الديوان / ٣٣٨ .
(٤٥) ينظر اللسان [قطا] .

و (البِرْبيطياء) (٤٦) : ثياب والبِرْ بيطياء : موضع ينسب اليه الوشي ، ذكره ابن مقبل في شعره فقال (٤٧) .

خُزامى وسَعْدانٌ كأن رياضَهـا
مُهِدْنَ بذي البِرْبيطياء المُهَذَّبِ

و(الزُّطيَّة) : ثياب تنسب الى الزُّط : جيل أسود من السند (٤٨) .

و (القُوهيُّ) : ضرب من الثِياب بيض ، والثِياب القُوهيَّة معروفة منسوبة الى قُوهستَان (٤٩) وأنشد ابن بري لنُصيب :

سودت فلم أملِكْ سوادي وتحتـه
قميصٌ من القُوهيِّ بيضٌ بَنائقُهْ(*)

و(أبنجاني) (٥٠) : كساء منسوب الى مَنْبِج المدينة المعروفة ، يُتخذ من صوف له خَمْلٌ ولا عَلَمَ له وهي من أدون الثِياب الغليظة .

وكما نُسبت الثياب والاكسية الى اماكن صناعتها فانها نسبت الى بائعها فمُعاذ الهَرّاء كان يبيع الثياب الهروية حتى عرف بهاولقب باسمها (٥١) و (المَعافري) كما مـرَّ ضـرب من الثِياب نسب الى رجل اسمه مَعافر (٥٢) و (التزيديّة) (٥٣) برود تنْسب لىتَزيد ابو قبيلة وهو تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة وهي برود فيها خطوط تشبه بها طرائق الدم .

قال علقمة :

رَدَّ القيانُ جِمالَ الحيِّ فاحتملـوا
فكلُّها بالتَّزيديّات مَعْـكُومُ

---

(٤٦) ينظر اللسان [بربط] .
(٤٧) ينظر ابن مقبل . الديوان / .
(٤٨) ينظر اللسان [زطط] .
(٤٩) ينظر اللسان [قوه] .
(*) ينظر شعر نصيب / ١١٠ .
(٥٠) ينظر اللسان [بنج] .
(٥١) ينظر اللسان [هرا] .
(٥٢) ينظر اللسان [عفر] .
(٥٣) ينظر اللسان [زيد] .

وقال ابو ذؤيب :

يَعْثُرْنَ في حَدِّ الظِّباةِ كَنَمّا
كُسِيَتْ بُرُودِ بني تَزِيدَ الأذرُعُ

واذا اتخذ الأنسان الملابس في المراحل الأولى من حياته وقاية تدفع عنه الحر والبرد فان مرحلة التجميل والتزيين كانت مرحلة تالية حين وَجَدَ فيها اسبابا من اسباب التحضّر ، ودوراً من ادوار الاعتزاز بالمظهر والخروج على الناس بما يثير انتباهم ويملك عليهم اعجابهم لابد أن تأخذ هذه المرحنة اطوارها في التلوين والنسج والتزيين والتوشية والتصوير والتخطيط وقد تتداخل بعض هذه المراحل بسبب التزامن الذي اوجب هذا الاهتمام وربما يكون صبغ الثياب بداية عاصرها الانسان وهو يقف عليها عن طريق الصدفة ويهتدي اليها من خلال الوان النباتات أو اوراق الشجر التي تطبع الوانها فالثوب (المُحَرَّض)(٥٤): ثوب مصبوغ بالعصفر وكذلك يقال ثوبٌ مُمَرَّق : أي صُبِغ بالمُرّيق وقيل المُتَمرِّق : (٥٥) المصبوغ بالعُصفر : يقول الباهلي .

ياليتني الكِ مِئْزر مُتمرِّقٌ
بالزَعْفـــرانِ لبِسْته اياما

وثوب (مُحَزَّع) : مصبوغ بالحزيع ودو العصفر (٥٦) وكذلك المُجَسَّد(٥٧) فهو المُشبَّع عصفرا أو زعفراناً أو ماأشبع صبغه من الثياب سُمّي المُجَسدُ كذلك.

وثوب (كَرك) : احمر (٥٨) قال ابو دواد : (٥٩)

كَرِكٌ كَلَونِ التّبنِ أحوى يانعٌ
مُتراكبُ الاكمام ، عير صوادي

---

(٥٤) ينظر اللسان [حرَض] . (٥٥) ينظر اللسان [مرق] .
(٥٦) ينظر اللسان [خرع] . (٥٧) ينظر اللسان [جَسَدَ] .
(٥٨) ينظر اللسان [كرك] . (٥٩) أبو دواد . الديوان / ٣١١ .

وثوب (مُقَرْمَد) : مطلي بالزعفران والطيب (٦٠) . وثوب رَديع مصبوغ بالزعفران (٦١) و (القَراطُف) : اكسية حمر (٦٢) .
و(المُدَمَّى) (٦٣) : الثوب الاحمر . وكساء اطحل (٦٤) على لون الطحال والأرجوان : الثياب الحُمر وفي حديث عثمان: أنه غطى وجهه بقطيفة حمراء أرجوان وهو مُحْرِم. ويقال : ثوب أرجوان وقطيفةٌ أرجوان (٦٥) .
والعُقار : ضربٌ من الثياب أحمر (٦٦) قال طفيل الغنوي يصف هوادج الظعائن (٦٧) .

عَقَارٌ تَظَلُّ الطيرُ تَخْطِفُ زَهْوَهُ
وعالَيْنَ أعلاقاً على كلِّ مُفْأَمِ

وثوب (مُمَغَّر) : مصبوغ بالمُغرة وهي طينٌ أحمر يُصْبَغُ به (٦٨) وثوب ضَرِج واضريج مُتَضَرِّج بالحمرة أو الصُّفرة والأضريج : ضرب من الأكسية أصفر وقيل ثياب تتخذ من المرْعِزيّ من أجوده (٦٩) . وثوب مُمَصَّر : مصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة وقيل مصبوغٌ بالعِشْرق وهو نباتٌ أحمر طيب الرائحة تستعمله العرائس . وقيل المُمَصَّر من الثياب ما كان مصبوغاً فغُسل والتمصير في الصبغ أن يخرج المصبوغُ مُبَقَّعاً لم يستحكم صَبْغُه . (٧٠) وثوب مُمَشَّق : مصبوغ بالمِشْغ واراد المِشْق وهو الطين الاحمر (٧١) و(العَقْل) : ثوب أحمر يُجَلَّل به الهودج وقيل ضرب من

---

(٦٠) ينظر اللسان [قرمد] .
(٦١) ينظر اللسان [كذب] .
(٦٢) اللسان [ردع] .
(٦٣) ينظر اللسان [دمي] .
(٦٤) ينظر اللسان [طحل] .
(٦٥) ينظر اللسان [رجا] .
(٦٦) ينظر اللسان [عقر] .
(٦٧) الطفيل الغنوي . الديوان /
(٦٨) ينظر اللسان [مغر]
(٦٩) ينظر اللسان [ضرج] .
(٧٠) ينظر اللسان [مصر] .
(٧١) ينظر اللسان [مشغ] .

الوشي الاحمر (٧٢) و (المُهَرّيُ) : ثوب مصبوغ بالصبيب وهو ماء ورق السمسم أو كان مصبوغاً كلون المشمش و(السمسم) (٧٣) وثوب مُعَفَّص مصبوغ بالعَفص (٧٤) وثوب مَمْكُور ومُمْتَكَر : مصبوغ بالمَكْر (٧٥) قال القطامي :

بضرب تَهلِكُ الأبطالُ منه
وتَمْتَكِرُ اللحى منه امتكارا

وثوبٌ (مَثْرود) أي مغموس في الصبغ وفي حديث عائشة (رضي الله عنها) فأخذتْ خمارا لها قد ثردته بزعفران أي صبغته (٧٦) .

و (العُمَرية) : ثياب مصبوغة (٧٧) بالشّرَف وهو طين احمر ، وثوب مُشَرَّف مصبوغ بالشرف وقيل: نبت أحمر تصبغ به الثياب والشُراني : لونٌ من الثياب ابيض . (٧٨) .

و (البَيّاض) الذي يبيّض الثياب (٧٩) .

و (الخالص) : لباس يلبَسُه أهل الشام وهو ثوب مُجَمل خضر المنكبين وسائره ابيض . وقيل : بخالصة الأردان خضر المناكب (٨٠) .

و (الخَوْخة) (٨١) : ضرب من الثياب يسميه أهل مكة الخَوْخة .

و (الطاق) (٨٢) : ضرب من الملابس وقيل هو الطيلسان الأخضر وقيل ضرب من الثياب قال مُليح الهُذلي :

---

(٧٢) ينظر اللسان [عقل] .
(٧٣) ينظر اللسان [هرا] .
(٧٤) ينظر اللسان [عفص] .
(٧٥) ينظر اللسان [مكر] .
(٧٦) اللسان [ثرد] .
(٧٧) اللسان [عملج] .
(٧٨) اللسان [شرف] .
(٧٩) اللسان [يبض] .
(٨٠) ينظر اللسان [خلص] .
(٨١) ينظر اللسان [خوخ] .
(٨٢) ينظر اللسان [طوق] .

من الرَّيْط والطيقانِ تُنْشَر فوقَهم
كاجنحَة العقبان تَدْنُو وتَخْطفُ

وقال الراجز :

يكفيك من طاقٍ كثير الأثمان
جُمَّازةٌ شُمِّرَ منها الكُمَّان

وقال ابن بري : الطاق : الكساء والطاق : الخمار وأنشد ابن الاعرابي :

سائِلةَ الأصداغَ يَهفو طاقُها
كأنما ساقُ غُرابٍ ساقُها

و(الرَّفرف) : ثياب خضر يُتخذ منها للمجالس (٨٣)
والنَّمط والزَّوج عند العرب : ضروبُ من الثياب المُصبَغَة
و(السَّنْد): ثياب بيض (٨٤) والرُّمْد : ثيابٌ غُبْرٌ فيها كدورة مأخوذة من الرماد (٨٥)

واستخدموا امواد الغزول الملونة الداخل بعضها في بعض وسميت مَشْجاً (٨٦). وهي البرود فيها الوان الغزول وقد وجَدَ التخطيط طريقه الى الاكسية فكانت الخطوط والطرائق والأعلام والسيور ولكل ضرب تسمية يُعرف بها فالبجاد : كساء مخطط من اكسية الأعراب اذا غزل الصوف بَسْرةً ونُسج بالصيصة (٨٧) وثوب مُعَضَّد : مُخطط على شكل العضد وهو الذي وَشْيُه في جوانبه والمُعَضَّدُ : الثوب الذي له علَمٌ في موضع العضد من لابسه قال زهير يصف بقرة (٨٨) .

---

(٨٣) ينظر اللسان [رفرف] .
(٨٤) ينظر اللسان [سند] .
(٨٥) ينظر اللسان [رمد] .
(٨٦) ينظر اللسان [مشج] .
(٨٧) ينظر اللسان [بجد] .
(٨٨) ينظر اللسان [عضد] .

فَجَالَتْ على وحشيّها وكأنّها
مُسَرْبَلَةٌ من رازقيّ مُعَضّدِ

و(النَّمِرَة) : الحِبَرَة لاختلاف ألوان خطوطها ، والنَّمِرَة : شَمْلَةٌ فيها خطوط بيض وسود . وقيل بُرْدَةٌ مُخطّطة من صوف يلبسها الأعراب وكُلّ شَمْلَة مخططة من مآزر الأعراب نَمِرة وكأنها أُخذت من لون النَّمِر لما فيها من السواد والبياض (٨٩) .

وثوبٌ مُسَيَّر وَشْيُهُ مثل السُّيور إذا كان مُخطّطاً ، وسَيَّر الثوب : جَعَل فيه خطوطاً و (السِّيَراء) والسِّيَراء : ضرب من البرود ، وقيل ثوبٌ مُسَيَّر فيه خطوط تُعْمَل من القزّ كالسّيور أو يُخالطها حرير قال الشماخ(٩٠) :

فقال إزارٌ شَرْعبيٌ وأربَعٌ
من السِّيَراءِ أو أواقٍ نواجِزُ

وقيل هي ثياب من ثياب اليمن فيها خطوط صفر . قال النابغة :

صَفْراءُ كالسِّيَراءِ اكمل خَلْقُها
كالغُصْنِ في غُلوائه المُتأوّدِ

وهو المختلف النسج الرقيق أو الذي قد نُسج بعضه وترك بعضه او اذا كانت خطوطه عريضة كالاضلاع وتضليع الثوب جعلُ وشيه على هيئةالاضلاع (٩١)

و(الغَيْل) : العلم في الثوب وبه فُسّر قول كُثَيّر .

وحشاً تَعاورُها الرياح كأنها
توشيحُ عَصْبٍ مُسَهَّمَ الأغيال

---

(٨٩) ينظر اللسان [نمر] .
(٩٠) ينظر اللسان [سير] .
(٩١) ينظر اللسان [ضلع] .

و(الخِلاج) و (الخِلاس) : ضروبٌ من البرود مخططة .قال ابن أحمر (٩٢).

إذا انْفَرَجَتْ عنه سماديرُ خَلْفِهِ
بِبُرْدينِ من ذاك الخِلاج المُسَهَّم

وثوب مُشَطَّب : فيه طرائق (٩٣) والنمرة المَلْحاء : بُرْدَة فيها خطوط سود وبيض (٩٤) .

ويدخل الطيب عنصرا آخر في التزيين والتطيّب لما يُثيرهُ من اهتمام وبعثه في النفس من راحة وله اساليبه وعَثَّنْتُ الثوبَ بالطيب إذا دَخَّنْتَه عليه حتى عبِقَ به (٩٥) ، واستعمل نَوْر شجرة الشّيعة وهو اصفرمن الياسمين لتطييب الثياب تَعَبُّقَ به وهو احمر طيب (٩٦) والقميص المردوع مابقي فيه أثر الطيب والزعفران أو الدم (٩٧) قال :

بني نُمير تركتُ سيّدكم
أثوابهُ مـن دمائكم رُدُعُ

وغِلالة رادع ومُرَدَّعة : مُلَمَّعة بالطيب والزعفران في مواضع والرَّدْعُ أن تَرْدَعَ ثوباً بطيب أو زعفران .

ودخلت النقوش والتصاوير في صناعة الملابس وازدانت باشكال مختلفة مثل السيوف واطلق عليها بُرْدٌ مُسَيَّف (٩٨) ومُبَرَّج إذا كانت فيه صور البروج قال العجاج (٩٩)

وقد كسْنا وَشْيَه المُبَرَّجا

---

(٩٢) ينظر اللسان [خلج] .
(٩٣) ينظر اللسان [شطب] .
(٩٤) ينظر اللسان [ملح] .
(٩٥) اللسان [عثن] .
(٩٦) اللسان [شيع] .
(٩٧) اللسان [ردع] .
(٩٨) اللسان [سيف] .
(٩٩) اللسان [برج] .

و(المُحتق) الذي عليه وشيٌ على صورة الحُقق(١٠٠)أو كان مُحكم النسج قال الشاعر :

تَسَرْبلَ جلدَ وجه أبيك أنّـا
كفيناك المُحققـةَ الرّقـاقـا

كما يقال بُرْدٌ (مُرَجّل) . وماصُوّرت عليه السّراجين سُمّي (المُعَرْجن) (١٠١) قال رؤبة : في خدْرِ مَيّاس الدُمى مُعَرْجَنِ

أي مُصَوّرٌ فيه صُوَر النخلَ والدمى، وثوبٌ (مُعَيَّن) في وشيه ترابيع صغار تُشبَّه بعيون الوحش(١٠٢) والثوب الذي فيه تفنين : إذا كان فيه طرائق ليست من جنسه (١٠٣) و (الطبل) : ضرب من الثياب عليها صورة الطبل وتسمى الطّبْلِيّة ويقال لها أردية الطبل تُحمل من مِصر (١٠٤) .

وثوب مُصَلّب : فيه نقش كالصليب (١٠٥) وورد ذكر الثياب التي عليها صور الدُمى في قول الشاعر :

والبيضُ يَرْفُلْنَ في الدُّمى
والرّيطِ والمُذْهَبِ المَصُـونِ

يعني ثياباً فيها تصاوير (١٠٦) .

والثوب (المُفلفل) : إذا كانت داراتُ وشيه تحكي استدارة الفلفل وصغره(١٠٧)وتبرز القيمة الجمالية لصناعة الثياب في الطرّة التي تُخاط بجانبي البُرد وعلى حاشيته على هيئة علمين (١٠٨) أو ثوب الخز المربع الذي جعل في طرفيه علمان أو في ثوب الحرير الأبيض الذي يُسقى

(١٠٠) اللسان [حقق] .
(١٠١) اللسان [عرجن] .
(١٠٢) اللسان [عين] .
(١٠٣) اللسان [فنن] .
(١٠٤) اللسان [طبل] .
(١٠٥) اللسان [صلب] .
(١٠٦) اللسان [دمى] .
(١٠٧) اللسان [فلل] .
(١٠٨) اللسان [طرر] اللسان [طرف] .

الصمغ ويُصقل ليكتب فيه (١٠٩) أو ثوب أبو(قلمون) : الذي يتراءى إذا اشرقت عليه الشمس بألوان شتى (١١٠) ويبقى الثوب(الموشّح)اوشي فيه (١١١) و (النميق) أو المُنمَّق لما تُنقش عليه من نقوش (١١٢) و (المُرَقَّن) لتزيينه بالزعفران (١١٣) من الثياب المتميزة التي وَجدَتْ مكانتها في المجتمع العربي وأُتقنتْ صناعتُها فكانت مظهراً من مظاهر التطور الحرفي والصناعي الذي شَهدته الأمصار العربية في وقت متقدم واستخدمها الشعراء مادة تعبيرية لما كانوا يرومون الوصول اليه في ادائهم الفني وصورهم البلاغية المتميزة .

ومن خلال متابعة المواد الأولية لصناعة الملابس اتضح أن الكتّان من اكثر المواد استعمالاً وخاصة الثياب البيض (فالفرُقبيّة) (١١٤) و (الشُرْقبية) ثياب كتان بيض وقيل ثوب أبيض مصري من كتان و(القُرْقبية) (١١٥)مثلها مصنوعة من كتان ابيض . والقَصَبُ : ثياب تتخذ من الكتان ، رقاق ناعمة واحدها : قصبيّ (١١٦) وكذلك (الرّازقية) (١١٧) وتتخذ من الرازقيّ نفسه (الكتان) قال لبيد : (١١٨)

لما غَابلٌ من رازقيّ وكُرْسُفٍ
بأيمانِ عُجْمٍ يَنْصُفُون المقاولا

وقيل : الرازقي كلّ ثوب رقيق .

و(القُبْطُريّ) (١١٩) ثياب كتّان بيضٌ وقيل ثياب بيض وضرب من الثياب . وأنشد :

---

(١٠٩) اللسان [هرق] .
(١١٠) اللسان [قلمون] .
(١١١) اللسان [وشح] .
(١١٢) اللسان [نمق] .
(١١٣) اللسان [رقن] .
(١١٤) اللسان [فرقب] .
(١١٥) اللسان [قرقب] .
(١١٦) اللسان [قصب] .
(١١٧) اللسان [رزق] .
(١١٨) لبيد . الديوان / .
(١١٩) اللسان [قبطر] .

كأنّ لوْنَ القِهْزِ في خُصورِها
والقُبْطُرِيَّ البيضِ في تأزيرِها

وقال ابن الرقاع :

كأنّ زُرورَ القُبْطُرِيَّة عُلِّقَتْ
بنَادِكُهَا منه بجذْعٍ مُقَوَّمِ

والسَّبْنِيَّة (١٢٠) : ضرب من الثيابُ تتخذ من مَشاقة الكتّان اغلظ ما يكون .
وأسبن إذا دام على السَّبَنيَّات ويبدو أنها كانت اكثر عمرا واشدّ مقاومة
ويعتمد الصوف مادة اخرى من مواد صناعة الملابس.. (فالقَهْزُ) و (القهزُ)
و (القَهْزِيُّ) (١٢١) ضرب من الثياب تتخذ من صوف كالمِرْعِزِي وربما
خالطها حرير .

قال رؤبة :

وأدَّرَعَتْ من قَهْزِها سَرابِلا
أطارَ عنها الخرَق الرَّعابِلا

واطلق على الكساء المصنوع من الخز أو الصوف أو الكتّان (المرْط)(١٢٢)
وقيل عنه كُلّ ثوب غير مخيط ، أما (الخَمْلة) (١٢٣) فهي من صوف
كالكساء ونحوه له خَمْل ، و (الجُمّازَة) (١٢٤) درّاعة من صوف ، وفي
الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فضاق عن يديه كمّا جُمَّازَةٍ
كانت عليه فأخرج يديه من تحتها ، وهي مدْرعة صوف ضيّقة الكمين .
وأنشد :

(١٢٠) اللسان [سبن] .
(١٢١) اللسان [قهز] .
(١٢٢) اللسان [مرط] .
(١٢٣) اللسان [خمل] .
(١٢٤) اللسان [جمز] .

يكفيك من طاقٍ كثير الأثمانْ
جُمَّازَةٌ شُمِّرَ منها الكُمّـــان

المَثلوُث (١٢٥) : منسوج من صوف ووبر وشعر .
وأنشد : مَدْرَعةٌ كساؤها مَثْلوث .

ويدخل الابريسم عنصرا ثالثاً من عناصر صناعة الملابس ، (فالخزُّ)(١٢٦) ضرب من ثياب الابريسم وكذلك (القزّ) (١٢٧) و (الحرير) (١٢٨) وواحدتها (الحريرة) من ثياب الابريسم و(الاستبرق) (١٢٩) ديباج صَفيق وغليظ حسن .

واستعملت الجلود في صنع الملابس والثياب ولعلّ ادامتها الطويلة وقوتها في المقاومة هي التي حدّدت استخدامها (فالسَّبْحَةُ) (١٣٠) ثوب من جلود وقُمُصٌ للصبيان وجُمعها سِباح وفيها يقول الشاعر :

كأنّ زوائدَ المُهُرات عنهـــا
جَوارى الهِنْد مُرْخيةَ السِّباحَ

و (الحوف) (١٣١) جلد يُشقّق كهيئة الإزار تلبسه الحائض والصبيان و(الفَنَك)(١٣٢)جلديُلبس . و(الخذْعِل) (١٣٣) ثياب من أدم يلبسها الرُّعْن و(الخَيْعَل)(١٣٤) ثوب غَير مَخيط الفرجين يكون من الجلود ومن الثياب.

قال المتنخل الهُذلي :

السالكُ الثغرةَ اليَقْظان كالئهـــا
مَشْيَ الهَلُوك عليها الخَيْعَل الفُضُلُ

(١٢٥) اللسان [ثلث] .
(١٢٦) اللسان [خزز] .
(١٢٧) اللسان [قزز] .
(٢١٨) اللسان [حرر] .
(١٢٩) اللسان [استبرق] .
(١٣٠) اللسان [سبح] .
(١٣١) اللسان [حوف] .
(١٣٢) اللسان [فنك] .
(١٣٣) اللسان [خذعل] .
(١٣٤) اللسان [خعل] .

و(الخَافةُ) (١٣٥) جُبَّةٌ يلبسها العَسّال . وقيل هي فروٌ من أدم يلبسها الذي يدخل في بيت النحل لئلا يلسعه قال ابو ذؤيب :

تأبَّطَ خافةً فيها مِسابٌ

فأصبحَ يقتري مَسَدا بشيقِ

ولابد ان تتميز جودة الصناعة عن رداءتها في المفردات المستعملة فكان (حَبْكُ)(١٣٦) الثوب إجادة نسجه. وحسنُ اثر الصنعة فيه ، والثوب الحبيك ، هو المحبوك والثوب (الصفيق) (١٣٧) و (السفيق) هو الثوب الجيد النسيج و(الكساء الخسيج) (١٣٨) و (الخباء الخسيّ) هو مانسج من ظليف عنق الشاة ، فلا يكاد يبلى . اما طبيعة الخياطة فكانت لها مفرداتها في المعجم لما يترتب عليها من احسان في الصنعة أو اساءة اليها (فالشُّمْرُج) (١٣٩) كل خياطة ليست بجيدة وكذلك (البشك) وشمرج الثوب : خاطه خياطة متساعدة ، وباعد بين الغُرُز واساء الخياطة و(شمج) (١٤٠) الخياط الثوب يَشْمُجُهُ شمْجاً خاطه خياطة متباعدة . ومثل ما تكون الخياطة رديئة يكون النسج كذلك في حالة الاساءة فالثوب (المسلسل) (١٤١) و (المُتَسَلْسِل) :الرديء النسج وكذلك ثوب (هلهل) (١٤٢) ما رَدؤ نسجهُ. وتأخذ مراحل الخياطة صورتها في الاستخدام ابتداءً من كف الثوب(١٤٣) و(غبنه) وماقُطع من اطرافه فأسقط وما علا الثوب الجديد من دَرْز كان (الزِّئْبر) (١٤٤) وما قُلِّص بالخياطة

---

(١٣٥) اللسان [خوف] .
(١٣٦) اللسان [حَبَك] .
(١٣٧) اللسان [صفق] .
(١٣٨) اللسان [خسج] .
(١٣٩) اللسان [شمرج] و [شك] .
(١٤٠) اللسان [شمج] .
(١٤١) اللسان [سلسل] .
(١٤٢) اللسان [حلل] .
(١٤٣) اللسان [غبن] .
(١٤٤) اللسان [زابر] .

فهو (الخبن)(١٤٥) وما خيطت حواشيه وكُفّ بعد خياطة مرة، وهي الخياطة الثانية بعد الشل واطلق عليه (كِفاف) (الثوب)(١٤٦) . واذا كففت مخايطه، وفلّمْتَه اي خِطتَه الخياطة الأولى بغير كفٍّ فهي (الأثابة) (١٤٧) .

وكانت العناية باصلاح الثياب لا تقل عن العناية بجودتها! وهي ما أطلق عليها (الجأي)(١٤٨) ، أما لأمُ خَرْقِه ، وضمٌّ بعضه الى بعض واصلاح ماوهي منه فهو (الرفأ) (١٤٩). و(السُّلْكة) (١٥٠) : الخيط الذي يُخاط به الثوب و(الأُصْطُبَّة)(١٥١) هي مُشَاقة الكتان وماخلص منه بعد مشطه، و(الجئوة)(١٥٢) سير يُخاط به اما (المِنْسَج)(١٥٣) فهو الخشبة والاداة المستعملة في النساجة ويمد عليها الثياب للنسيج وما تنسج فيه الثياب الجياد فهو (الطّراز)(١٥٤) .

ولم تُعدم الثياب من البطائن ويطلق عليها (الثّفافيد)(١٥٥) و(المثافد) و(المثافيد) وهي ضرب من الثياب وقد تكون من الحرير وخاصة في الدروع اما (السمط) وقد حرصوا على الطيّ الاول من الثياب فهو الثوب الذي ليست له بطانة لينضم بعضها الى بعض ولا يتباين أو تبقى محافظة على كسرتها الاولى. فكان(القسامي)(١٥٦) في قول رؤبة :

طيَّ القساميِّ بُرُودَ العَصَّابْ

هو الذي يطوي الثياب في اول طيّها حتى يكَسّرها على طيها . وفي الحديث المروي عن جعفر عليه السلام : ناول رجلاً ثوباً جديدا فقال :

---

(١٤٥) اللسان [خبن] . (١٤٦) اللسان [كفف] .
(١٤٧) اللسان [ثوب] . (١٤٨) اللسان [جاي] .
(١٤٩) اللسان [رفأ] . (١٥٠) اللسان [سلك] .
(١٥١) اللسان [اصطب] . (١٥٢) اللسان [جوأ] .
(١٥٣) اللسان [نسج] . (١٥٤) اللسان [طرز] .
(١٥٥) اللسان [ثفد] و [فثد] و [سمط](١٥٦) اللسان [عصب] .

اطوه على راحته أي طيّه الاول ، وراحة الثوب : طيّه (١٥٧) واطو الثوب على غرّة لينضمّ بعضه الى بعض (١٥٨)

اما الخياط فهو البيطرُ (١٥٩) قال :

باتت تجيبُ أدعجَ الظلامَ
جيبَ البيطرِ مِدرعَ الهمام

ويقال له (القراري)(١٦٠) و (الفُضُوليُّ) قال الاعشى :

يَشُقُّ الأمورَ ويَجتابُها
كشقِّ القراريِّ ثوبَ الردَن

وهو البَيْطَرُ والشاصِر . اما (القاشب) (١٦١) . فهو الخياط الذي يَلقطُ أقشابه ، وهي عُقَدُ الخيوط بُزاقه إذا لفظ بها .

وتتسعُ قاعدةُ الصنعة وتتباين قيمة الجودة و المتانة لكل صنف من اصناف الثياب ولما تتصف به فالرقة لها جودتها وخصيصتها . فثوب (مَهْوٌ) (١٦٢) ثوب رقيق ويصفه ابو عطاء . .

قميصٌ من القُوهيِّ مهوٌ بنائقُه .

وثوب(رَخْفٌ) (١٦٣) رقيق و(الشَفُ)(١٦٤) ثوب رقيق حتى يصف جلد لابسه و(الفُوْف) (١٦٥) ثياب رقاق موشاة ، و(السَّكْبُ) (١٦٦) ضرب من الثياب رقيق ، و(السَّابريّ)(١٦٧) من اجود الثياب الرقاق قال الشاعر :

(١٥٧) اللسان [روح و ريح] .
(١٥٨) اللسان [ذرب] .
(١٥٩) اللسان [بَطَر] .
(١٦٠) اللسان [قرر] .
(١٦١) اللسان [قشب] .
(١٦٢) اللسان [مها] .
(١٦٣) اللسان [رخف] .
(١٦٤) اللسان [شف] .
(١٦٥) اللسان [فوف] .
(١٦٦) اللسان [سكب] .
(١٦٧) اللسان [سبر] .

بمنزلة لا يشتكي السُّلَّ أهلُهـا
وعيش كمثل السابريِّ رقيـق

وفي حديث حبيب بن أبي ثابت : رأيت على ابن عباس ثوباً سابرِّياً استشفّ ماوراءه . والثوب (اللهله) (١٦٨) هو الرقيق النسج ، وثوب (رَهْو) (١٦٩) رقيق وثوب (هَفّاف) و (هفهاف) (١٧٠) يخفُّ مع الرّيح ، و (الطَّلْهم) (١٧١) من الثياب الخفاف ليست بُجدد ولا جَياد . و (السَّحْل) (١٧٢) ثوب ابيض وخص بعضهم الثوب من القطن وقيل : ثوب ابيض رقيق وقيل من قطن وثوب (حَبير) (١٧٣) : جديد ناعم والحِبرَة والحَبَرة : ضرب من برود اليمن مُنَمَّر وما كان مَوْشياً مخططاً . و (الدَّخْدار) * ثوب أبيض مصون وهو ضرب نفيس قال الكميت يصف سحاباً :

تجلو البَوارِقُ عنه صَفْحَ دَخْدَار .

ومثل ما حظيت الثياب الرقيقة باهتمام الناس لاراحتها الجسم فان الثياب الخشنة قد وجدت طريقها في الصناعة (فالخطل) (١٧٤) من الثياب : ماخَشُن وغَلُظ وجفا والثياب (المُسْبَلة) (١٧٥) اغلظ ما تكون من الثياب تتخذ من مُشاقة الكتان و (المَحاشي) (١٧٦) اكسية خُشنه تَحْلِقُ الجسد و (الخصَف) (١٧٧) ثياب غلاظ جداً و (المارن) (١٧٨) من الثياب ماصَلُب ولان و (الشُّبُع) (١٧٩) المتينة من الثياب وكذلك الغلاظ من الكساء (فالسَّفيع) (١٨٠) الغليظ و (الكُرُّ) (١٨١) جنس من الثياب الغلاظ ومثله (الحَشيب) (١٨٢) و (الخَشيب) و (الجَشيب)

(١٦٨) اللسان [لهله] .
(١٦٩) اللسان [رها] .
(١٧٠) اللسان [هفف] .
(١٧١) اللسان [طلهم] .
(١٧٢) اللسان [سحل] .
(١٧٣) اللسان [حبر] .
(١٧٤) اللسان [خطل] .
(*) اللسان [دخدر] .
(١٧٥) اللسان [سبل] .
(١٧٦) اللسان [حشا] .
(١٧٧) اللسان [خصف] .
(١٧٨) اللسان [مرن] .
(١٧٩) اللسان [شبع] .
(١٨٠) اللسان [سفع] .
(١٨١) اللسان [كرر] .
(١٨٢) اللسان [حشب] .

و(العَبْعَب) (١٨٣) كساء غليظ ، كثير الغزل . يعمل من وبر الابل وقيل غير ذلك و(البُرْجُد) (١٨٤) : كساء من صوف أحمر غليظ وقيل: كساء مخطط ضخم : يصلح للاخباء وغيره ، وثوب (سفيق) (١٨٥) اي (صفيق) وسَفُق الثوب : كَثُف . و (المُوَجح) (١٨٦) الكثيف الغليظ وثوب متين وثوب مُوجَحٌ كثير الغزل ، كثيف قوي وقيل ضَيِّق متين و(البُرْدة) (١٨٧) كساء يُلتحف به وقيل إذا جعل الصوف شُقّة وله هُدْب . وقيل شبه منديل من صوف أو الشملة المخططة ، وقيل كساء مُربع أسود فيه صغر تلبسه الاعراب .
اما من حيث القوة فكان الكساء (المُشَبَّح) (١٨٨) القوي الشديد و(البُصْر) (١٨٩) من الثياب الجيدة والقوية وثوب (ذو أكْل) (١٩٠) قويٌّ صَفيق كثير الغزل . قال اعرابي : أريدُ ثوباً له (أكْل) أي نفس وقوة وتظل الجودة والمتانة صفة لها اهميتها في تقويم الصناعة واتقانها .

فالثوب (الصنيع) (١٩١) هو الجيد النقي ، وثوب جَيِّد (الجِبْلة) (١٩٢) أي الغزل والنسيج والفتل ، والثياب (العبقرية) (١٩٣) الثياب التي تعجبوا من حذقها وجودة صناعتها وقوتها و(العَمير) (١٩٤) من الثياب : الصفيق النسج ، القوي الغزل ، الصبور على العمل ، و(الصيدن) (١٩٥) المحكم والوثيق العمل .

اما الثوب المفتول الغزل طاقتين فهو (المُبرم) (١٩٦) .

---

(١٨٣) اللسان [عبب] .
(١٨٤) اللسان [برجد] .
(١٨٥) اللسان [سَفق] .
(١٨٦) اللسان [وجح] .
(١٨٧) اللسان [برد] .
(١٨٨) اللسان [شبح] .
(١٨٩) اللسان [بصر] .
(١٩٠) اللسان [أكل] .
(١٩١) اللسان [صنع] .
(١٩٢) اللسان [جبل] .
(١٩٣) اللسان [عبقر] .
(١٩٤) اللسان [عمر] .
(١٩٥) اللسان [صدن] .
(١٩٦) اللسان [برم] و [سحل] .

وتتجلّى دقة تحديد المفردات في الحديث عما أخْلَق من الثياب وتقطع وَبلي .

فالثوب (القضيء) (١٩٧) ما أخْلَقَ وَتقطّع وعَفِنَ من طُول النّدى والطيّ . و(المَحُّ) (١٩٨) : و(الهرت)(١٩٩) الثوب الخَلَق البالي . وثوب (طرائد) (٢٠٠) خلَق . والطّريدة: شُقّة من الثوب شُقّت طولاً . وثوب (خبَب)(٢٠١) و(أخباب) خَلَق متقطّع و(خبائب) إذا تمزق و(الجَرْد) (٢٠٢) و(السَّمَل) : الخلق من الثياب . وانجرد الثوب : انسحق ولان . ورَقَد الثوب اخْلَقَ (٢٠٣) . و(الرّعْبلة)(٢٠٤) : ما أخْلَق من الثوب وثوب (مُرَعْبَل) : ممزق و(الجِدْم)(٢٠٥) كساء خَلَق و(السَّحْق) (٢٠٦) : الثوب الخَلَق البالي ، وكِساء (هَمِل)(٢٠٧) خَلَق و(الهِدْمِل)(٢٠٨) الثوب الخَلَق قال تأبط شراً :

وَمرْقَبةٍ يا أمَّ عَمْرو طِمِرّةٍ
مُذَبْذَبةٍ فَوْق المراقِب عَيْطَلِ

نَهَضْتُ اليها من جُثُومٍ كأنّها
عَجُوزٌ عليها هِدْمِلٌ ذاتُ خَيْعَلِ

و(الماري)(٢٠٩) و(النِّضْو)(٢١٠) : الثوب الخَلَق وأنشد :

تُولا لنات الخَلَق الماريّ

(١٩٧) اللسان [قضأ] .
(١٩٨) اللسان [محح] .
(١٩٩) اللسان [هرث] .
(٢٠٠) اللسان [طرد] .
(٢٠١) اللسان [خبب] .
(٢٠٢) اللسان [جرد] و [سمل] .
(٢٠٣) اللسان [رقد] .
(٢٠٤) اللسان [رعبل] .
(٢٠٥) اللسان [ترك] .
(٢٠٦) اللسان [سحق] .
(٢٠٧) اللسان [همل] .
(٢٠٨) اللسان [هدمل] .
(٢٠٩) اللسان [مرا] .
(٢١٠) اللسان [نضا] .

والثوب (النَهج) (٢١١) البالي ولم يتشقق وانهجه البلى فهو مُنْهَج إذا اخذه البِلى واسرع فيه .

قال عبد بني الحسحاس :

فمازال بُرْدي طيّباً من ثيابهـــا

الى الحَوْلِ حتى أنْهَجَ البُرْدُ باليا

و(الحشيف)(٢١٢) : الثوب البالي الخَلَق ، و(الخَلَقُ)(٢١٣) : الثوبُ البالي إذا رأيت فيه طُرُقاً ، وثوب خَلَقٌ : بال فيه طرائق . و(الزِّعْنفة) (٢١٤) القطعة من الثوب وقيل أسفل الثوب المُتَخَرِّق . و(المِزْقة)(٢١٥) : القطعة من الثوب و(آسان)(٢١٦) الثياب مابقي منها و(أعسان)(٢١٧) الثوب بقيته و(عَدافِلها)(٢١٨) خُلْقانها و(المضارج)(٢١٩) الثياب الخُلْقان . و(المِشَقُ) (٢٢٠) اخلاق الثياب و(الرِّتاق)(٢٢١) : ثوبان يُرْتقان بحواشيهما .

ولترقيع الثياب في معجم اللسان نصيب واسماء فاذا رُقع الثوب فهو (المُقَبَّل)و(المَقْبُول) و(المُرَدَّم) و(المُلَبَّد) و(المَلْبُود)(٢٢٢) و(البنَقَةُ) و(البَنيقَةُ) (٢٢٣) رقعة تكون في الثوب كاللَّبِنَةِ ويقال : لَبِنَةُ القميص والجمع بَنائق . قال قيس بن مَعاذ :

يَضُمُّ اليَّ الليلُ أطفال حُبِّهـــا

كما ضَمَّ أزرارَ القَميصِ البَنائقُ

(٢١١) اللسان [نهج] .
(٢١٢) اللسان [حشف] .
(٢١٣) اللسان [خلق] .
(٢١٤) اللسان [زعنف] .
(٢١٥) اللسان [مزق] .
(٢١٦) اللسان [أسن] .
(٢١٧) اللسان [عسن] .
(٢١٨) اللسان [عذفل] .
(٢١٩) اللسان [ضرج] .
(٢٢٠) اللسان [مشق] .
(٢٢١) اللسان [رتق] .
(٢٢٢) اللسان [قبل] و [لبد] .
(٢٢٣) اللسان [بنق] .

ويقال للخرقة التي يرقع بها قب القميص (القبيلة) (٢٢٤) ، والتي يرقع بها صدر القميص (اللبدة) و(الملبد) الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد وفي الحديث ان عائشة (رضي) أخرجت الى النبي (صلى الله عليه وسلم) كساءً ملبداً اي مرقعاً . وكل ثوب مرقع فهو (منصّة)(٢٢٥) والخرقة التي تخرجها من الثوب فتعصب بهايديك يقال لها (الخبّ) (٢٢٦) وقيل الخرقة الطويلة مثل العصابة و(الصديع)(٢٢٧) الرقعة الجديدة في الثوب و(المعوزة)(٢٢٨) كل ثوب تصون به آخر .
و(القب)(٢٢٩) مايدخل في جيب القميص من الرقاع .
و(النفّاجة)(٢٣٠) رقعة مربعة تحت كم الثوب .
وتسمى الدخاريص النفافيج لأنها تنفج الثوب فتوسعه .

وعلى الرغم من ترفر المعلومات الكثيرة التي تحفل بها كتب المعاجم وتزدحم بها كتب الملابس ومعاجمها فان صعوبة تحديد اوصافها وخصائصها واستعمالاتها تبقى بعيدة عن الدقة لما يخالط اوصافها ويتداخل في استخدامها ويقال في تعاريفها ومع هذا التداخل فان بعض انواعها قد حدد من خلال المواصفات المرادفة .

(فالخمار)(٢٣١) المرأة : النصيف وقيل ما تغطي به رأسها و(الحنّة)(٢٣٢) خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها و(المعجر) (٢٣٣) و(العجار) : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ثم تجلبب فوقه بجلبابها والجمع المعاجر ومنه الاعتجار وهو ليّ الثوب على الرأس من غير ادارة تحت الحنك .

(٢٢٤) اللسان [قبل] و [لبد] .
(٢٢٥) اللسان [نصص] .
(٢٢٦) اللسان [خبب] .
(٢٢٧) اللسان [صدع] .
(٢٢٨) اللسان [عوز] .
(٢٢٩) اللسان [قبب] .
(٢٣٠) اللسان [نفج] .
(٢٣١) اللسان [خمر] .
(٢٣٢) اللسان [حنن] .
(٢٣٣) اللسان [عجر] .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دخل مكة يوم الفتح مُعْتَجِراً بعمامة سوداء والمعنى أنه لفَّها على رأسه ولم يَتَلَحَّ بها . و(الجلباب)(٢٣٤) هو كالمِقْنَعَة تُغَطِّي به المرأةُ رأسَها وظَهر ها وصَدْرها وقيل ثوب اوسع من الخمار دون الرِّداء تُغَطِّي به المرأةُ رأسَها وصَدْرَها وقيل هو الخمار وانشد في وصف الشيب :

حتى اكتسى الرأسَ قناعاً أشْهَبا
اكرَه جلبابٍ لمن تَجَلْبَبا

(والكِيدْن)(٢٣٥) و(الكَنْدن)) الثوب الذي يكون على الحِذر.

وقيل هو ما تُوطِّىءُ به المرأة لنفسها في الهودج من الثياب و(البُخْنُق) (٢٣٦) برقع يُغَشِّي العنق والصدر والبرنس الصغير يسمى بُخْنُقاً وقيل : خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها ما قَبلَ منه وما دَبَر غير وسط رأسها وقيل هي خرقة تُقَنِّع بها وتخيط طرَفَيها تحت حنكها وتَخِيط معها خرقة على موضع الجَبهة وبعضهم يسميه المِحْنك . (والدِثار) (٢٣٧) الثوب الذي يَسْتَدْفأ بهمن فوق الشعارو(الشِّعار) (٢٣٨) : ما ولي شعرجسدالانسان دون ما سواه من الثياب

و(المِجْسد) : (٢٣٩) الثوب الذي يلي جسدَ المرأة فتعرق فيه . و(الصوقعة)(٢٤٠) و(الصقاع) خرقة تكون على رأس المرأة توقي بها الخمار من الدهن وربما قيل للبرقع (صِقاع) ، أما (الغِفَارة)(٢٤١) فخرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها . وقيل خِرْقة تكون دون (المِقْنعة) توقي بها الخمار

(٢٣٤) اللسان [جلب] .
(٢٣٥) اللسان [كدن] .
(٢٣٦) اللسان [بخنق] .
(٢٣٧) اللسان [دثر] .
(٢٣٨) اللسان [شعر] .
(٢٣٩) اللسان [جسد] .
(٢٤٠) اللسان [صقع] .
(٢٤١) اللسان [غفر] .

من الدّهن و(الشُّنْتُقَة) (٢٤٢) . خِرقة تكون على رأس المرأة تقي بها الخمار من الدُّهْن و(البُرقع) (٢٤٣) تلبسه نساء الاعراب وفيه خَرْقان للعينين و(الجُنَّة) (٢٤٤) خِرقة تَلْبسها المرأة فتغطي رأسَها ما قَبَل منه وما دَبَر غير وسطه وتغطي الوجه وحَلْيَ الصدر وفيها عَيْنان مَجُوبتان مثل عيني البُرْقُع و(الجَنَّية) (٢٤٥) مِطْرَف مُدَوَّر على خِلْقَة الطَّيْلَسان تَلْبَسُها النساء .

و(البقيرة) (٢٤٦) أن يؤخذ بُرْد فيشُق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كُمين ولاجيبين و(الأتب) قميص لا كُمّين له تلبسه النساء وقيل تلقيه في عنقها.
و(الحِرْز) (٢٤٧) لباس النساء من الوبر وجلود الشاء ، ويقال هو الفرو الغليظ و(المَرْمَرْ) (٢٤٨) ضرب من تقطيع ثياب النساء (والقُرْزُح) (٢٤٩) ثوب كان نساء الأعراب يلبسنه .

و(درع) (٢٥٠) المرأة قميصها وهو الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها وقيل : ثوب تجوب المرأة وسطه وتجعل له يدين وتُخيط فرجيه
و(الشليل) (٢٥١) الغلالة التي تُلبس فوق الدرع ، وقيل هي الدرع الصغيرة القصيرة تكون تحت الكبيرة .
و(الهُنْبُع) (٢٥٢) شبه مِقْنعة قد خيط تَلْبَسُه الجواري .
و(المِجْوَل) (٢٥٣) : ثوب صغير تجول فيه الجارية ، وقيل : ثوب يثنى ويُخاط من أحد شقيه ، ويُجعل له جيب تَجُول فيه المرأة ؛ وقيل : المِجْوَل

---

(٢٤٢) اللسان [شنتق] .
(٢٤٣) اللسان [برقع] .
(٢٤٤) اللسان [جنن] .
(٢٤٥) اللسان [جنن] .
(٢٤٦) اللسان [بقر]
(٢٤٧) اللسان [حرز] .
(٢٤٨) اللسان [مرر] .
(٢٤٩) اللسان [قرزح] .
(٢٥٠) اللسان [درع] .
(٢٥١) اللسان [شلل] .
(٢٥٢) اللسان [هنبع] .
(٢٥٣) اللسان [جول] .

للصَّبيَّة والدرْع للمرأة ، وكانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين(٢٥٤) . و(الخِفاء)(٢٥٥) رداءٌتَلْبَسُهُ العروس علىثوبها،تُخَفِّية به وقيل ثوب تَلْبَسُهُ المرأة فوق ثيابها و(المِعْرَض)(٢٥٦) : الثوب تُعْرَض فيه الجارية وتُجَلَّى فيه ، و(الزُّنْجُب)(٢٥٧) : ثوبتَلْبسُهُ المرأة تحت ثيابها إذا حاضت و(الدِّخْرِيص) (٢٥٨) من القميص، والدرع واحد الدخاريص وهو ما يُوصَل به البدن ليُوَسِّعه يقول الاعشى :

كما زِدْن في عَرْض القميص الدِّخارصا

والمرأةالتي لاتحسن لبس الثياب أمرأة(بَعِلة) (٢٥٩) وثوب(رَذْل) (٢٦٠) و(رَذِيل) : وسِخٌ ردي و(المِبْذلة) (٢٦١) من الثياب مايُلبس ويُمتهن ولايُصان .

وأي اجزاء القميص من خلال الحديث عن الملابس(فجِرِبَّان) (٢٦٢) القميص جَيْبُهُو (الخَيْعَل)(٢٦٣)قميص لا كُمَّيْ لهو(السِّربال)(٢٦٤) القميص والدرع وقيل: كُلّ ما لُبِسَ فهو سربال و(القَبُّ)(٢٦٥) ما يُدْخَل في جيب القميص من الرّقاع .

و(البَلْقة) قميص بلا كُمَّيْن و(الخِلاف)(٢٦٦) كُمُّ القميص و(الرُّدْن) (٢٦٧) اصل الكم يقال : قميص واسع الرُّدْن و(الرُّهْب) (٢٦٨) الكم و(القُنّ) (٢٦٩)

---

(٢٥٤) اللسان [برج] .
(٢٥٥) اللسان [خفا] .
(٢٥٦) اللسان [عرض] .
(٢٥٧) اللسان [زنجب] .
(٢٥٨) اللسان [دخرص] .
(٢٥٩) اللسان [بعل] .
(٢٦٠) اللسان [رذل] .
(٢٦١) اللسان [بذل] .
(٢٦٢) اللسان [جرب] .
(٢٦٣) اللسان [خلع]
(٢٦٤) اللسان [سربل] .
(٢٦٥) اللسان [قبب] .
(٢٦٦) اللسان [خلف] .
(٢٦٧) اللسان [ردن] .
(٢٦٨) اللسان [رهب] .
(٢٦٩) اللسان [قنن] .

كذلك و(البَنَادك) (٢٧٠) من القميص عُراه و(زرٌ) (٢٧١) القميص العروة التي تجعل الحبَّة فيها ويُقال ازرَّ القميص (الزّير)(٢٧٢) وهو (الدُّجَة) ويقال لُعرْوَته (الوَعْلَة) و(الزِّرُّ) الجُوَيْزَة التي تُجعل في عروة الجيب و(الحَذَل)(٢٧٣) و(الحُذال) و(الحُذالة) مُستدار ذيل القميص و(ذَلاذِل)(٢٧٤) القميص : مايلي الأرض من اسافله ، وذيل الثوب والازار ما جُرَّ منه إذا أُسبل .

و(ذناذِن) (٢٧٥) القميص أسافله ، و(الزِّيق)(٢٧٦) ماكُفَّ من جانب الجيب وزيق القميص ما أُحاط بالعنق .

و(الرِّداء)(٢٧٧) الذي يُلبس و(العِطاف) كذلك وقيل المعاطف : الاردية لا واحد لها وقيل الغطاء الكبير و(اللَّوْط)(٢٧٨) .

و(الازار)(٢٧٩) كل ماواراك وستَرك وآزَر به الشيء أحاط وقيل الإزار المِلْحفة و(النَّشير)(٢٨٠) الازار ، ويُتخذ (المِحْشاءُ)(٢٨١) مِئزراً وقيل كِساء غليظ يُشتمل به .

و(الدَّقْرار)(٢٨٢) و(الدَّقْرارة) : التُّبَّان وهي سراويل بلا ساق وهي السروال الصغير الذي يستر العورة وحدها و(أنْدَراوَرْد)(٢٨٣) : التُّبَّان وقيل نوع من السراويل مُشمَّر فوق التُّبَّان يُغطي الركبة وقالت ام الدرداء : زارنا سلمان من المدائن الى الشام ماشياً وعليه كساء وانْدَرَاوَرْد .

و(حُجْزة)(٢٨٤) السراويل موضع التكة والسراويل(المُشَنَّجة)(٢٨٥)

---

(٢٧٠) اللسان [بندك] .
(٢٧١) اللسان [زرر] .
(٢٧٢) اللسان [زرر] .
(٢٧٣) اللسان [حذل] .
(٢٧٤) اللسان [ذلل] .
(٢٧٥) اللسان [ذنن] .
(٢٧٦) اللسان [زيق] .
(٢٧٧) اللسان [ردي] .
(٢٧٨) اللسان [لوط] .
(٢٧٩) اللسان [أزر] .
(٢٨٠) اللسان [نشر] .
(٢٨١) اللسان [حشأ] .
(٢٨٢) اللسان [دقر] .
(٢٨٣) اللسان [الدرورد] .
(٢٨٤) اللسان [حجز] .
(٢٨٥) اللسان [شنج] .

الواسعة التي تسقُط على الخفّ حتى تغطيَ نصف القدم إذا كانت واسعة طويلة لا تزال تُرفع فتَتَشَنَّج و(النُّقْبة)(٢٨٦) خِرْقةٌ يجعل أعلاها كالسراويل واسفلُها كالإزار وقيل مثل النطاق إلاّ أنّه مَخيط الحُزَّة نحو السراويل وقيل سراويل بغير ساقَين ، وقيل ثوب كالإزار يجعل له حُجْزة مَخيطة من غير نَيْفَق ويُشد كما يُشَدُّ السراويل ، فاذا كان لها نَيْفَق فهي سراويل .

ويبدو أن سعة الثياب كانت متداولة ولهذا كانت مفرداتها كثيرة وهي تمتد الى الطول والكمال والسعة فالثوب(الرِفَلُّ)(٢٨٧) الواسع والسراويل (المُخَرْفجة)(٢٨٨)الواسعة الطويلة التي تقع على ظهر القدم و(الخَجِل) (٢٨٩) الثوب الفضفاض والواسع الطويل والثوب(الأدِيّ)(٢٩٠) إذا كان واسعاً وثوب (يدي) (سُباعي)(٢٩١) إذا كان طوله سبع أذرع أو سبعة اشبار و(العَبْعَب)(٢٩٢) الثوب الواسع وقيل كساء غليظ ، كثير الغزل ، ناعم يُعمل من وبر الابل .

و(السُّنبلاني) (٢٩٣) من الثياب السابغ الطويل الذي أسبل و(الأرْعَل) (٢٩٤) لما تهدّل من الثياب (الشُّقة)(٢٩٥)من الثياب السبيبة المستطيلة وثوب (نزيل) (٢٩٦) كامل و(المِشْمَل) (٢٩٧) الثوب يُشمل به اذا اداره على جسده كله حتى لا يخرج منه يده و(العافل) (٢٩٨) الذي يلبس ثياباً قصاراً فوق ثياب طوال و(القالص)(٢٩٩) من الثياب المُشمَّر القصير و(الأصْدَة)(٣٠٠) قميص صغير

(٢٨٦) اللسان [نقب] .
(٢٨٧) اللسان [رفل] .
(٢٨٨) اللسان [سرل] .
(٢٨٩) اللسان [خجل] .
(٢٩٠) اللسان [ادا] .
(٢٩١) اللسان [سبع] .
(٢٩٢) اللسان [عبب] .
(٢٩٣) اللسان [سنبل] .
(٢٩٤) اللسان [رعل] .
(٢٩٥) اللسان [شقق] .
(٢٩٦) اللسان [نزل] .
(٢٩٧) اللسان [شمل] .
(٢٩٨) اللسان [عفل] .
(٢٩٩) اللسان [قلص] .
(٣٠٠) اللسان [أصد] .

صفُلس تحت الثوب .

و(الأَصْدَة)(٣٠١)و(الأصيدة)و(المُؤَصَّد) صدارٌ تلبسه الجارية فإذا ادركت دَرَّعت قال كثير :

وقد دَرَّعوها وهي ذاتُ مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ ولما تلبَس الدرعَ رِيدُها

و(الغِطاية)(٣٠٢) : ماتغطَّتْ به المرأة من حشو الثياب تحت ثيابها كالغلالة نحوها و(القَرْقَل)(٣٠٣) قميص من قُمُص النساء و(القَباء)(٣٠٤) من الثياب الذي يلبس و(العَبَاية)(٣٠٥) ضرب من الأكسية واسع فيه خطوط سود كبار و(العباءة) لغة فيه و(السَّيح)(٣٠٦) مِسح مُخطط يُستَتَرُ به ويُفتَرش وقيل : العباءة المُخَطَّطَة وأنشد :

وإني وان تُنكَرْ سُيُوحُ عَبَاتي شِفاءُ الدَّقَى يا بكْرَ أمِّ تميم

و(المِيثَرة)(٣٠٧) : الثوب الذي تُجَلَّل به الثياب فيعلوها .

ونأتي مفردات ملابس الصبيان متباعدة في المعجم (فالنِّفاض)(٣٠٨) إزار من أزر الصبيان (والقُبَعة) (٣٠٩) و(القُنْبُعة) خرقة تخاط شبيهة بالبُرنس يلبسها الصبيان و(الرِّهاط) (٣١٠) ثوب تلبسه غلمان الاعراب ، أطباق بعضها فوق بعض امثال المراويح .

و(العِلْقة) (٣١١) ثوب صغير يُتخذ للصبي ، وقيل اول ثوب يلبسه المولود .

وللحزن ملابسه (فالحِداد) (٣١٢) ثياب المأتم السود و(السِّلاب) (٣١٣)

---

(٣٠١) اللسان [أصد] .
(٣٠٢) اللسان [غطي] .
(٣٠٣) اللسان [قرقل] .
(٣٠٤) اللسان [قبا] .
(٣٠٥) اللسان [عبا] .
(٣٠٦) اللسان [سيح] .
(٣٠٧) اللسان [وثر] .
(٣٠٨) اللسان [نفض] .
(٣٠٩) اللسان [قبع] و [قنبع] .
(٣١٠) اللسان [رهط] .
(٣١١) اللسان [علق] .
(٣١٢) اللسان [حدد] .
(٣١٣) اللسان [سلب] .

و(السُّلُب) : ثياب سود تَلْبسَهُ النساء في المأتم قال لبيد :

يَخْمِشْنَ حُرَّ أوجه صحَاح في السُّلُب السود وفي الأمساح

و(الصِّدار)(٣١٤) ثوبٌ رأسه كالمِقْنَعة واسفلُه يَغْشَى الصّدرَ والمنكبين تلبسه المرأة الثكلى إذا فقدت حميمها فأحَدّت عليه لبست صدارا من صوف

و(السيدارة)(٣١٥) القلنسوة بلا أصداع ، و(العِصابة)(٣١٦) : العمامة وكل ما يُعْصَب به الرأس و(الحَوْنَكيّة)(٣١٧) عِمّة يتعمم بها الاعراب يسمونها بهذا الاسم ؛ وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في الصُّفّة وعليه الحوتكية وعمامة (حَرَقانيّة)(٣١٨) و(الكِمام)(٣١٩) جمع كُمّة وهي القلنسوة .

اما (النّطاق) (٣٢٠) فشبه إزارٍ فيه تِكة كانت المرأة تنتطق به وهو أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها وترسله على الأسفل عند معاناة الاشغال لئلا تعثر في ذيلها و (المِمْطَر) (٣٢١) و (المِمْطَرة) ثوب من صوف يُلبس في المطر يُتوقى به منه .

ومن لوازم الحديث عن الملابس الاشارة الى بعض ما يتعلق بها من اوعية تُغسل بها واماكن لحفظها وخشباتٌ تنشر عليها أو تعلّق بها أو مِدَقّ تُدق عليه .

(فالمِخْضَب) (٣٢٢) شبه الأجانة تغسل فيها الثياب و(الصِوان)(٣٢٣) وعاء تُصان فيه و(الغِدان)(٣٢٤) القضيب الذي تُعلّق عليه و(الشجاب)(٣٢٥) خشبات

---

(٣١٤) اللسان [صدر] .
(٣١٥) اللسان [سدر] .
(٣١٦) اللسان [عصب] .
(٣١٧) اللسان [حتك] .
(٣١٨) اللسان [حرق] .
(٣١٩) اللسان [بطح] .
(٣٢٠) اللسان [نطق] .
(٣٢١) اللسان [مطر] .
(٣٢٢) اللسان [خضب] .
(٣٢٣) اللسان [صون] .
(٣٢٤) اللسان [غدن] .
(٣٢٥) اللسان [شجب] .

مُوثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر و(المِشْجَب) كالشجاب و (الكُذينق)(٣٢٦) مدق القَصّارين الذي يُدق عليه الثوب وكذلك (الوبيل) بعد الغسيل (الميدَع) (٣٢٧) الثوب الذي نبتذله وتُودع به ثياب الحقوق ايوم الحفل ، وانما يُتخذ المبدع ليودع به المصون و(القطيلة)(٣٢٨) قطعة كساء أو ثوب يُنشّف بها الماء و(الضّجاج) (٣٢٩) صمغ يؤكل فاذا جف سُحِق ثم كيل وقوّي بالقلْي ثم غسل به الثوب فينقيه تنقية الصابون ، ويُقال الثوب إذا جَفّ بعد الغسل قد قفّ قفوفاً .

وتتضح صورة البيع والشراء من خلال بعض المفردات التي ذكرها صاحب المعجم وهي تتعلق بأمتعة البزّاز التي يُطلق عليها (البَزّ) (٣٣٠) و(الرّي‌ء)(٣٣١) و(الرِّيء) الثوب الفاخر يُنشر للبيع ليُرى حسنُه و (الثوّاب)(٣٣٢)الذي يبيع الثياب وتوحي بعض المفردات بالدور الحضاري المتقدم الذي وصل اليه المجتمع العراقي (فالنُّجُود)(٣٣٣) ثيابٌ تَنجدُ بها البيوت فلبس حيطانها وتُبسط .

و(الكَدّابة) (٣٣٤) :ثوب يُصبَغ بألوان يُنقَش كأنه مَوْشِيٌّ وفي حديث المسعودي رأيت في بيت القاسم كَذَّابتَيْن في السقف ، والكَدّابة : ثوبٌ يُصَوّر ويُلْزَقُ بسقف البيت سُمّيت به لأنها تُوهم أنها في السقف هي في الثوب دُونَه .

والتنجيد التزين ، و(الرُّفاعة) (٣٣٥)ثوب تَرْفع به المرأة الرّسحاء عجيزتها ، تُعظمّها .

لقد حاولت ان اجمع من اللسان ما وجدته وقد اتخذت هذا المنهج مجتهداً في تسلسله وانني لعلى ثقة اكيدة بأن ما قدم في هذا البحث سيكون موضع اهتمام الباحثين لعلهم يجدون فيه ما ينفعهم والله نسأل التوفيق .

(٣٢٦) اللسان [كذنق] و [الوبيل] .
(٣٢٧) اللسان [ودع] .
(٣٢٨) اللسان [قطل] .
(٣٢٩) اللسان [ضجج] .
(٣٣٠) اللسان [بزّ] .
(٣٣١) اللسان [راي] .
(٣٣٢) اللسان [ثوب] .
(٣٣٣) اللسان [نجد] .
(٣٣٤) ينظر اللسان [كذب] .
(٣٣٥) اللسان [رفع] .

مسائل لغوية في مذكرات مجمعية

الشيخ محمد حسن آل ياسين
عضو المجمع

في المجمع العلمي العراقي – كما يعلم المطلعون على شؤونه – عدد غير قليل من اللجان والهيئات العلمية العاملة ، تقوم بواجباتها بصمت وصبر ودأب ، وتعنى كل واحدة منها بجانب معيّن من الجوانب المتصلة برسالة المجمع ودوره في الحياة العامة .

ويدور في هذه اللجان – كلاً أو بعضاً – من المطارحات والمناقشات وتبادل المعلومات مايتّسم معظمه بالنفاسة والعمق والجدّة والفائدة الكبيرة . وقد يستغرق البحث في المسألة اللغوية الواحدة جلسة كاملة ، وقد يمتد الى جلستين او جلسات ، وكثيراً ما تكتَب خلال ذلك المذكرات ، وربما تُحرّر التعليقات على تلك المذكرات ، حتى يصل البحث الى ما يُقنِع الجميع او يكون موضع قبول الاكثر منهم .

وكنتُ قد قدّمت الى لجنتَي « الاصول » و « اللغة العربية » – وهما اللجنتان المعنيّتان بتقعيد القواعد اللغوية والفتوى في الصحيح والغلط من الصيغ والتراكيب والألفاظ المتداولة بين الناس – عدة مذكرات في عدد من المسائل اللغوية . كانت موضع النقاش والأخذ والرد من قبل الأعضاء . كما كان بعضها موضع التعليق والتعقيب من الزملاء .

ولما كانت المسائل التي دارت حولها هذه المذكرات من الموضوعات اللغوية الطريفة التي تستحق العناية والاهتمام ، رأيتُ من المستحسن جداً ان أشرك المعنيين بهذا الجانب والذوّاقين له من غير أعضاء المجمع ، بالعلم التفصيلي بذلك والاطلاع التام عليه ، أملاً في زيادة الفائدة وإثراء البحث وتوخّي الصواب ، فقدّمت هذه المجموعة للنشر تحقيقاً لهذا الغرض ، والله من وراء القصد .

ولا يفوتني التنبيه — اداءً للأمانة العلمية — على ان هذا المنشور لايحكي تلك المذكرات بنصّها الذي كُتبتْ به يوم تقديمها ، وليس صورة (طبق الاصل) لما كانت عليه حينذاك ، لأني قد زدت فيها وأضفت اليها ماوقفتُ عليه بعد تحريرها من أمثلة وشواهد رَوَتْها المعجمات ، ومن آراء وأقوال أوردتها كتب السلف ، مضافاً الى الردود والملاحظات على تعليقات الزملاء .

كما ينبغي التنبيه ايضاً على أني قد اغفلتُ ذكر أسماء الزملاء الذين شاركوا في المناقشات والمحاورات ولم أروِ نصوص كتاباتهم وتعقيباتهم . لان نشر ذلك من شؤونهم الخاصة بهم دون غيرهم . كما أني لم أورد قرارات اللجنتين المذكورتين في القضايا التي عُنيت بها هذه المذكرات ، لأن نشر تلك القرارات من الحقوق الخاصة باللجنة ذات العلاقة .

والله تعالى المسؤول ان يسدد خطا الجميع ويمدّهم بعونه وتأييده ، إنه خير مسدّد ومؤيد ومعين .

صيغة « التَّفعال » في العربية (*)

روت المعجمات وكتب النَّحو ـ فيما روتْ من استعمالات العرب ـ بناء خاصّاً بالمصدر، فيهمن الصياغة ونمط التأليف مايستوقف الدارس والباحث، لأنه ـ مع النص على كونه من مصادر الفعل الثلاثي ـ يحمل من الزيادة مايخرجه لفظاً ووزناً من دائرة اوزان الكثرة الكاثرة من مصادر الثلاثي المعروفة، ونعني به صيغة التَّفعال ـ بفتح التاء ـ.

وقد رجعتُ الى تراث السلف للوقوف على جليَّة الأمر، فاجتمع لديّ من ذلك مارجحت وضعه بين يدي الزملاء الأفاضل ليروا رأيهم فيه. والله الموفق.



قال سيبويه :

« هذا باب ما تُكَثِّر فيه المصدرَ من فَعَلْتُ فتُلحِق الزَّوائدَ وتبنيه بناءً آخر . . . وذلك قولك في الهَذْر : التَّهذار، وفي اللعب : التَّلْعاب، وفي الصَّفْق : التَّصْفاق، وفي الرَّدّ : التَّرداد، وفي الجَوَلان : التَّجوال، والتَّقتال والتَّسيار . وليس شيءٌ من هذا مصدرَ فَعَّلْتُ . ولكن لمّا أردتَ التكثير بنيتَ المصدرَ على هذا » (١) .

وقال ابو سعيد معلقاً على كلام سيبويه :

« اعلمْ ان سيبويه يجعل التَّفعال تكثيراً المصدر الذي هو للفعل الثلاثي، فيصير التَّهذار بمنزلة قولك الهَذْر الكثير، والتَّلعاب بمنزلة اللَّعب الكثير . وكان الفرّاء وغيره من الكوفيين يجعلون التَّفعال بمنزلة التَّفعيل والألفَ عوضاً من الياء، ويجعلون ألفَ التَّكرار والتَّرداد بمنزلة ياء تكرير وترديد . والقول

(*) مذكرة مقدمة الى لجنة الاصول بتاريخ ١٩٨١/١١/٣م .
(١) الكتاب ـ طبعة بولاق ـ : ٢٤٥/٢ .

ماقاله سيبويه ، لأنه يُقال التَّلْعاب ولا يقال التَّلعيب » (٢) .

وقال سيبويه ايضاً :

« أمّا التِّبْيان فليس على شيء من الفعل لحقته الزيادة ، ولكنه بُني هذا البناء فلحقته الزيادة كما لحقت الرِّئمانَ وهو من الثلاثة ، وليس من باب التَّفعال ، ولو كان أصلها من ذلك فتحوا التاء ، فانما هي من بيَّنْتُ ، كالغارة من أغَرْتُ والنبات من أنْبَتَ ، ونظيرها التِّلقاء وانما يريدون اللُّقْيان » (٣) . ويعني سيبويه بذلك « ان التِّبيان ليس بمصدر ، لبيَّنْتُ . وانما مصدر بيَّنْتُ التَّبيين ، والتِّبيان اسمٌ جُعِل موضع المصدر وكذلك مصدر أغَرْتُ : إغارة ، وتُجعَل غارة مكان إغارة ، ومصدر أنْبَتَ : إنْبات ، ويستعمل النَّبات مكان الإنبات » (٤) .

وقال ابن سيده :

« المصادر كلها على تَفعْال – بفتح التاء – ، وانما تجيء تِفْعال في الاسماء ، وليس بالكثير ، وقد ذكر بعض اهل اللغة منها ستة عشر حرفاً لا يكاد يوجد غيرها » (٥) .

وسرد الزمخشري في مبحث المصادر كلماتٍ وردت على هذا البناء وقال: انه « مّما بُني لتكثير الفعل والمبالغة فيه » (٦) .

وقال ابن يعيش في شرح ذلك :

« هذا الفصل قد اشتمل على ما جاء مصدرُ فَعَلْتُ فيه على غير ما يجب له ، بأنْ زِيدَ فيه زوائدُ للايذان بكثرة المصدر وتكريره ، كما جاء فَعَّلْتُ

---

(٢) المخصص – الطبعة البيروتية المصوَّرة – : ١٤/١٩٠ – ١٩١ .
(٣) الكتاب : ٢/٢٤٥ .
(٤) المخصص : ١٤/١٩١ .
(٥) المخصص – ايضاً – : ١٤/١٩١ .
(٦) المفصل – الطبعة الثانية – : ٢٢٢ .

بتضعيف العين لتكثير الفعل وتكريره ، وذلك قولك في الهَذْر : التَّهذار . . [أي] الهَذْر الكثير ، وقالوا في التَّعِب : التَّلعاب ؛ وفي الصَّفق : التَّصفاق ... فليس في هذه المصادر ماهو جارٍ على فَعَلٍ . لكن لمّا أردتَ التكثير عدلتَ عن مصادرها وزدتَ فيها ما يدل على التكثير . لأن قوة اللفظ تُؤذِن بقوة المعنى . . فهي مصادر جرتْ على غير أفعالها » .

« وقال الكوفيون : التَّفعال – هنا – بمنزلة التَّفعيل ، ولا بأس به ، لأن التفعيل مصدر فَعَّلَ وهو بناء كثرةٍ ، فلم يأوا بلفظه لئلا يُتَوهَّم انه منه ؛ فَغَيَّروا الياء بالألف وبَقَّوا التاء مفتوحة » (٧) .

وقال ابن الحاجب في شافيته :

« ونحو التَّرداد والتَّجوال . . للتكثير » .

وقال الرضيُّ الاستراباذي في شرح ذلك :

« انك اذا قصدتَ المبالغة في مصدر الثلاثي بنيتَه على التَّفعال ، وهذا قول سيبويه ، كالتَّهذار في الهَذْر الكثير ؛ والتَّلعاب ؛ والتَّرداد . وهو مع كثرته ليس بقياس مطرد . وقال الكوفيون : ان التَّفعال أصله التَّفعيل الذي يفيد التكثير ، قُلِبتْ ياؤه الفاً ، فأصل التكرار التكرير . ويرجِّح قولَ سيبويه بأنهم قالوا التَّلعاب ، ولم يجيء التَّلعيب » (٨) .

وتلقّى المجمعيون ما قاله السلف في هذه المسألة بالتأييد والقبول ، ورووا ذلك في معجماتهم ، ونصُّوا على أن « التَّفعال بناء موضوع للكثرة كفَعَّلْتُ في فَعَلْتُ » (٩) ، أو انه « صيغة تدلُّ على تكثير المصدر » (١٠) ، او هو

(٧) شرح المفصل : ٦/٥٥ – ٥٦ .
(٨) شرح الشافية – طبعة استانبول – : ٥٩ .
(٩) لسان العرب / جول .
(١٠) لسان العرب / لعب .

«بناء يدل على التكثير»(١١)، الى غير ذلك مما جاء فيها بهذا الخصوص (١٢).

★ ★ ★

وأُقدّم فيما يأتي جريدةً تضم ما وقفتُ عليه من الفاظ هذا البناء خلال المطالعة والمراجعة، مع الاعتراف بعدم الاستقصاء التام لكل ما ورد عن العرب وأُثِرَ من كلامهم في ذلك:

التِّرعاب	اللسان (رعب)
التِّسكاب	اللسان (سكب)
التِّشراب	اللسان (شرب)
التِّضراب	اللسان (ضرب)
التِّطياب	اللسان (طيب)
التِّعتاب	اللسان (عتب)
التِّكذاب	اللسان (برق)
التِّلعاب	اللسان (لعب)
التِّنعاب	اللسان (نعب)
التِّلماح	اللسان (لمح)
التِّنباح	اللسان (نبح)
التِّضاح	القاموس(نضح)
التِّفاخ	اللسان (وقع)

(١١) لسان العرب / هذر.
(١٢) العباب / لعب، واللسان / هتر وهيم، وتاج العروس / شرب ولعب وسير وهذر.

التَّرداد	اللسان (ردد)
التَّعداد	اللسان (عدد)
التَّعقاد	اللسان (عقد)
التَّقواد	القاموس (قود)
التَّنقاد	اللسان (نقد)
التَّهداد	اللسان (هدد)
التَّهواد	اللسان (هود)
التَّأخاذ	اللسان (أخذ)
التَّحناذ	القاموس (حنذ)
التَّلواذ	القاموس (لوذ)
التَّجبار	اللسان (جبر)
التَّسيار	اللسان (سير)
التَّكرار	اللسان (كرر)
التَّنظار	اللسان (نظر)
التَّهتار	اللسان (هتر)
التَّهدار	اللسان (هدر)
التَّهذار	اللسان (هذر)
التَّنساس	اللسان (نسس)
التَّحراش	القاموس (حرش)
التَّرشاش	القاموس (رشش)
التَّهواش	القاموس (هوش)
التَّنقاص	القاموس (نقص)
التَّركاض	شرح نهج البلاغة : ٢ / ١١٩
التَّغماض	اللسان (غمض)

التَّوماض	اللسان (ومض)
التَّنواط	اللسان (نوط)
التَّصداع	اللسان (صدع)
التَّهجاع	اللسان (هجع)
التَّوجاع	الجيم : ١ / ٢٣١
التَّلداغ	اللسان (لدغ)
التَّمراغ	القاموس (اوث)
التَّجفاف	اللسان (جفف)
التَّذراف	اللسان (ذرف)
التَّرجاف	الجيم : ٣ / ٨٢
التَّطواف	اللسان (طوف)
التَّوكاف	اللسان (وكف)
التَّبثاق	الجيم : ١ / ١١١
التَّصفاق	اللسان (صفق)
التَّغساق	الجيم : ١ / ١١١
التَّبراك	اللسان (برك)
التَّجوال	اللسان (جول)
التَّقتال	اللسان (قتل)
التَّمثال	اللسان (مثل)
التَّميال	اللسان (ميل)
التَّهتال	اللسان (هتل)
التَّأثام	اللسان (برق)
التَّسجام	اللسان (سجم)
التَّشتام	التهذيب : ١ / ١١٤ ولم يرد في اللسان

التَّهمام	شرح نهج البلاغة : ٢ / ٧٥ و٨٠
التَّهيام	اللسان (هيم)
التَّهتان	اللسان (هتن)
التَّرماء	اللسان (رمى)
التَّعداء	اللسان (عدا)
التَّقياء	العين : ١ / ٢٢٦
التَّهجاء	اللسان (هجا)

★ ★ ★

ونستطيع ان نلخص النتائج من مجموع ماتقدَّم على النحو الآتي :

١ — ان الكلَّ متفق على كون هذا المصدر دالاً على الكثرة والمبالغة .

٢ — ان الأمثلة المأثورة قد شملت الأفعال الصحيحة والمعتلَّة .

٣ — ان الكوفيين في ذهابهم الى كون التَّفعال كالتَّفعيل والألف عوضاً من الياء ، لم يريدوا انه مصدر فعَّلَ المضعَّف العين كما قد يُشعر به تفسير ابي سعيد لقولهم ، وانما أرادوا انه بمنزلة ذاك في الدلالة على الكثرة كما ذكر ابن يعيش .

٤ — ان صريح كلام سيبويه في قوله : « لمّا أردتَ التكثير بنيتَ المصدر على هذا » وكلام الزمخشري : « بُنيَ لتكثير الفعل والمبالغة فيه » وكلام ابن يعيش : « لكنْ لمّا أردتَ التكثير عدلتَ عن مصادرها وزدتَ فيها مايدل على التكثير » وتعليله ذلك بـ « أنَّ قوة اللفظ تُؤذن بقوة المعنى » وكلام المعجميين : بأنه « بناء موضوع الكثرة » أو « يدل على التكثير » . ان كل ذلك يشير — ولا يضير عدم التصريح — الى أن الصيغة قياسية ، وان الاشتقاق جائز لكل من يريد التكثير والمبالغة .

أمّا تأويل ما ذهب اليه سيبويه : بان ضمير الخطاب في كلامه يُرادُ به ضمير الغائب ، وانه أراد بذلك إعطاء الوجه المسوّغ لشذوذ العرب عن القياس في هذا الاستعمال ؛ وليس إعطاء الوجه المسوّغ للقياس عليه — كما جاء في مذكرة أحد الزملاء — فهو تأويل مخالف للظاهر كل المخالفة ، ولعلنا لانجانب الواقع اذا مازعمنا ان السلف قد فهم من كلامه عين مافهمنا منه وهو قياسية الصيغة ، و كان ابن يعيش بالغاً الغاية في الوضوح إذ علّل ذلك بقوة المعنى التي عبّرتْ عنها قوة اللفظ . ووقوف سيبويه في أمثلته في الباب على المسموع وحده ليس دليلا على عدم صحة القياس ، بل ربما كان هو الدليل على صحته ، لان هذه المسموعات والمأثورات كانت ولم تزل هي المراجع الأصيلة التي يتم في ضوئها تمعيد القواعد ووضع الضوابط والحكم على صواب استعمال صيغةٍ مّا في المعنى الموضوع لها والمراد منها أو عدم صواب ذلك .

٥ — وأمّا ما يتمسك به بعضهم من أن جواز القياس وعدمه مبنيّان — أولاً وأخيراً — على كثرة الورود عن العرب وقلّته ، مع غضّ النظر عن أي ميزان آخر غير ذلك ؛ وأنّ ما كثر استعماله وروده جاز القياس عليه وما قلّ لم يَجُزْ . فلا يصح أن يعدّ الدليل القاطع على نفي ما نحن بصدده . ولن يجدينا في حسم الموقف تنظيم جداول احصائية لتحديد النسبة المئوية لكل استعمال من هذه الاستعمالات ، لأن الصِّيَغ المعــدة للتعبير عن غرض خاصٍ من الأغراض — وربما كان قليل التداول في الكلام — لايُشترط فيها كثرة الورود ، كما ان قلّة الورود لاتمنع من القياس إن لم تكن ندرةً أوشذوذاً . ولذلك يكون الأساس الوحيد الذي يُبنى عليه صرح الحلّ في هذا الباب هو البحث عما يدل على قياسية الصيغة أو عدمها ؛ بعد بذل الوسع ، في الاستقراء والتتبُّع ، في هدى الضوابط العامّة التي تؤيِّد وجود المقتضي ؛ أي الشواهد المأثورة والعلّة المنصوصة

أو المستنبطة ، ومن عدم المانع أي النص الذي يمنع هذا الاستعمال أو يضاده .

والغريب من الرضي الاسترابادي انه مع اعترافه الصريح بكثرة مفردات هذا البناء ينفي أن يكون قياساً مطرداً . وما أدري كيف لاتكون هذه الكثرة اساساً للقياس ! ! .

٦ — ومما يؤيد ما ذهبنا اليه في هذه المسألة: ما قرأته في أحد محاضر مجمعنا العراقي من إقرار مجمع اللغة العربيةبالقاهرة؛ في دورته العاشرة؛ لقياسية صوغ مصدر من الفعل على وزن التَّفعال للدلالة على الكثرة والمبالغة . واذا كنا قد وافقناه على هذا الرأى كل الموافقة؛ فاننالانقر ما ذهب اليه في ذيل القرار من جواز صياغته ممّا لم يرد فيه فعل؛ أي صياغته من اسماء الأعيان؛ لأننا لم نقف على نص أو شاهد يؤيد ذلك .

★ ★ ★

وفي الختام أظن ان إقرار الزملاء الأفاضل اجازة اشتقــاق المصادر من الافعال على زنة تَفعال في حال ارادة الكثرة مما لا شائبة فيه ، وسيكون في السماح بذلك لمن يُحسِن ويُتقِن ماينفع كلَّ المعنيين بمسائل الترجمة والتعريب .

وفوق كل ذي علم عليم .

صيغة « الفِعِّيلي » في العربية (*)

أُثِر عن العرب فيما أُثِر من الكلام الصحيح الفصيح بناءٌ خاص بالمصدر — كالتَّفعال المتقدم الذكر — فيه من غرابة البناء والصوغ ما يستحق التأمل والدراسة؛ لاستجلاء مايراد به ويدل عليه، ونعني به صيغة « الفِعِّيلى » بكسر الفاء وتشديد العين المكسورة والقصر في آخره

وأدوّن فيما يأتي ما وقفتُ عليه في المصادر المعنيّة من نصوص وامثلة تخص هذا الموضوع ، عسى أن يكون في ذلك مايشجع اللجنةالموقرةعلىبحث هذه الصيغة واتخاذ قرار بشأنها . والله الموفق :



قال سيبويه :

« أمّا الفِعِّيلى فتجيء على وجهٍ آخر. تقول : كان بينهم رِمّيّا ، فليس يريد قوله رَمْياً؛ ولكنه يريد ما كان بينهم من التّرامي وكثرة الرّمي ، ولايكون الرِّمّيّا واحداً . وكذلك الحِجّيزى. وأمّا الحِثِّيثى فكثرة الحَثّ ، كماان الرِّمّيّا كثرةالرّمي ، ولا يكون منواحد. وأمّا الدِّلِّيلىفانمايُراد به كثرة علمه بالدلالة ورسوخه فيها . وكذلك القِتِّيتى والهِجّيرى : كثرة القول والكلام بالشيء . والخِلِّيفى كثرة تشاغله بالخلافة وامتداد أيامه فيها» (١) .

وقال ابو عبيد :

« قال الكسائي وابو زيد وغير واحد: هِجّيراه كلامُه ودأبه وشأنه . . . قال ابو عبيد : وللعرب كلامعلىهذا المثال أحرف معلومة، قالوا الهِجّيرى :

(*) مذكرة مقدمة الى لجنة الاصول بتاريخ ١٩٨١/١١/٣م .
(١) الكتاب : ٢٢٨/٢ .

وهي التي وصفنا . والخِلِّيفى : وهي الخلافة؛ وإياها أراد عمر – رض – بقوله: لو أُطيق الأذان مع الخِلِّيفى لأذَّنْت. ومن ذلك قول عمر بن عبد العزيز – رح – : لارِدِّيدى في الصدقة ؛ يقول: لا تُرَدُّ . ومما يقال في الكلام : كانت بين القوم رِمِّيًا ثم حجزت بينهم حِجِّيزى ، يريدون : كان بينهم رَمْيٌ ثم صاروا الى المحاجزة . و كذلك الهِزِّيمى من الهزيمة . والمِنِّينى من المِنَّة . والدِّلِّيلى من الدلالة ، وأكثر كلامهم الدلالة . والخِطِّيبى من الخطبة . وهي كلها مقصورة » (٢) .

وقال المبرد :

« وقوله: كيف دِلِّيلاك: فهي كثرة الدلالة . والفِعِّيلى انما تستعمل في الكثرة . ويقال القِتِّيتى : لكثرة النَّميمة . ويقال الهِجِّيرى : لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرَّجل . . . ويقال : كان بينهم رِمِّيًا : لكثرة الرَّمْي . وكذلك كلُّ ما أشبه هذا » (٣) .

وروى ابن قتيبة الفاظاً وردت على هذه الزنة (٤) ، ولكنه لم يفصِّل في الشرح والتبيين .

وعقد ابن دريد باباً في جمهرته سماه(باب ما جاء على فِعِّيلى) (٥) سرد فيه الفاظاً أُثرت عن العرب على هذا البناء .

وقال الزمخشري بعد ذكر التَّفعال وكونه مما بُني لتكثير الفعل والمبالغة فيه : « والفِعِّيلى كذلك » (٦) .

(٢) غريب الحديث ــ طبعة الهند ــ : ٣١٨/٣ ــ ٣١٩ .
(٣) الكامل ــ طبعة دار نهضة مصر ــ : ١٨٤/٢ .
(٤) غريب الحديث ــ طبعة وزارة الأوقاف العراقية ــ : ١٥٩/٢ .
(٥) الجمهرة ــ طبعة الهند ــ : ٤٠٦/٣ .
(٦) المفصل : ٢٢٢ .

وقال ابن يعيش موضحاً ذلك :

« المصادر جاءت على فِعِّيلى :— مضعّفة العين- للمبالغة والتكثير ، يقال كان بينهم رِمِّيّا أي تَرامٍ ، ولا يريد مطلق الرَّمْي بل الكثرة . وكذلك الحِجِّيزى والحِثِّيثى : المراد كثرة الحجز والحثّ . . . وقد يجيء هذا الوزن لواحدٍ ، قالوا : الدِّلِّيلى والمراد بها كثرة العلم بالدلالة . وقالوا القِتِّيتى بمعنى [كثرة] النَّميمة . والهِجِّيرى : كثرة الكلام السّيء » (٧) .

وقال الصغاني بعد ذكر الخِلِّيفي :

« ان هذا النوع من المصادر يدلُّ على معنى الكثرة » (٨) .

وقال ابن الحاجب في شافيته :

« ونحو . . . الحِثِّيثى والرِّمِّيّا للتكثير » .

وقال الرضي الاسترابادي في شرح ذلك :

« وأمّا الفِعِّيلى فليس قياساً ، فالحِثِّيثى والرِّمِّيّا والحِجِّيزى : مبالغة التّحاثّ والتّرامي والتّحاجز ، أي لايكون من واحد . وقد يجيءُ منه مايكون مبالغةً لمصدر الثلاثي كالدِّلِّيلى والنِّمِّيمى والهِجِّيرى والخِلِّيفى : أي كثرة الدلالة والنميمة والهُجر — اي الهذر — والخلافة . وأجاز بعضهم المدَّ في جميع ذلك ، والأوْلى المنع » (٩) .

وقال ابن منظور بعد ذكر الرِّمِّيّا :

« وهو مصدر يُراد به المبالغة » (١٠) .



(٧) شرح المفصل : ٥٦/٦ .
(٨) العباب (خلف) .
(٩) شرح الشافية : ٥٩ .
(١٠) لسان العرب (رمى) .

وأورد – فيما يأتي – مسرداً بالألفاظ المصاغة على هذا المثال ؛ مما وقفتُ عليه في اثناء المراجعة للسان العرب والقاموس ، بلا استقراء تام لما جاء فيهما :

الخِطِّيبى	اللسان (خطب)
الخِلِّيبى	اللسان (خلب)
السِّبِّيبى	القاموس (سبب)
العِتِّيبى	القاموس (عتب)
القِتِّيتى	اللسان (قتت)
الحِثِّيثى	اللسان (حثث)
الحِدِّيثى	اللسان (حدث)
الخِبِّيثى	اللسان (خبث)
الرِّبِّيثى	اللسان (ربث)
القِثِّيثى	اللسان (قثث)
المِكِّيثى	اللسان (مكث)
الرِّدِّيدى	اللسان (ردد)
الفِخِّيرى	اللسان (فخر)
الهِجِّيرى	اللسان (هجر)
البِزِّيزى	اللسان (بزز)
الحِجِّيزى	اللسان (حجز)
الرِّزِّيزى	اللسان (رزز)
الخِلِّيسى	اللسان (خلس)
الدِّسِّيسى	القاموس (دسس)
العِجِّيسى	اللسان (عجس)
المِسِّيسى	اللسان (مسس)
الخِصِّيصى	اللسان (خصص)

الحُضَيِّضى	اللسان (حضض)
النُّفَيِّضى	القاموس (نفض
الحِطِّيطى	اللسان (حطط)
الخِلِّيطى	اللسان (خلط)
السِّرِّيطى	اللسان (سرط)
الضِّرِّيطى	اللسان (سرط)
الخِلِّيفى	اللسان (خلف)
السِّقِّيفى	اللسان (سقف)
القِذِّيفى	اللسان (قذف)
الوِقِّيفى	اللسان (وقف)
الدِّلِّيلى	اللسان (دلل)
القِلِّيلى	القاموس (قلل)
التِّمِّيمى	شرح الشافية : ٥٩,١
الهِزِّيمى	اللسان (هزم)
المِنِّينى	اللسان (منن)
الرِّمِّيّا	اللسان (رمى)

* * *

ولعل بامكاننا — في ضوء ماتقدّم — أن نضع خلاصة للمسألة على النحو الآتي :

١ — ان الكل متفق على كون هذه الصيغة دالّة على المبالغة والكثرة .

٢ — ان الكلمات الواردة قد شملت ماهو صحيح من الأفعال وما هو معتلّ .

٣ — لم يقل سيبويه في هذه الصيغة ما قال في التّفعال مما يُشبه التصريح بقياسيتها، ولكن المستفاد أو المستنبط من كلام الزمخشري وابن يعيش والصغاني وابن منظور جواز القياس عليها في الاشتقاق .

وبتعبير آخر : ان الكل متفق على كون هذه الصيغة موضوعة للكثرة والمبالغة وان ذلك هو المراد منها أينما وردت ، واذا كانوا لم يذهبوا الى قياسيتها نصاً وتصريحاً فانهم - باستثناء الرضي الاسترابادي - لم ينفوا ذلك ولم يمنعوه .

٤ - وأمّا مايتمسك به بعضهم من أن جواز القياس وعدمه مبني على كثرة الورود عن العرب وقلّته ؛ فقد تقدم منّا في المذكرة السابقة المعنيّة بالتّفعال الاجابة على ذلك فلا نكرّر ولا نعيد ، والقلّة - كما أسلفنا - ليست الدليل القاطع على النفي ، كما ان عدم الاطّراد لايعدُّ دليلاً على النفي أيضاً ، خصوصاً وان الاطراد التامَّ الشامل غير متحقق حتى في الصيغ القياسية المتفق عليها .

❋ ★ ❋

وهكذا يخيّل لي ان إقرار اللجنة الموقرة لجواز القياس على هذا البناء في صوغ المصدر الدال على الكثرة عند الحاجة العلمية الى ذلك ؛ مما ينسجم مع القواعد السليمة والاطار العام للُّغة العربية .

وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم .

صيغة « افْعَوْعَلَ » في العربية (*)

أشرنا في مذكرات سابقة الى أن للكثرة والمبالغة صيغاً متعددة في العربية ، منها ما يكثّر الفعل ، ومنها مايكثّر المصدر ،ومنهاماهو تكثير للمشتقات الاخرى كاسم الفاعل واسم المكان .

ولزيادة البحث والتعمق في موضوع أبنية الكثرة أضع أمام اللجنة المحترمة هذه المذكرة المعنيّة بصيغة اخرى من تلك الصيغ التي أُثرتْ عن العرب في هذا الباب ؛ وهي صيغة (افْعَوْعَلَ) .

وخلاصة مايمكن قوله في هذا البناء أنه فعل ثلاثي زيدت فيه ثلاثة حروف ، ليراد به معنى زائد على مجرد المعنى الحدثي المتبادر الى الذهن من اطلاق الفعل الثلاثي ، وهذا المعنى الجديد المراد هو المعبّر عنه بالكثرة والمبالغة والتوكيد .

وأدوّن ـ فيما يأتي ـ كلمات السلف وأقوالهم في هذه المسألة ، ثم أورد جريدة بما وقفتُ عليه من الافعال الواردة على هذا الوزن ؛ وإن لم يكن هذا السرد مستنداً الى استقراء تام واستيعاب كامل .وللجنة الموقرة ـ بعد ذلك ـ أن ترى ماتراه بصدده . والله ولي التوفيق .

★ ★ ★

قال سيبويه :

« هذا باب افْعَوْعَلْتُ وما هو على مثاله . . . . قالوا خَشُنَ وقالوا اخْشَوْشَنَ ، وسألتُ الخليل فقال : كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد ،كما انه اذا قال اعْشَوْشَبَتِ الأرضُ فانما يريد أنْ يجعل ذلك كثيراً عاماً قد بالَغَ ، وكذلك احْلَوْلَى » (١) .

(*) مذكرة مقدمة الى لجنة الاصول بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٥م .

(١) الكتاب : ٢٤١/٢ ، وعنه بالنص في المخصص : ١٨٣/١٤ .

وقال ابن قتيبة :

« تأتي افعوعلت بمعنى المبالغة والتوكيد، تقول : أعْشَبَتِ الأرضُ ، فاذا أردتَ أن تجعل ذلك كثيراً عاماً قلت : اعْشَوْشَبَتْ، وكذلك حَلا واحْلَوْلى وخَشُنَ واخْشَوْشَنَ » (٢) .

وعقد ابن فارس باباً في كتابه الصاحبيّ سماه «باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة » قال فيه :

« العرب تزيد في حروف الفعل مبالغةً ، فيقولون : حَلا الشيْ ؛ فاذا انتهى قالوا : احْلَوْلى. ويقولون : اقْلَوْلى على فراشه . . . وقرأ ابنُ عباس (ألا إنّهم تَثْنَوْني صدورُهم) (٣) على هذا الذي قلناه من المبالغة » (٤) .

وقال ابن يعيش :

« إن قوة اللفظ تُؤذِن بقوة المعنى ، ألا ترى انهم يقولون : خَشُنَ الشيء ، واذا ارادوا الكثرة والمبالغة قالوا : اخْشَوْشَنَ . وقالوا : عشبتِ الأرضُ (٥) ، واذا أرادوا الكثرة قالوا : اعْشَوْشَبَتْ » (٦)

وقال الرضي الاسترابادي :

« وأمّا افْعَوْعَلَ فللمبالغة فيما اشتقّ منه، نحو اعشوشبت الأرضُ : أي صارت ذات عشب كثير . وكذا اغْدَوْدَنَ النبتُ » (٧) .

والى مثل ذلك ذهب المعجميون في معجماتهم ؛ إذْ نصّوا على كونه « من أبنية المبالغة » (٨) .

(٢) ادب الكاتب : ٣٦٢ .

(٣) سورة هود / ٥ ، والقراءة المتداولة : (يَثْنُون)

(٤) الصاحبي ــ طبعة السلفية ــ : ٢٢١ .

(٥) كذا في المطبوع ، وقال في اللسان : « لا يقال عَشِبَتِ الارض ، وهو قياس ان قيل » .

(٦) شرح المفصل : ٥٦/٦ .

(٧) شرح الشافية : ٤٣ ــ ٤٤ .

(٨) الصحاح (عشب) والعباب (عشب) واللسان (عذب) و (عشب) .

أمّا ما وقفنا عليه من الأمثلة على هذا البناء فهي :

احزَوْزَأت الابلُ	اللسان (حزأ)
احدَوْدَبَ ظهرُه	اللسان (حدب)
اخشَوْشَبَ الرَّجلُ	اللسان (خشب)
اخضَوْضَبَ الشجرُ	اللسان (خضب)
اعذَوْذَبَ الشيُ	اللسان (عذب)
اعشَوْشَبَت الأرضُ	اللسان (عشب)
اعصَوْصَبَت الإبلُ	اللسان (عصب)
اغلَوْلَبَ النبتُ	اللسان (غلب)
المُكتَوْتِبُ : المُنتفِخُ	القاموس (كتب)
اعثَوْثَجَ البعيرُ	اللسان (عثج)
اهدَوْدَرَ المطرُ	اللسان (هدر)
احمَوْمَسَ الرجلُ	القاموس (حمس)
اعنَوْنَسَ الذَّنَبُ	اللسان (عنس)
المُحبَوْبِطُ : السريع الغضب	القاموس (حبط)
اقطَوْطَعَت الطيرُ	اللسان (قطع)
اجرَوْرَفَ الرَّجُلُ	اللسان (جرف)
احقَوْقَفَ الرَّملُ	اللسان (حقف)
اعرَوْرَفَ الدَّمُ	اللسان (عرف)
اعزَوْزَفَ للشرّ	اللسان (عزف)
اغدَوْدَفَ الليلُ	اللسان (غدف)
ابلَوْلَقَت الدابةُ	اللسان (بلق)
اخلَوْلَقَ الرَّسْمُ	اللسان (خلق)
اشرَوْرَقَتْ عينُه	اللسان (شرق)

اغْدَوْدَقَ المطرُ	اللسان (غدق)
اغْرَوْرَقَتْ عيناه	اللسان (غرق)
مطرٌ مُهْرَوْرِقٌ	اللسان (هرق)
احْلَوْلَكَ الليلُ	اللسان (حلك)
اعْرَوْرَكَ الرَّملُ	اللسان (عرك)
ادْهَوْهَمَ الشيْ	التهذيب : ٦ / ٢٢٨ ولم يردفي اللسان
افْعَوْعَمَ البحرُ	اللسان (فعم)
اخْشَوْشَنَ الرَّجلُ	اللسان (خشن)
ادْجَوْجَنَ الليلُ	اللسان (دجن)
اغْدَوْدَنَ النبتُ	اللسان (غدن)
ادْمَوْمَه الرَّملُ	اللسان (دمه)
ابْلَوْلى العشبُ	القاموس (بلى)
اثْنَوْنى صدرُه	اللسان (ثنى)
اجْذَوْذى الرجلُ	اللسان (جذا)
اجْلَوْلى الرجلُ	القاموس (جلا)
احْطَوْطى الرجلُ	القاموس (حطا)
احْلَوْلى الشيءُ واحْلَوْلَيْتُه	اللسان (حلا) « متعدٍّ ولازم »
احْمَوْمى الشيء	اللسان (حما)
احْواوى احْوِيواءً	اللسان (حوا)
اخْلَوْلى الرجلُ	اللسان (خلا)
ادْجَوْجى الليلُ	القاموس (دجا)
اذْلَوْلى الرجلُ	اللسان (ذلا)
اشْرَوْرى الرجلُ	القاموس (شرى)
اطْرَوْرى الرجلُ	اللسان (طرا)

اطْلَوْلى الرجلُ	اللسان (خلا)
اظرَوْرى الرجل	اللسان (ظرا)
اعرَوْرى الفرَسُ واعرَوْريته	اللسان (عرا) « لازم ومتعدٍّ »
اعْلَوْلى الجبلَ	اللسان (علا)
اغلَوْلى النبتُ	اللسان (غلا)
المُقْرَوْري من الرجال	القاموس (قرا)
اقْطَوْطَت القطاةُ	اللسان (قطا)
اقلَوْلى الرَّجلُ	اللسان (قلا)
اكْتَوْنى الرجلُ	اللسان (كنى)
اكلَوْلى الرجلُ	اللسان (خلا)

★ ★ ★

وبعد :

هذه مقتطفات من كلمات الأقدمين في هذه الصيغة،وأمثلة مأثورة روتها المعجمات العربية، أضعها أمام الزملاء الأفاضل،عسى أن يجدوا في كل ذلك ما يمنحهم رضىً واقتناعاً بجواز استعمال هذه الصيغة والقياس عليها عند الحاجة الى التعبير عن التكثير والتأكيد .

وكلمة أخيرة لابد من تسجيلها قبل ختم الحديث :

لقد أثار انتباهي وأنا أستعرض الأفعال المارّة الذكر انها بأجمعها من الأفعال اللازمة ، عدا ثلاثة منها هي: احلَوْلى واعرَوْرى واعلَوْلى . ودار في خلدي سؤال فحواه : هل نستطيع – في ضوء هذه الملاحظة – ان نقصر استعمال صيغة « افعَوْعَلَ » على الفعل اللازم ، ونخصّ صيغة التكثير الأخرى في الأفعال وهي «فعّلَ» بالفعل المتعدي ، فنأمن الخبط والخلط بينهما في الاستعمال .

ذلك ما أتركه للجنة الموقرة . وفوق كل ذي علمٍ عليم .

من صيغ الكثرة في العربية (*)

ذكر اللغويون فيما ذكروا من أبنية التكثير والمبالغة في العربية؛ بناءً يُراد به تكثير الشيء في المكان، وقد صاغوه على زنة « مَفْعَلَة » بفتح الميم والعين وهاء في آخر الكلمة.

وأروي بادىء بدءٍ ماقاله العلماء في هذه المسألة، وما أوردوا من أمثلة وشواهدعلىهذا البناء، ثم أُعقِّب على ذلك بما يدور في الذهن من ملاحظات ونتائج، آملاً أن تجد اللجنة الموقرة في هذا كله ما يدفعها الى دراسة هذهالصيغة وما يعينها على اتخاذ قرار بشأن صحة القياس علىذلك أوعدمصحته. والله الموفق :

★ ★ ★

قال سيبويه :

« هذا بابُ مايكون مَفْعَلَةً لازمةً لها الهاء والفتحة، وذلكاذاأردتَ أنْ تكثِّر الشيءُ بالمكان، وذلك قولك : أرضٌ مَسْبَعَةٌ ومَأْسَدَةومَذْأبَة، وليس في كل شيءٍ يُقال إلا أن تقيس شيئاً وتعلم ان العرب لم تَكَلَّمْ به. ولم يجيئوا بنظير هذا فيما جاوَزَ ثلاثة أحرف، من نحو الضِّفْدع والثعلب كراهية أن يثقل عليهم، ولأنهم قد يستغنُون بأن يقولوا كثيرةُ الثعالب ونحو ذلك. وانما اختَصُّوا بها بنات الثلاثة لخِفَّتها، ولو قلتَ من بنات الاربعة على قولك مَأْسَدَة لقلت مُثَعْلِبَة، لأن ما جاوز الثلاثة يكون نظيرُ المُفْعَل منه بمنزلة المفعول، وقالوا : أرض مُثَعْلِبَة ومُعَقْرِبَة، ومَنْ قال ثُعَالة قال مَثْعَلَة، ومَحْيَاة ومَفْعَاة : فيها أفاعٍ وحَيَّات، ومَقْثَأة : فيها القِثّاء » (١) .

(*) خلاصة مذكرتين قدّمت أولاهما الى لجنة الاصول بتاريخ ٢٤/١١/١٩٨١م ؛ وقدمت الثانية الى اللجنة نفسها بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٣م .

(١) الكتاب : ٢/٢٤٩ .

وزاد ابنُ سيده كلامَ سيبويه ايضاحاً فقال :

« قولك مَسْبَعَة ومأْسَدَة ومَذْأَبَة : اذا أردتَ أرضاً كثر بها السِّباعُ والأُسد والذِّئاب . قال سيبويه : وليس في كل شيءٍ يقال هذا ، يعني لم تَقُلِ العربُ في كل شيءٍ من هذا ، فإنْ قِستَ على ماتكلَّمتْ به العربُ كان هذا لفظَه . قال سيبويه...ولو قلتَ من بنات الأربعة على قولك مأسَدة لقُلْتَ مُثَعْلَبَة . . . يريد : ان لفظ المصدر والمكان والزمان الذي في أوَّله الميمُ زائدة فيما جاوزَ ثلاثة أحرف يجيء على لفظ المفعول سَواء. وفي الثلاثة على غير لفظ المفعول » (٢) .

وقال الزمخشري :

« واذا كثر الشيءُ بالمكان قيل فيه مَفْعَلَة ــ بالفتح ــ ، يقال : أرضٌ مَسْبَعَةٌ ومأسَدَة ومَذْأبةومَحْيَاة ومَفْعَاة ومَقْثَأة ومَبْطَخَة »(٣) .

وقال ابن يعيش في شرح ذلك :

« اعلم ان هذا الضرب من الأسماء مما ازمتْ فيه الهاء ، لأنه ليس أسماء للمكان الذي يقع فيه الفعل. وانما هي صفة الأرض التي يكثر فيها ذلك الشيءُ ، والارض مؤنثة فكانت صفتها كذلك . ولم يأتِ ذلك عنهم في كل شيءٍ ، الاّ أن تقيس وتعلم ان العرب لم تستعمله » (٤) .

★ ★ ★

وقد اجتمع لديَّ من امثلة هذه الصيغة ــ ممّا ورد في اللسان والقاموس ــ قولُ العرب :

---

(٢) المخصص : ١٤/١٩٨ .
(٣) المفصل : ٢٣٩ .
(٤) شرح المفصل : ٦/١١٠ .

المَجْبَأة : من الجَنْبُ	اللسان (جبأ)
المَدْفَأة : من الدِّفْءْ	اللسان (دفأ)
المَفْيَأة : من الفَيْءْ	القاموس (فيأ)
المَقْثَأة : من القِثّاء	اللسان (قثأ)
المَكْلأة : من الكلأ	اللسان (كلأ)
المَكْمَأة : من الكَمْء	القاموس (كمأ)
المَحْصَبَة : من الحَصْباء	
ومن مرض الحصبَة	اللسان (حصب)
المَدَبَّة : من الدُّبَبَة	اللسان (دبب)
المَدْلَبَة : من اشجار الدُّلْب	اللسان (دلب)
المَذْأبَة : من الذِّئاب	اللسان (ذأب)
المَذَبَّة : من الذُّباب	اللسان (ذبب)
المَرْنَبَة : من الأرانب	القاموس (رنب)
المَضَبَّة : من الضِّباب	اللسان (ضبب)
المَضْغَبة : من الضَّغابيس	اللسان (ضغب)
المَقْصَبَة : من القَصَب	القاموس (قصب)
المَقْضَبَة : من القَضْب	اللسان (قضب)
المَكْلَبَة : من الكلاب	اللسان (كلب)
المَرْمَثَة : من الرِّمْث	اللسان (رمث)
المَثْلَجَة : من الثلج	القاموس (ثلج)
المَدْرَجَة : من الدُّرّاج	اللسان (درج)
المَتْفَحَة : من التُّفّاح	اللسان (تفح)
المَصَحَّة : من الصحَّة	اللسان (صحح)

المَبْطَخَة : من البطّيخ — اللسان (بطخ)
المأسَدَة : من الأُسود — اللسان (أسد)
المَتْجَرَة : من التِّجارة — اللسان (تجر)
المَجْدَرَة : من الجُدَري — اللسان (جدر)
المَزْبَرَة : من الزّنابير — اللسان (زنبر)
المَشْجَرَة : من الشّجر — اللسان (شجر)
المَطَارَة : من الطّيْر — اللسان (طير)
المَعْقَرَة : من العقارب — اللسان (زنبر)
المَفْأرة : من الفئران — اللسان (فأر)
المَفْدَرَة : من الفُدرأي الأوعال — اللسان (فدر)
المَأوَزَة : من الاوَزّ — اللسان (وزز)
المَجازَة : من الجَوز — اللسان (جوز)
المَخَزّة : من الخِزّان أي ذكور الأرانب — اللسان (خزز)
المَلازَةُ : من اللّوز — اللسان (لوز)
الموَزّة : من الوزّ — اللسان (وزز)
المَحَشّة : من الحشيش — اللسان (حشش)
المَلَصّة : من اللُّصوص — اللسان (لصص)
المَبْعَضَة : من البَعوض — اللسان (بعض)
المَخاضَة : من الخَوْض — اللسان (خوض)
المَسْبَطَة : من السَّبَط وهو نبات — اللسان (سبط)
المَرْبَعَة : من اليرابيع — اللسان (ربع)
المَسْبَعة : من السِّباع — اللسان (سبع)
المَقْرَعَة : من القَرَع وهو نبات — اللسان (قرع)

المَدْبَغَة	: من الدَّبغ	اللسان (دبغ)
المَخْلَفَة	: من الخِلاف وهو شجر	اللسان (خلف)
المَسْحَفَة	: من السَّحْف	اللسان (سحف)
المَسْخَفَة	: من السُّخف وهو الرِّقَّة	اللسان (سخف)
المَبَقَّة	: من البقّ	اللسان (بقق)
المَأْبَلَة	: من الإبل	اللسان (ابل)
المَبْقَلَة	: من البَقْل	اللسان (بقل)
المَثْعَلَة	: من ثُعالة وهو الثعلب	اللسان (ثعل)
المَحَمَّة	: من الحُمّى	اللسان (حمم)
المَجَنَّة	: من الجِنّ	اللسان (جنن)
المَحْمَنَة	: من الحَمْنان وهو صغار القردان	القاموس (حمن)
المَشَاهَة	: من الشِّياه	اللسان (شوه)
المَحْصَاة	: من الحَصى	اللسان (حصى)
المَحْوَاة والمَحْيَاة	: من الحَيّات	اللسان (حيا)
المَفْعاة	: من الأفاعي	اللسان (فعا)

★ ★ ★

وحاصل مايُستفاد من هذه النصوص والأمثلة وبخاصة قول سيبويه : « اذا اردتَ أن تكثِّر الشيْ بالمكان » وقوله : « إلا أن تقيس شيئاً . . الخ » وقول ابن سيده : « فإن قستَ على ماتكلَّمت به العربُ كان هذا لفظَه » ان الصيغة قياسية ، وان الاشتقاق من الأسماء الجامدة على هذا النحو جائز لاغبار عليه .

أمّا ما ذهب اليه بعضهم من القول بقصر هذه الصيغة على المكان الذي

تكثر فيه الأحياء خاصة ، دون غيرها من الموجودات ، وقوفاً عند موارد أكثر الامثلة المأثورة ، فيردُّه ماجاء في الشواهد التي تقدم ذكرها : من « المَدْفأة » و « المَفْيأة » و « المَحْصبة » من الحصباء ومن مرض الحصبة و « المَصَحَّة » و « المَتْجرة » و « المَجْدرة » و « المَحَمَّة » و « المَدْحاة » ، وكل هذه الاسماء خارج عن عالم الأحياء . كما يردُّه استعمال سيبويه ومَنْ بعده لكلمة « الشيء » وتكثيره بالمكان . والشيءُ – بما هو شيءٌ – يشمل الموجودات عامة ؛ وليس الأحياء وحدها .

ومما يجدر ذكره والوقوف عنده في هذه الصيغة مانراه فيها من زيادة الهاء واضافتها الى اسم المكان القياسي المعروف « مَفْعَل » ؛ المشتق من الفعل الثلاثي المفتوح العين في المضارع ، مع أنها ليست هاء التأنيث التي تُلحَق بالكلمة لتكون صفة لمؤنَّث كالأرض مثلاً كما تخيل ابن يعيش فيما روينا من كلامه ، لانهم قالوا : مكانٌ متَنْفَحَة ومَأسَدَة ومَقْدَرَة(٥) ، وربما جعلوا مَفْعلة تعبيراً عن الموضع أيضاً وصفةً له (٦) . الأمر الذي يدل على أن التأنيث غير مرادٍ قطعاً من هذه الهاء .

والحق ان الغرض المطلوب من اضافة الهاء الى اسم المكان هو الدلالة على الكثرة والمبالغة فيه . وكثيراً مايؤنَّث المذكر بادخال الهاء عليه للدلالة على هذا المراد كما نصَّ اللغويون :

قال الأزهري : « دخلت الهاء في نعت الرجل مبالغةً في صفته » (٧) .

وقال أيضاً : « العرب تُدْخل الهاءَ في المذكر على جهتين : احداهما المدح

(٥) لسان العرب (تفح) و (قدر) . والقاموس (أسد) و (قدر) و (جوز) .
(٦) لسان العرب (قضب) و (دبغ) و (خلف) . والقاموس (فيأ) و (خزز) .
(٧) التهذيب : ١/٢٨٥ .

والأخرى الذمُّ ، اذا بُولغ في الوصف » (٨) .

وقال أيضاً : « دخول الهاء في الراحلة للمبالغة في الصفة » (٩) .

وقال الجوهري : « المُعَقِّبات : ملائكة الليل والنهار ، لأنهم يتعاقبون . وانما أنِّث لكثرة ذلك منهم » (١٠) .

وقال ابن جنّي : « رجل علاّمة وامرأة علاّمة ، لم تلحق الهاء لتأنيث الموصوف بما هي فيه ، وانما لحقت لإعلام السامع ان هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجُعِل تأنيث الصفة أمارةً لما أُريد من تأنيث الغاية والمبالغة ، وسواء كان الموصوف بتلك الصفة مذكراً او مؤنثاً » (١١) .

وقال الصَّغاني : « العَزُوْبَة : الأرض البعيدة المضرب الى الكلأ ، وهي فَعُوْلة من عَزَبَ أي بَعُدَ . ودخول الهاء في العَزُوبة نحو دخولها في امرأةٍ فَرُوقة أعني للمبالغة لالتأنيث ، لأن فَعُولاً يستَوي فيه المذكر والمؤنث ، كقولك شكور وصَبُور لها . ويُصدِّق ان دخولها للمبالغة قولهم الرَّجُل : فَرُوقة » (١٢) .

وقال ابن منظور : « هو النَّسّابة ، أدخلوا الهاء للمبالغة في المدح ، ولم تُلْحَقْ لتأنيث الموصوف بما هي فيه ، وانما لحقتْ لإعلام السامع ان هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية ، فجُعِل تأنيث الصفة امارةً لما أُريد من تأنيث الغاية والمبالغة » (١٣) .

★ ★ ★

(٨) التهذيب : ١٤٨/٢ .
(٩) التهذيب : ٥/٥ .
(١٠) الصحاح : (عقب) .
(١١) لسان العرب (علم) .
(١٢) العباب (عزب) .
(١٣) لسان العرب (نسب) .

وخلاصة القول :

لقد ظهر مما تقدّم انه لامانع من صوغ « مَفْعَلَة » من الاسماء الجامدة قياساً على ما تكلّمت به العرب ، وان ذلك شامل لكل « شيء » من الموجودات ولا يختص بالأحياء منها فقط كما ذهب الى ذلك بعض الزملاء ، وان دخول الهاء في هذه الصيغة انما أُريد به بيان الكثرة ؛ وليس التأنيث لكونها صفةً للارض كما ظنّ بعضهم .

فهل ترى اللجنة الموقرة — في ضوء هذا كله — جواز العمل بهذه الصيغة والقياس عليها كلما دعت الحاجة ؟ . وهل ترى ضرورةً للاقتصار في ذلك — اذا ما أُجيز — على مايشتق من الأسماء الجامدة أو ان بالامكان توسعة المجال ليشمل الاشتقاق من الأفعال أيضاً ؟ .

ومما ينبغي الاشارة اليه في ختام هذه المذكرة ان السليقة العربية السليمة قد حملت الناس على استعمال هذا البناء في الدلالة على كثرة الشيء بالمكان في كثير من الاستعمالات المعاصرة ؛ مثل :

مكتبة ، منضدة ، مَبَرَّة ، مَجْزَرة ، مقمرة ، مطبعة ، مصبغة ، محرقة ، مزبلة ، مسمكة ، محكمة ، ملحمة ، مطحنة .

والله الموفق للصواب .

التقويم أو التقييم (*)

من الكلمات التي شاع استعمالها في الاقطار العربية في عصرنا الحاضر ؛ وكثر ترددادها على ألْسِنة غير المعنيين باللغة بل بعض المعنّيين أيضاً : كلمة (التقييم) التي يُراد بها التثمين والتسعير اي معرفة القيمة وتحديدها . وقد دخلتْ هذه الكلمة أخيراً في عداد مصطلحات بعض اللجان في مجمعنا العراقي بعد أنْ حظيتْ بقبول الكثرة من الاعضاء ، وقيل ان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أقرّها وحكم بصحتها ؛ وإنْ لم أقف على نصٍّ قراره وما استدلَّ به على صواب اختياره .

وواضحٌ ان المعنى الذي أراده محبِّذو كلمة (التقييم) منها لايختلف قيد شعرةٍ عن المعنى الذي تدل عليه كلمــة (التقويم) الصحيحة الفصيحــة المنصوص عليها في المعجمات ؛ والواردة في الحديث الشريف والكلام العربي المأثور . قال ابن منظور في تركيب « قوم » في لسان العرب :

« القيمة : ثمن الشيءُ بالتقويم . . . . وفي الحديث : قالوا يارسول الله لو قَوَّمْتَ لنا ، فقال : اللهُ هو المُقَوِّم : أي لو سَعَّرْتَ لنا ، وهو من قيمة الشيءُ ، أي حَدَّدْتَ لنا قيمتها » .

واذا كان الامر كذلك فلماذا هذا التبديل والتغيير ؟ وما هو المُسَوِّغ له لغويّاً ؟ .

لقد قال بعضهم في بيان الغرض من هذا التبديل : انهم يريدون به التفريق بين معنيين يدل عليهما هذا اللفظ بالاشتراك : معنى التثمين ومعنى التعديل ، وانهم بذلك جعلوا (التقييم) خاصاً بالتثمين فقط و (التقويم) خاصاً بالتعديل والاصلاح وازالة العوج فقط .

(*) مذكرة مقدّمة الى لجنة اللغة العربية بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٢٤م .

ولقد استدلَّ بعضهم على سلامة ذلك لغوياً : بأن لفظ التقييم هذا ليس تحريفاً أو تلاعباً في لفظ التقويم ، وانما هو مصدرٌ للفعل الثلاثي المضعّف «قَيَّمَ» ، وان الفعل «قَيَّمَ» مشتق من لفظ القيمة . وقد أجاز الأوائل – وهم الحجّة – اشتقاق الفعل الثلاثي المضعّف العين من أسماء الأعيان فقالوا : ذهَّبَ (من الذهب) وقيَّرَ (من القار) وفضَّضَ (من الفضّة) وكلَّل (من الإكليل) ، وهكذا الأمر في (قَيَّمَ) هذا المشتق (من القيمة) .

ويبدو ان هذا الفاضل قد غفل عن أن تلك الأفعال المشتقة من أسماء الأعيان لم يكن لها وجود في اللغة اصلاً ، فلم يكن بُدٌّ من الاشتقاق . أما التقييم فليس كذلك . لأن فعله ومصدره موجودان ومستعملان ولكنهما بالواو لا بالياء .

ومهما يكن من أمر ؛ لم أجد فيما قيل حتى اليوم في الدفاع عن صحة هذا الاستعمال مايُقنِع ويُرضي . وليست الاستحسانات الذوقيّة وحدها كافية في تسويغ ذلك إن لم يكن في القواعد العامة او الاستعمال الأصيل أو أقوال السلف مايدل على جوازه أو يُستأنس به في الجواز أو يكون قرينةً على صحته .

ولذلك رجعتُ الى لسان العرب – وهو من المعجمات الكبيرة الغنية بالمعلومات – واستقريت كلَّ ما جاء فيه على هذه الشاكلة ممّا كان عينه واواً أو ياءً ، عسى ان اجد فيه من الاشباه والنظائر مايُعين على تحديد الموقف وتبيين الأمر . وقد رأيت فيه ممّا ينفع في هذا الباب النصوص الآتية :

١ – قال في تركيب (عود) : « العِياد بمعنى العَوْد . . . والعِيْدُ بمعنى العادة . . . وعيَّدَ المسلمون : شهدوا عيدهم . وكان في الأصل العِوْد فلما سكنت الواو وانكسر ماقبلها صارت ياءً . . . والجمع اعياد . . . قال الجوهري : انما جُمع أعياد بالياء لزومها في الواحد . ويقال : للفرق بينه وبين أعواد الخشب » .

٢ – وقال في تركيب (ثور) : « وقال المبرّد انما قالوا ثِيَرَة (يعني في

جمع الثَّور) ليُفرِّقوا بينه وبين ثِورَة الأقِط » وهي القطعة العظيمة منه .

٣– وقال في تركيب (زور) : « الزِّيْرُ : الذي يُخالط النساء ويريد حديثهنَّ لغير شرّ ، والجمع أزوار وأزيار ، الأخيرة من باب عيد وأعياد . . . وأصله من الواو » .

٤ – وقال في تركيب (شوع) : « وشَوَّعَ القومَ : جمَعَهم . . . ومنه شِيعة الرَّجل ، والأكثر ان تكون عين الشِّيعة ياءً لقولهم أشياع ، اللهم إلا ان يكون من باب أعياد » .

٥ – وقال في تركيب (بوغ) : « تَبَيَّغ وتَبَوَّغ (الدَّمُ) بالواو والياء وأصله من البَوْغاء وهو التراب اذا ثار » .

٦ – وقال في تركيب (حيق) : « وقد تدخل الياء على الواو في حروف كثيرة ، يقال : تَصَوَّح النبتُ وتَصَيَّح ؛ وتَوَّهَه وتَيَّهَه ، وطَوَّحَه وطَيَّحَه » .

٧ – وقال في تركيب (نوق) : « النِّيْقَة : من التَّنَوُّق ، تَنَوَّق فلانٌ في منطقه وملبسه واموره اذا تَجَوَّدَ وبالَغَ ، وتَنَيَّق لُغَة » .

٨ – وقال في تركيب (حول) : « الحَوْل والحَيْل والحِوَل والحِيْلة والحَوِيل والمحالة والاحتيال والتَّحَوُّل والتَّحَيُّل . . . وهو أحْوَل منك وأحْيَلُ » .

٩ – وقال في تركيب (عول) : أعْيَلَتِ المرأةُ . . «قال الزمخشري : الأصل فيه الواو ، يقال : أعالَ وأعْوَلَ اذا كثر عِيالُه. فأمّا أعيلتْ فانه في بنائه منظور فيه الى لفظ عيال لا الى أصله ، كقولهم أقيال وأعياد » .

١٠ – وقال في تركيب (دوم) : « قالوا دَوَّمَتِ السماء ودَيَّمَتْ . فأمّا دَوَّمَتْ فعلى القياس ، وأمّا دَيَّمَتْ فلاستمرار القَلْب في دِيْمَةٍ ودِيَم » .

* * *

هذه هي النصوص التي وقفتُ عليها في لسان العرب، وكلها -كما ترون- من الاشباه والنظائر لموضوع البحث .

فهل نستطيع ان نستنبط منها جواز استعمال (التقييم) للتفريق بين معنيي التثمين والتعديل ، كما فعلوا في « أعياد » للتفريق بينه وبين أعواد، وكما فعلوا في « ثِيَرَة » للتفريق بينه وبين ثِوَرَة ؟ .

أو نقول بجواز (التقييم) ناظرين في بنائه الى لفظ القِيمة والقِيَم ، كما نظروا في أعْيَلَ وفي دَيَّمَتْ ؟ .

أو نقول بجوازه لأن الياء تدخل على الواو في حروف كثيرة كما مرّ ؟ .

ذلك ما أتركه للزملاء الأفاضل . وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم .

هل يُجْمَع مُعْجَم على مَعَاجِم أو مُعْجَمات ؟

من الكلمات التي كثر ترددها على الألسنة في العصر الحديث ؛ وكثر استعمالها في الكتابات المعاصرة : كلمة (مُعْجَم) التي يُراد بها الكتاب المُرَتّب على الحروف (١)—على أي نحوٍ من أنحاء الترتيب— ، ويجمعونها في الشائع على (مَعاجم) ، وقلَّ مَنْ يجمعها على (مُعْجمات) . وبغية تحديد الموقف من هذين الجمعَيْن لمعرفة الصحيح منهما أو الحكم بصحتهما كليهما ؛ حررت هذه المذكرة.

★ ★ ★

وقبل الدخول في صميم الحديث عن جمع هذه الكلمة ؛ لابدَّ من وقفة متأنّية عند لفظ « معجم » نفسه ، للتثبُّت من كونه اسْمَ مفعولٍ لما أُعْجِم كما هو مقتضى الظاهر من بنائه ؛ أو مصدراً من المصادر التي جاءت على زنة مُفْعَل كمُخْرَج ومُدْخَل ومُكْرَم كما جزم بذلك بعضهم .

وكان ابن منظور أوسع مَن بحث هذا الموضوع وجمع رواياته وأخباره في تركيب عجم من لسان العرب . فذكر انهم قالوا حروف المعجم فأضافوا الحروف الى المعجم ، ونفى أن يكون المعجم صفةً لحروف مستدلاً على هذا النفي بدليلين ، ثم روى عن المبرد ذهابه الىأن « المعجم مصدر بمنزلة الإعجام، كما تقول : أدخلتُه مُدْخَلاً وأخرجتُه مُخْرَجاً أي إدخالاً وإخراجاً ، وحكى الأخفش ان بعضهم قرأ : (ومَنْ يُهِنِ اللهُ فما له من مُكْرَم)

(*) مذكرة مقدمة الى لجنة الاصول بتاريخ ١٩٨٦/١٠/٢١ م .

(١) مما يثير الانتباه في هذا الصدد اننا لم نجد كتاباً من كتب اللغة منذ بداية التأليف فيها في القرن الثاني الهجري قد أطلق عليه اسم المعجم أو أضيفت كلمة المعجم الى اسمه ، وانما اقتصر استعمال هذه الكلمة على بعض كتب الحديث والمشيخات والتراجم . أمّا وضع كلمة معجم الى جانب اسم كتاب ابن فارس « مقاييس اللغة » فهو من عمل محققه الاستاذ عبدالسلام هارون ؛ ولم ترد في مخطوطة الكتاب .

بفتح الراء ؛ أي من إكرام ،فكأنهم قالوا في هذا الإعجام». وقال معلّقاً على كلام المبرد : انه « أسَدُّ وأصوب من أن يُذهَب الى أنَّ قولهم حروف المعجم بمنزلة قولهم صلاةُ الأُولى ومسجد الجامع ، لأن معنى ذلك صلاةُ الساعة الاولى أو الفريضة الاولى ومسجد اليوم الجامع ، فالاولى غير الصلاة في المعنى والجامع غير المسجد في المعنى ، وانما هما صفتان حُذِف موصوفاهما وأُقيما مقامهما . وليس كذلك حروف المعجم لأنه ليس معناه حروفَ الكلام المعجم ولا حروف اللفظ المعجم ، انما المعنى ان الحروف هي المعجمة ، فصار قولنا حروف المعجم من باب إضافة المفعول الى المصدر ؛ كقولهم : هذه مطيَّة رُكوبٍ أي من شأنها أنْ تُركَب وهذا سهمُ نضالٍ أي من شأنه أن يُناضَل به . وكذلك حروف المعجم أي من شأنها أنْ تُعْجَمَ» .

ثم أورد ابن منظور قول مَنْ قال بأن جميع الحروف ليس معجماً فكيف استجازوا تسمية الجميع بذلك . وبعد الإجابة على ذلك قال :

« وسُئل ابو العباس عن حروف المعجم لِمَ سُمِّيتْ معجماً ؟ فقال : أمّا ابو عمرو الشيباني فيقول :أعْجِمَتْ أبْهِمَتْ ... وأمّا الفرّاء فيقول: هو من أعجمتُ الحروف...قال: وسمعت ابا الهيثم يقول: معجم الخط هو الذي اعجمه كاتبه بالنقط . . . وقال الليث: المعجم الحروف المُقَطَّعة سُمِّيت معجماً لأنها أعجميَّة ... وقال ابن الأثير : حروف المعجم حروف ا ب ت ث ، سُمِّيت بذلك من التَّعْجِيم وهو إزالة العُجمة بالنقط . . . وقال ابن بَرّي : والصحيح ماذهب اليه ابو العباس المبرد من أن المعجم هنا مصدر ، وتقول : أعجمتُ الكتابَ مُعْجَماً وأكرمته مُكْرَما . والمعنى عنده حروف الإعجام أي التي من شأنها أنْ تُعْجَمَ » .

ثم قال ابن منظور بعد ذلك : « وكتابٌ مُعْجَمٌ : اذا أعْجَمَه كاتبُه بالنَّقْط . سُمِّي معجماً لأن شكول النَّقط فيها عُجمة لابيانَ

لها كالحروف المعجمة لابيان لها ؛ وإنْ كانت اصولاً للكلام كله » .

والخلاصة المستفادة من جميع ذلك ان كلمة (مُعْجَم) قد تكون اسماً للمفعول وقد تكون مصدراً ، وان موقعها من الجملة وسياق الكلام هو الذي يحدّد المعنى المراد منها في كل استعمال من الاستعمالات الواردة .

★ ★ ★

أمّا جمع « مُعْجَم » فلم يرد ذكره في كلمات الأقدمين من علماء اللغة قبل الحسن الصَّغَاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ ، وكان الصغاني أقدم من أورد ذلك من اللغويين ، ولكنه لم يذكره بعنوان الجمع في تركيب « عجم » من التكملة ، وانما ذكره استطراداً في مقدمة العباب (٢) في كلامه هو نفسه إذ قال : « ومعاجم الشعراء لدعبل والآمدي والمرزباني » .

وواضح ان استعمال الصغاني – وهو المتأخر في زمانه عن عصور الاستشهاد – ليس كافياً في الاستدلال على صواب ذلك والقطع بصحته ، وليس كلامه اذا ما انفرد به ممّا يصح الاحتجاج به والرضوخ له على كل حال .

وقد يقول قائل : ان كتب اللغة قد جمعتْ مُطرَفاً على مَطارِف ومُصْحَفاً على مَصاحِف ومُجْسَداً على مَجاسِد ، فلماذا لايكون جمع مُعْجَم على مَعاجم من هذا القبيل ؟ .

والجواب : ان هناك فرقاً كبيراً بين كلمة معجم والكلمات الاخرى المذكورة ، لأن كل كلمةٍ من تلك الكلمات قد وردت بوجهين أو وجوه من الضبط ، فقد ذكر في اللسان المِطْرَف والمُطْرَف وقال : « والأصل مُطْرَف بالضم ، فكسروا الميم ليكون أخفّ كما قالوا مِغْزَل وأصله مُغْزَل » ، وذكر المُصْحَف والمِصْحَف وقال : « تميم تكسرها وقيس تضمُّها .... واستثقلت العرب الضمة في حروفٍ فكسرت الميم وأصلها الضم » ،

(٢) العباب / حرف الهمزة : ٢٨ .

وذكر ان المُجْسَد والمِجْسَد واحد ، وأصله الضم الا ّ انهم استثقلوا الضم فكسروا الميم ، وروى عن ابن الأعرابي ان المَجاسِد جمع المِجْسَد بكسر الميم ، كما روى عن ابن الأثير ان المجاسد جمع مُجْسَد بضم الميم . وذكر مثلَ ذلك في مُنْخَل ومُنْخُل ومُنْصَل ومُنْصُل ومُخْدَع ومِخْدَع ومَخْدَع ومُغْزَل ومِغْزَل ومَغْزَل .

وهكذا يسود الغموض كلّ الجموع المشار اليها كالمطارف والمصاحف والمجاسد ، فلا نعلم انها جمع مُطرف ومُصحف ومُجسد المضمومة الميم ، أو أنها جُمعتْ على هذا النحو بلحاظ ميمها المكسورة . أمّا مُعْجَم فلا يصح قياسه عليها ؛ لأنه مضموم الميم فقط وليس هناك وجه آخر لميمه في كل الفروض .

وعندما يكون الأمر على هذه الشاكلة من الغموض والابهام ، إذْ لانصّ يُلْتَزَم به ، ولا شواهد يقاس عليها ، وجب الرجوع الى الأحكام العامة التي لامناص من تحكيمها في مثل هذه الحالة .

والأحكام العامة في هذا المورد تُلزِم بأن يجمع اللفظ جمع المؤنث السالم، لأنه صفة لغير العاقل ، كما ذكر سيبويه في باب مايجمع من المذكر بالتاء إذ قال :

« فمنه شيءٌ لم يُكَسَّر على بناء من أبنية الجمع ، فجُمِعَ بالتاء إذْ مُنِعَ ذلك . وذلك قولهم : سُرادِقات وحَمّامات وإوانات ، ومنه قولهم : جَمَلٌ سِبَحْلٌ وجِمال سِبَحْلات ورِبَحْلات وجِمال سِبَطْرات . . . وقال بعضهم في شمال شمالات » (٣) .

وروى الفيومي في مصباحه عن ابن الأنباري قوله :

« واعلمْ ان جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس ، تقول فيه :

(٣) الكتاب : ١٩٨/٢ — ١٩٩ .

منزل ومنزلات ومصلّى ومصليات ، وفي ابن عرس بنات عرس؛ وفي ابن نعش بنات نعش » (٤) .

ولذلك لامناص لنا من أن نجمع معجماً على معجمات ، كما جمعوا مُبْهَماً على مُبْهَمات و ثاراً على ثارات ؛ وخاناً على خانات وجواباً على جوابات، وسجلاً على سجلات ، وكما جمع المتنبي بوقاً على بوقات :

أمّا اذا أردنا أن نرفض الجمع بالألف والتاء – إن جاز لنا الرفض – فليس لدينا حينذاك الا الجمع على مفاعيل ، نحو مُنكَر ومناكير ومُسنَد ومسانيد ومُرسَل ومراسيل ومُصْعَب ومصاعيب .

وقد سلك أحد زملائنا في اللجنة مسلكاً آخر في تصحيح الجمع على معاجم فقال :

« ان لفظ معجم وإن كان في الأصل وصفاً على هيئة اسم المفعول ؛ الا انه نُقِل الى الاسمية فصار اسمَ ذاتٍ أو علمَ جنسٍ على السِّفر الذي يحتوي على مجموعة من الفاظ اللغة مقرونة بضبطها وبيان اصول اشتقاقها ومعانيها . . . وقد يكون لفظ معجم في هذا الاستعمال اسم مكانٍ ظرفاً يشتمل على الفاظ لغوية مقرونة بمعانيها واشتقاقاتها .وليس في جمعه على صيغة مفاعل خروج على قواعد الجمع في العربية » .

وعلق على ذلك زميل آخر فقال في جملة كلامه :

« ان من طبيعة اللغة أن تنتقل معاني كثير من هذه الأوصاف الى الاسمية لاستحداث اسماء لمسميات جديدة ، فقالوا في النحو والصرف : (المُفْرَد) لنقيض الجمع ؛ وجمعه مفردات ، وقالوا : (المُعْرَب) لما يقابل المبني ؛ وجمعه المعربات ، وقالوا : (مُوْجَز) البحث وموجزات البحوث ، وقالوا: (المُهْمَل) لما يُهْمَل وسلّة المهملات . . . ومثل هذا كثير جداً. وكلُّ ذلك يبدو طبيعياً لأنهم لم يسمعوا تكسيراً لهذه المستحدثات وكلها على

(٤) المصباح المنير : ٨٧ (تركيب بنو) .

غرار المعجم ، فهم جروا في جمعها على القاعدة وعلى السليقة » .

أمّا الاستدلال على صحة المعاجم بقول القطامي :

ونادينا الرسوم وهنّ صُمٌّ ومنطقها المعاجم والسِّطارُ

فقد علّق عليه أحد الزملاء مرجّحاً بأن المراد بالمعاجم هنا جمع مَعْجَم... اسم المكان ، على القياس ، بدليل عطفه على السِّطار ، أي هذه المواضع التي لاتفصح . ثم قال : « أمّا تخريجه على أنه جمع مُعْجَم – بضم الميم – فهو بعيد ، لكون المراد موضع العُجمة والاستعجام ، ولا يمكن أن يراد فيه معنى التعدية الملحوظ في المُعْجَم من أعْجَمَ الشيء اذا جعل فيه العجمة ، وكذلك لايُراد فيه إزالة العجمة على الضدّ » .



وبعد :

هذه نظرة عجلى في مسألة جمع « مُعْجَم » أرجو أن يكون فيها ما ينفع ويجدي . وفوق كل ذي علمٍ عليم .

في جمع مفعول (*)

يشيع بين الكاتبين المعاصرين – الا ّ القليل منهم – جمع (مفعول) على (مفاعيل) ، فيقولون : مشاريع ومواضيع ومجاميع ومحاذير ومشاهير ومحاصيل ومراسيم ومفاهيم في جمع : مشروع وموضوع ومجموع ومحذور ومشهور ومحصول ومرسوم ومفهوم ، وإنْ كانوا يفضّلون جمعه صحيحاً في بعض الأحيان فيقولون : مندوبون ومنكوبون ومقبولون في جمع مندوب ومنكوب ومقبول ، ولم يقولوا مناديب ومناكيب ومقابيل .

كما ان العامة – بوحيٍ من فطرتها وسليقتها – قد تفعل مثل ذلك ؛ فتجمع مكتوباً على مكاتيب ومقتولاً على مقاتيل ومجروحاً على مجاريح ومسلولاً على مساليل .

فهل يُعَدُّ هذا الجمع صحيحاً لغويّاً ؟ وهل يجوز القياس عليه ؟ . ذلك ما أرجو أن تجيب عليه هذه المذكرة وتفيه حقّه من البحث ، وصولاً الى الحقيقة وحفاظاً على الأمانة . والله الموفّق .

★ ★ ★

قال سيبويه :

« والمفعول نحو مضروب ؛ تقول : مضروبون . غير أنهم قد قالوا : مكسور ومكاسير ؛ وملعون وملاعين ؛ ومشؤوم ومشائيم ؛ ومسلوخة ومساليخ ، شبّهوها بما يكون من الأسماء على هذا الوزن . . . فأمّا مجرى الكلام الأكثر فأنْ يُجْمَعَ بالواو والنون ؛ والمؤنث بالتاء » .

وقال أيضاً وهو يتحدث عن جمع مُطْفِل على مطافل ومُشْدِن على مَشادِن :

(*) مذكرة مقدمة الى لجنة اللغة العربية بتاريخ ١٩٨٦/١١/٢٢ م .

« وقد قالوا على غير القياس : مَشَادِين ومَطافِيل ، شبَّهوه في التكسير بالمصعود والمسلوب » (١) .

وذكر الزمخشري صيغة مفعول مع فَعَّال وفُعَّال وفِعِّيل وماشاكلها وقال :

« يُسْتَغْنى فيها بالتصحيح عن التكسير ، فيقال : شَرَّابون وحُسَّانون وفِسِّيقون ومضروبون . . . . وقد قيل : عَواوير وملاعين ومشائيم وميامين ومياسير ومفاطير » (٢) .

وقال ابن يعيش :

« مفعول من نحو مضروب ومقتول . . . كان الباب فيه جمع السلامة من نحو : مضروبون ومنصورون » .

ثم قال :

« وقالوا : ملاعين ؛ كسَّروا ملعوناً ، كأنهم شبَّهوه بالاسم مما هو على خمسة أحرف ورابعه حرف مدٍّ ولين ؛ من نحو بهلول وبهاليل (٣) ومغرود ومغاريد » . وبعد أنْ أورد عدة كلمات على هذا النحو كمشؤوم ومشائيم وميمون وميامين ومكسور ومكاسير ومسلوخة ومساليخ ؛ قال : « كله على التشبيه بالاسم ، وهذا شاذ في مفعول » (٤) .

★ ★ ★

والمستفاد من مجموع هذه النصوص : ان مفعولاً – إنْ كان وصفاً لا اسماً – انما يُجْمَع على مفعولين ومفعولات ، وان ذلك هو الأصل

---

(١) الكتاب – طبعة بولاق – : ٢/٢١٠ . وقوله : « بالمصعود والمسلوب » كذا ورد في المطبوع ، ولعل فيه تصحيفاً او تحريفاً ، وربما كان الصواب : « بالمغرود والاسلوب » ، ويَجْمَعان على المغاريد والأساليب .

(٢) المفصل : ١٩٦ .

(٣) كذا في الاصل ، والمعروف ان ذلك على زنة فعلول لا مفعول .

(٤) شرح المفصل : ٥/٦٧ – ٦٨ .

و« الباب » و« مجرى الكلام الأكثر » ؛ وان جمعه على مفاعيل سماعي « على غير القياس » إنْ أبينا أن نقول بشذوذه كما قال ابن يعيش أو بندرته كما قال ابن منظور في تركيب شأم من اللسان .

وحسبنا شاهداً على صحة هذه النتيجة ان القرآن الكريم لم يرد فيه جمع مفعولٍ هذا الا صحيحاً ، كما في : مبعوثين ومجموعين ومحجوبين ومحرومين ومرجومين ومردودين ومسؤولين ومسبوقين ومسجونين ومسحورين ومعزولين ومقبوحين وملعونين ومنصورين ، وكما في : معدودات ومعلومات .

ولعل ممّا يزيد المسألة ايضاحاً أن نقرأ ما أورده ابن منظور في اللسان (ك س ر) قال : سوط مكسور ؛ والجمع مكاسير ، « قال ابو الحسن : انما أذكر مثل هذا الجمع لأن حكم مثل هذا أن يُجْمَع بالواو والنون في المذكّر ؛ وبالألف والتاء في المؤنث ؛ لأنهم كسّروه تشبيهاً بما جاء من الأسماء على هذا الوزن » .

وقال في تركيب (شأم) :

«ورجلٌ مشؤوم على قومه ؛ والجمع مشائيم ؛ نادر ، وحكمه السلامة» .

وقال في تركيب (لعن) :

« رجل لعين وملعون ، والجمع ملاعين » ، ثم روى عن ابن سيده قوله : « انما أذكر مثل هذا الجمع لأن حكم مثل هذا أن يُجْمَع بالواو والنون في المذكر ؛ وبالألف والتاء في المؤنث ، لكنهم كسّروه تشبيهاً بما جاء من الأسماء على هذا الوزن » .

ومع ذلك كله أورد صاحب اللسان قولهم :

ميمون وميامين ؛ ومشبوب ومشابيب ؛ وملقوح وملاقيح ؛ ومنكود ومناكيد ؛ ومأسور ومآسير ؛ ومبسوط ومباسيط ؛ ومقطوع ومقاطيع ؛ ومرجوع ومراجيع ؛ ومكبون ومكابين ؛ ومضمون ومضامين ؛ ومجنون ومجانين . وربما أورد غير ذلك ممّا فاتنا الوقوف عليه .

وخلاصة القول : لامناص من الحكم بأن يُجْمَع مفعولٌ إنْ كان وصفاً للمذكر العاقل جمعاً صحيحاً سالماً ، تبعاً لما عليه الاستعمال الفصيح في القرآن الكريم ؛ ولما ذكره النحويون والمعجميون فيما تقدم نقله من كلامهم ، وان ذلك هو القياس المتَّبع والقاعدة المقرَّرة والأصل المتفق عليه .

أمّا اذا كان مفعولٌ وصفاً لغير العاقل فانّه يجمع جمع المؤنث السالم - قياساً أيضاً - عملاً بما قال ابن منظور في اللسان (نعش) : «يؤنثون جَمْع ما خلا الآدميين » وبما قال الفيومي في المصباح (بنو) : « ان جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس » .

ولذلك جمع ابن سيده موضوعاً على موضوعات لامواضيع ؛ في قوله في مقدمة المخصص : « فعلِمْنا بذلك ان اللغة اضطرارية ؛ وإن كانت موضوعات الفاظها اختيارية » (٥) .

ولذلك - أيضاً - جمع العلماء مندوباً على مندوبات ؛ ومكروهاً على مكروهات ؛ ومحظوراً على محظورات ؛ وممنوعاً على ممنوعات ؛ ومخلوقاً على مخلوقات . ومرفوعاً على مرفوعات ؛ ومنصوباً على منصوبات ؛ ومجروراً على مجرورات ؛ وموضوعاً على موضوعات ؛ ومحمولاً على محمولات ؛ ومخطوطاً على مخطوطات .

كذلك جمع الناس منتوجاً على منتوجات ؛ ومنسوجاً على منسوجات ؛ وملبوساً على ملبوسات ؛ ومفروشاً على مفروشات ؛ ومسروقاً على مسروقات ؛ ومنهوباً على منهوبات ؛ ومأكولاً على مأكولات ؛ ومشروباً على مشروبات ؛ ومعروضاً على معروضات ؛ ومأثوراً على مأثورات .

والذي يرجح في الظن في تعليل ذلك أنهم قد تخيَّلوا التأنيث في المفرد من هذه الكلمات دلالةً على الوحدة ؛ أو شبَّهوها بالمؤنث الذي ليس فيه هاء

---

(٥) المخصص : ١/٢ .

الأنيث ، فجمعوها بالألف والتاء جمع المؤنث ، وهو ما علّل بـه ابنُ يعيش جمع سرادق على سرادقات (٦) .

وقد ذكر ذلك سيبويه وأمضاه ، قال :

« وقد قالوا : جِمالات فجمعوها بالتاء كما قالوا رِجالات وقالوا كِلابات، ومثل ذلك بُيوتات ، ومثل ذلك الحُمُرات والطُّرُقات . . . . جعلوا الجِمال إذْ كان مؤنثاً في جمع التاء نحو جِمالات بمنزلة ماذكرنا من المؤنث نحو أَرَضات وعِيَرَات ، وكذلك الطُّرُق والبُيُوت » (٧) .

واذا كان ذلك هو الأصل والباب والقياس كما أسلفنا ؛ كان ماورد من جموع الصفات على زنة مفاعيل سماعياً مأثوراً ولكن لايقاس عليه ، وإن كنّا لا نستسيغ نعته بالشذوذ أو الندرة ؛ لأنه أكثر عدداً وأوسع استعمالاً مما يجيء شاذاً أو نادراً .

أمّا الأسماء الواردة على وزن مفعول فان جمعها على مفاعيل هو الأصل والقياس ، عملاً بما أشار اليه سيبويه وما رواه ابن منظور، في جمع الأسماء الواردة على هذا الوزن ؛ وبما نصَّ عليه ابن يعيش في جمع الاسم الذي « هو على خمسة أحرف ورابعة حرف مدٍّ ولين » .

ولمّا كان هذا الجمع – كما تقدم – قياسياً في الأسماء ؛ وغير شاذٍّ ولا نادر في الصفات ، أمكن القول بجواز القياس عليه لدى الحاجة اليه . وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم .

---

(٦) شرح المفصل : ٨٥/٥ .

(٧) الكتاب : ٢٠٠/٢ .

التراث العربي والمعاصرة [1]

الدكتور يوسف عز الدين
(عضو المجمع)

إن تحقيق المخطوطات واعادة نشرها باسلوب علمي ، وكثرة ما طبع منها ، سهّل الاستفادة منها ، وقرأها الرواد الأوائل فتأثروا بها في اساليبهم الشعرية ، وكانت من بواعث النهضة الجديدة عندما غيّر الشعراء والكتّاب اساليبهم القديم الذي يعنى بالجناس اللفظي والتورية والجناس المقلوب والمرصعات والمجاز والابتعاد عن النظم في ضروب لفظية غريبة ، معتمدا على الايغال في اختيار الكلمة وانتقاء العبارة والتباهي ببراعة الاستهلال والجناس المركب والمطلق والملفق والمذيل واللاصق والتام والمصحّف والمحرّف ، والهزل الذي يراد به الجد ، والمقابلة والالتفات والاستدراك والتوشيح والتفويض والمناقضة وغير ذلك ، مما كثرت فيه المصطلحات وندرت فيه المعـاني ، لان الادب والفكر بصورة عامة اهتم باللفظ اسلوباً والكلمة هدفاً .

ان الاطلاع على هذا الجديد في اسلوب التراث ادخل رواء حديثاً وماء صافياً عذباً ، حلا فيه الاسلوب واشرق فيه النظم ، عندما تأثر المعاصر باساليب الشعر الجاهلي والاموي والعباسي ودرس النابغة وجريراً والمتنبي وابا فراس . وبدأت

---

(1) قدم في مؤتمر اللغة العربية في القاهرة في الدورة الثانية والخمسين يوم الثلاثاء ٣ من جمادى الاخرة سنة ١٤٠٦ الموافق ١١ مارس (آذار) ١٩٨٦ .

الحياة تمور بالجديد من احداث متنوعة وظواهر متعددة ، دعت الفكر مضطراً الى العناية بالمعنى ليعبر عن هذه المتغيرات الحضارية الجديدة ، وليواكب التجديد الذي لم تكن حياته الهادئة توحي به .

وجاء الغرب فدفع الشرقي والعربي والمسلم الى رؤية جديدة ومنظور حديث ، عندما قارن المفكر حياته وحالة ادبه وعلمه بما عند الغرب ، وقارن ضعفه وهزال فكره الادبي وضعف قابلية هذا الادب على القدرة في وصف المستجدات الحضارية ، فاهتزت مثله وتغيرت نظرته الى ادبه وانقسم المفكرون على انفسهم برغم وحدة الشرق والعرب والأسلام في الوقوف امام هذا التيار العارم حتى قال الشاعر :

ان العروبة لفظ إن نطقت به

فالشرق والضاد والاسلام معناه

ان التجديد والبعث والنهضة على اختلاف الرؤية الفكرية والتاريخية ، استمد جذوره من تراث العرب القديم بمختلف عصوره الزاهية ، بما فيه من غزازة علمية وفكر عميق وفلسفة ناضجة ونظريات في الاجتماع والفلك والطب واسس نظرية تطبيقية في مختلف العلوم والفنون... فأعلن التجديد على إحياء مسارب الفكر والادب والشعور .

بينما كانت مسارب الفكر الغربي وتجديده الادبي والفلسفي قائمة على ادب امة أخرى ، وعلى تراث شعوب مجاورة ، فقد حدثت النهضة الادبية في اوربا بعد سقوط بيزنطة وهجرة العلماء الى الغرب ومعهم المخطوطات التي قلدها شعراؤهم تقليداً بعث الجديد في نشر الكلاسيكية التي أفضت إلى تقليد اعمى أجوف .

التراث العربي والمعاصرة

ــ أولا ــ

القديم والجديد :

الجديد والقديم والتراث والمعاصرة والمحافظة والتجديد ، سمة كل عصر ، وطبيعة كل تطور في الحياة ، ومظهر كل تبدل في معايير الحضارات التي عمّت وجه الارض .

ومعارك الفكر ومتناقضات المجتمعات الكثيرة ، لازمة لكل مجتمع نام يتفتح نحو التجديد ويعى تأخر حاضره ، في كل امة ، باختلاف شعوبها وتنوع افرادها ، ولا يمكن الاستفادة من الجديد والتطور الا اذ استوعب الفكر الجديد وهضم المجتمع هذا التيار المتطور بما امتلك من قاعدة صلدة من تراثه وإرثه الحضاري .

ما التراث ؟

تراثنا الفكري وإرثنا الادبي بما فيه من حضارة سبقت واحتوت حضارات البشرية وابدعت في خلق الجديد اعانت على تطور حياة الانسانية ، ورفعت المستوى البشري الثقافي ، بما فيه من علم وفن وادب وعادات اجتماعية وتقاليد فكرية واساليب حضارية .

ان التراث الحضاري الجيد لكل امة هو العامل الفعال في تطور حياة تلك الامة ، يمدها بالقوة المعنوية والثقة بالنفس ويحفظهما من الذوبان والضياع والاندثار .

فهل كل ما ورثنا ، من تراث خلال العصور الطويلة للامة العربية من حضارة له جذور ؟ وهل التراث الحضاري مقصور على المخطوطات المحفوظة في خزائن الكتب في المكتبات العالمية ؟

وهل في هذه الكتب كل مضمون حياتنا العقلية والاجتماعية والفكرية والعلمية ؟

وما اثر الحياة الاجتماعية العربية المعاصرة بالمنظور الواقعي ، وما رؤيتها المادية والاثر الحضاري القديم في سلوك البشر وعاداتهم وتقاليدهم ، وطراز لباسهم واسلوب طعامهم وشرابهم ، وفنهم اليومي وغنائهم الشعبي ؟ . . اضافة الى ماضاع من هذا التراث الاجتماعي واندثر .

وهل يمكن ان نعد حياتنا هذه اليومية جزءً من التراث ، ومن جذور تكوين الامة العربية الحضاري وامتداد اصولها الاجتماعية .

لاشك في ان هناك مؤثرات حضارية ضاعت واساليب اجتماعية اندرست من جراء الغزوات الكثيرة والتأثر بالاجانب ، وان هناك عادات كثيرة انمحت ، كان المجتمع يحافظ عليها ، بعد ان ضاعت شخصية العربي وانحسر اثره الحضاري وتأثيره السياسي وتوجيهه الفكري ، بانحسار الحضارة الاسلامية والتأثير التراثي العربي .

فالمخطوطات العربيةوحياةالمجتمع المعاصر لابدمن تلازمها لان المخطوطات حفظت جانباً من التراث وحفظت حياةالمجتمع العربي جانبا آخر منه ، ولابد من الاستفادة الكاملة منهما لأن حياة المجتمع لم تأت من فراغ فكري ، وتقاليده الجيدة لهاقواعداخلاقيةفرضتهاوحفظتها القرون الطويلةوهي متلازمة مع ما ورثناها وتأثرنا بها بصورة لاشعورية واصبحت جزءً من حياتنا المتطورة المعاصرة .

ـ ثانيــا ـ

كيف نختار من التراث العربي ؟

احتشدت العصور التاريخية بانواع شتى من الآراء والافكار احتكاكاً بالامم الاخرى ترجمة ونقلا منها ، اضافة الى مافي تراثنا من أصالة وغرابة ومن حسن

وسيِّئٍ يصعب فصله وغربلته ، فاختلطت الفلسفات الاجنبية والافكار الغربية وتيارات الحضارات المتباينة في تراثنا ، واصبح من الصعوبة فصل التراث الاصيل من الموروث القديم كله ، لان الاختيار بحاجة الى جهد متواصل وصبر وأن كبيرين ، وان يكون المختار حيادياً له اختصاص بما يختار منه واضعاً نصب عينيه مايلائم العصر الحديث من هذا التراث ، سائراً وفق اسلوب علمي واضح ومنهج مخطط دقيق يلتزم به . . ليتخلص من فضول لايناسب المعاصرة ولايخدم حضارتنا الحديثة .

وان تشمل هذه الحركة مختلف الاداب والفنون والعلوم والفلسفة والرياضيات لترسيخ الثقة بالنفس ، وترسم صورة صادقة للعربي المعاصر ، وبخاصة الشباب وقد يساعد المختار ماصدر من كتب متنوعة في الشرق والغرب وبلغات متنوعة ، وما قام به العرب من مختارات في الشعر والادب وما دُرس من هذا التراث وكُتب عنه من الكتب والدراسات .

ولا تقتصر على فرد واحد ، لان العملية ضخمة ويجب ان تكون حذرة ونشيطة وواعية ، لان الاختيار الموفق من اهم المقومات الحضارية لرسم صور جيدة ، فيها من عناصر الابداع ما يرفعها الى مستوى الانسانية والمعاصرة .

وغربلة التراث لاتكفيه النظرة المحايدة مالم يكن الحياد له نظرة عميقة منسقة مع بقية التراث ، لابد ان يكون المفكر الحيادي المشرف على هذه الغربلة ملماً – الى جانب اختصاصه – بتطورات الحياة المعاصرة ومعرفة واسعة بأثر حضارة الغرب ، ليلائم مع ما يختار هو وما يختاره اصحابه .

ان عملية التقديم والتقييم عملية حضارية متطورة متسعه الرقعة ، ومتى كان التراث المختار جديداً وجيداً فسوف يدفع الحداثة والمعاصرة نحو التطور

وسوف يلف حوله اولئك الذين يرون التراث مادة قديمة يجب ان تترك في زوايا الاهمال ، وان ينمي الذوق المعاصر ويفيد ، ويمتع الذوق العام والحس الفني الحديث .

ان التخريب الفكري والتلوث الادبي الذي ران على الادب العربي والفكر المعاصر بحاجة الى جهد كبير بعد ان ابتعد الجيل المعاصر عن تراثه واضاع شخصيته وارتجت مُثُله وضاع بين التيارين الشرقي والغربي .

واحياء المفيد من التراث وعرضه باساوب جديد وتجريده من الضعف والهزال سينظر اليه نظرة واقعية واضحة الهدف ، وتصبح للابعاد التراثية علمية تسايرركب الفكر العربي في مختلف المجالات الادبية والفنية والاجتماعية .

ومما لاجدال فيه اننا ورثنا تبعة كبيرة ومخزونا حضاريا كبيرا سدت امامه الابواب فانغلق الفكر الادبي تبعاً لغلق باب الاجتهاد الديني ، فانصرف الكتّاب والمفكرون عن حركات اصلاح الشعر والادب وعورضت الاصلاحات بشدة وقتل الرأي الجيد المفيد فشاخ فكرنا وتدهور الابداع وأدى الى (مجتمع خضع للطاعة الفردية وفقد ارادته ، وشتان بين مجتمع قائم على الطاعة العمياء ومجتمع قواعده الارادية الحرة والفكر المطلق الذي يحقق الحرية والابداع والتطور لان منح الفرد حقه في التعبير وابداء الرأي من عوامل قوة الامة ورسوخ قواعدها الفكرية (٢) .

ولن يتم هذا الهدف الكبير الا اذا وعينا هذا التراث وفهمنا واقعه الحضاري باحصاء شامل للجيد منه والمبدع الذي برز به المفيد الذي يساير الحياة المعاصرة من شعر ونثر وفكر وفلسفة وفن وعلم صرف ونقد بناء

(٢) الحركة الفكرية في العراق ص ١٣ .

فليس كل شعر امرئ القيس ولبيد وجرير والفرزدق وابي تمام والمتنبي جيداً ومفيداً ، وليس كل فكر ونثر الجاحظ وعبد الحميد الكاتب والفارابي وابن سينا يمكن الاستفادة منه ، وليس كل ما جاء في كتب الطبري والمسعودي وابن خلدون يمكن ان يتخذ نموذجاً يحتذى في البحث والكتابة .

ذهب عصر متون اللغة والصرف ومنظومات العلوم والتعليق على الكتب وشرحها ووضع حاشية لها ومثلثاتها وشروحها ، ولم يعد الفكر بقادر على حفظها وصرف الوقت من اجلها بعد انتشار المطابع والكتب ، لم نعد نرى في العصر الحديث (كامل التوقيع في فن البديع) (٣) (وبلوغ الارب في استعارات العرب) (٤) و (غنية الاديب في شرح مغنى اللبيب) (٥) و (غيث الربيع في علم البديع) (٦)

بعد التطور الجديد ألفت كتب جديدة باساليب حديثة ، حاولت فهم هذه العلوم وتقريب الصعوبات التي تكتشفها ، فقد وعى المفكر واقع الامة واختار ما يلائمها وطور العلوم والأدب والاساليب الجمالية والتشبيهات الفنية والصور الادبية وما يلائم هذا العصر ، وتحدث عن البيئة والمحيط والمشكلات التي يعاني منها والتيارات الأجتماعية التي تجتاح امته

والتراث الحضاري كل لايمكن بتره وفصله ، سواء كان ادباً ام فناً ام علماً من العلوم الصرفة يمكن الاستفادة منه حسب حاجة المعاصرة .

وقد تطورت الامور وبدأ التجديد عندما انشأ علي مبارك دار العلوم وادخل اول تيار حديث ، حيث اعقبه انشاء الجامعة المصرية التي سار على

---

(٣) لابراهيم فصيح الحيدري . (٤) لأبي الثناء الآلوسي .
(٥) لعلي درويش . (٦) لمعروف النودهي .

يهجها العرب في تأسيس جامعاتهم . (٧) .

ان الاختيار يجب ان يكون بعيداً عن الغموض واضح العبارة سهل التناول دون الخجل من بدايات العلوم الاولى واللبنات الاولى التي وضعها العالم العربي والباحث الاسلامي ، سواء معرفة الدورة الدموية أو اسلوب البحث العلمي أو الاساليب الاولى لاستعمال آلات التشريح .

واخيراً ان جمال الشعر واختيار غرره الفنية ليعكس لنا قيم الحضارة والاعمال الفنية التي يتذوقها العربي والمسلم ، وترسم لنا قيم الحضارة في جمالها وروعتها وسوف تعطي هذه القيم قاعدة جديدة ومنطلقاً في الابداع والفن والمتعة .

ـ ثالثا ـ

احتواء الحضارة الغربية

كان الخوف الدائم من الغرب مدعاة انغلاق روحي وفكري وأدبي ، وكل مايأتي من الغرب ضلال وكفر ، وحذر المفكرون اولياء الامور من ارسال ابنائهم للغرب للدراسة لانها سوف تدهور عقيدتهم وتفسد عليهم عقلهم ودينهم ، وبلغ من كراهية تقليد الغرب والاستفادة منه ان عُزل السلطان سليم الثالث عندما اراد تطوير الجيش العثماني وبناء صناعات جديدة في الدولة سنة ١٧٩٦ م وعدّ مبتدعاً لانه (ادخل نظامات الافرنج وعوائدهم واجبر الرعية على اتباعهم) (٨) .

---

(٧) كان الازهري يقرأ (متونا وشروحا كثيرة لاحظ حلية الزمن ٢٣ ـ ٢٤) منها جمع الجوامع في اصول الفقه ومشارق الانوار في الحديث وشرح الاشموني على الفية ابن مالك وشرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ...) (اصول الفكر العربي الحديث ص ٧ للدكتور محمود فهمي حجازي القاهرة ١٩٧٤) ولمعرفة اسماء الكتب تدرس (الاجازات العلمية) التي كانت تمنح للطلاب بعد اتمام الدراسة .

(٨) الحركة الفكرية في العراق ص ١١ و ١٢ .

لاشك بان العالم العربي والشرقي والاسـلامي كان يعيش في سبات عميق ، وفي تفكير الفروسية القديمة والمثل التي لاتلائم العصر ، ولم يستيقظ الا على اصوات مدافع نابليون وطلقات بنادقه ، والطريف ان احد الغيارى ، من المسلمين جلب معه عددا من هذه البنادق قبل الغزو الى مصر وعرضها على المماليك ، واخبرهم بان الغرب يحارب بها فرفضت لانها لاتدل على الشجاعة وانما الحروب يجب ان تكون بالسيف والرمح على صهـوات الخيل التي انهارت وسقطت امام تلك الآلة التي احتقرت وجرّت عليهم الهزيمة . ولا ادري ماكان مصير الحرب او انتبه المماليك الى هذه البنادق واستعملوها ؟

ووقف عدد كبير امام التيارات الغربية موقفاً سلبياً ، عدّها من البدع والضلال الذي يجب ان يقاوم بعنف ، وعد اعمال الغرب سبة حتى ابتعد عن (أخذ الصور الفوتغرافية) لانها غربية ولان الصور محرمة وان احد الاطباء الغربيين لم يجد من يراجعه برغم انتشار الامراض (٩) في البلد الذي كان يعيش فيه .

ان الاختلاف الذي حصل من وصول حضارة الغرب خلق جواً من الخوف والترقب والمتناقضات عند المفكر ، وولد صراعاً فكرياً سببه التمزق والتشقق في البناء الحضاري والثقافي الذي كان مسيطراً على الشرق (١٠) .

وكانت فضائل المفكر بانه بعيد عن كل غربي فقد امتدح ابو الثناء الالوسي احد الحكام فقال (والظاهر انه لم يسمع منه جليس ، حديث لندرة وباريس ، ويكفي اهل البلد اليوم ان واليها سالم من تلك الوصمة ، وقلما

---

(٩) رحلة متنكر تاليف ميجرسون ص ٢٥٤ عن الحركة الفكرية ص ٨٩ .

(١٠) ابراهيم صالح شكر وبواكير النشر في العراق ص ٤٧ و ٤٨ والحركة الفكرية ٨٩ .

تنال هذه الرحمة ، في هذا الزمن الذميم (١١) ، ولما كان الغربي يقطع اللحم بالسكين فقد عد قطع اللحم بالسكين عند الاكل حراماً لان ذلك تقليد للغرب حتى قال الالوسي لهذا الشيخ صاحب الفتوى (يامولاي أتقطع بعدم كفر من يقطع) ، ووعى قسم آخر هذه العبارة واراد الاستفادة منها في تطور الحياة وليس في المظاهر كاللباس والطعام الذي ادهش رفاعة رافع الطهطاوي اسلوب تناوله على المائدة فذكره أكثر من مرة في كتابه تلخيص الابريز انقل لكم منه :

(ولم نشعر في اول يوم الا وقد حصل لنا امور غريبة في غالبها ، وذلك انهم أحضروا لنا عدة خدم فرنساوية لانعرف لغاتهم ونحو مائة كرسي للجلوس عليها لان أهل هذه البلاد يستغربون جلوس الانسان على نحو سجادة مفروشة على الارض فضلاً عن الجلوس بالارض ، ثم مدوا السفرة للفطور ثم جاؤوا بطبليات عالية ثم رصوها من الصحون البيضاء الشبيهة بالعجمية ، وجعلوا قدام كل صحن قدحاً من القزاز وسكيناً وشوكة وملعقة ، في كل (قزازتين) من الماء واناء فيه ملح وآخر فيه فلفل ، ثم رصوا حوالي الطبلية كراسي لكل واحد كرسي ، ثم جاؤوا بالطبيخ فوضعوا في كل طبلية صحناً كبيراً او صحنين ليغرف احد اهل الطبلية ويقسم على الجميع فيعطي لكل انسان في صحنه شيئاً يقطعه بالسكين التي قدامه ، ثم يوصله الى فمه بالشوكة لابيده فلا يأكل الانسان بيده اصلاً ولا بشوكة غيره او سكينه او يشرب من قدحه ابداً ، ويزعمون ان هذا انظف واسلم عاقبة ، ومما يشاهد عند الافرنج انهم لايأكلون ابداً في الصحون النحاس بل ولا في اوانيه ابداً ولو مبيضة فهي للطبخ فقط ، بل دائماً يستعملون الصحون المطلية ، وللطعام

---

(١١) نشوة المدام ص ١٠٣ .

عندهم عدة مراتب معروفة وربما كثرت وتعددت كل مرتبة منها ، فاول افتتاحهم الطعام يكون بالشوربة ، ثم بعد باللحوم ثم بكل انواع الاطعمة كالخضروات والفطورات ثم بالسلطة مثلا خضر منقوشة بلون السلطة ثم يختمون اكلهم بأكل الفواكه ثم بالشراب المخدر ، الا انهم يتعاطون منه القليل ثم بالشاي او القهوة ، وهذا الامر مطرد للغنى والفقير كل حسب حاله ثم ان الانسان كلما اكل طعاماً في صحنه غيّره ، واخذ صحناً غير مستعمل ليأكل فيه طعاماً آخر) .

(ثم انهم احضروا لنا الات الفراش ، والعادة عندهم انه لابد ان ينام الانسان على شيء مرتفع نحو سرير . . .) (١٢) .

وأهم الآراء التي نشرها رفاعة وتأثر بها وأراد نشرها بين المواطنين هي آراؤه السياسية التي لم تطبق حتى اليوم كما حلم بها هذا المفكر الفذ . فقد كان الشرق في عصره يعيش تحت حكم فردي سواء في مصر ام في الدولة العثمانية لايرى السلطة الا للحاكم وليس للشعب حق الا الطاعة العمياء (لذى النعم) صاحب الكلمة العليا والمنفرد بالسلطان والجبروت .

فلا تعجب ان وجد الفارق الكبير بين حرية الشعب الفرنسي وعبودية الشعوب في الشرق كله . فترجم هذه الحقوق وانبهر بها عندما قرأها في القانون الاساسي الذي حد من سلطات ملك فرنسا وساواه بابناء الشعب ، وكان يأمل ان يعي الشرق واقعه ويتنسم نسمات الحرية التي افتقدها فقال . . (ان ملك فرنسة ليس مطلق التصرف وان السياسة الفرنساوية هي قانون مفيد ، بحيث ان الحاكم هو ملك بشرط ان يعمل بما هو مذكور في القوانين) (١٣) .

---

(١٢) تلخيص الابريز ص ٣٤ حجازي ص ١٨٦ ويلاحظ ص ٩١ .
(١٣) تلخيص الابريز ٨٠ – ٨٢ و ١٧٠ – ١٧٢ .

وعندما رأى التفاوت الكبير بين ابناء الشعب المصري وبين الطبقة الحاكمة هزته رؤية المساواة الموجودة بين ابناء الشعب الفرنسي اذ ليس هناك فارق بين حاكم ومحكوم وانها تشمل (. . . سائر من يوجد في بـلاد فرنسا من رفيع ووضيع . . . . حتى ان الدعوى الشرعية تقام على الملك وينفذ عليه الحكم كغيره . .) (١٤) .

واعجب اعجاباً كبيراً بهذه المساواة لانها دليل على نشر العدل وحماية المظلوم وانحسار الظلم وبرهان على رقي هذه الامة وتقدمها . وعندما رأى ان الوظائف ليست مقصورة على اسرة واحدة او طبقة محددة او اتجاه واحد ورأي انسان مفرد يرفع الناس وينزلهم فقال بان الفرنسي متأهل لأي منصب وأية رتبة مهما علت هذه الرتب وارتفع مقامها .

وقد ادهشته واعجبته حرية التعبير وابداء الرأي في الجرائد التي سماها الجرنالات والكازيطات ووقف موقف المتعاطف المعجب من الثورة الفرنسية ، ورآها ثورة عادلة لانها قضت على حكم الملك الفردي عندما تدخل في حرية الناس واراد أن يحد من الرأي العـام الفكري واو كان عـادلا منصفاً دستورياً لما قامت ضده ، انها رد فعل لاعماله التعسفية .

ويظهر تعاطفه الواضح وتقديره للافاييت واحترامه له لانه نادى بالحرية ووقف ضد الاستبداد والظلم والجور وأراد نشر الديمقراطية وحكم الشعب .

ووقف باعجاب امام حرية انتقال ابناء الشعب من بلد الى آخر ، وعدم تدخل الدولة في حرية اختيارهم للعمل وساعات الراحة ولم يترقب المواطن خوف النفي والحبس ومصادرة اموالة فهو آمن في قوله وانتقاله ورأيه لايخاف السلطة مادام محافظاً على القوانين (١٥) .

---

(١٤) مناهج الالباب ٣٥٨ .

(١٥) المصدران السابقان .

وسرت الآراء السياسية التي نقلها الطهطاوي الى الشرق كله عندما أكد على حرية الانسان في القول والمناقشة والسفر وتأسيس الاحزاب ونشر الكتب والمجلات والجرائد دون خوف من السلطة ، وغدت الدعوة الى الحرية الشخصية ومهاجمة الحكم الفردي من مميزات العصر الجديد ، واصبحت سمة المفكر المتطور في الادب والسياسة . وكان من نتائج هـذا الفكر ان نشر عبد الرحمن الكواكبي (ام القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) (١٦) الذي رأى ان (الاستبداد يسلب الراحة الفكرية فيضنى الاجسام فوق ضناها بالشقاء فتمرض العقول ، ويختل الشعور) (١٧) وانقسم الفكر الى محافظ ومجدد أراد تقليد الغرب بكل ماجاء به من حضارة . .

اما المحافظون فدعوا الى الالتزام بالتراث وابعاد الغرب حتى ظهر محمد عبده داعياً الى التوسط بين الامرين ، فكانت حركة عارمة في الفكر الحديث اشتهرت بطبع (عربي تفرنج) لعبد الله النديم .

وسرت المؤثرات الحضارية من مصر الى العراق ، وبدأ الكاتب يتخلص من المحسنات اللفظية . وظهر وعي جديد يدعو الى تطوير الحياة ، ونشطت الدراسات العلمية . اعانهامصلحون كالشيخ محمدعبده وعبدالله فكري والمرصفي .

وانتشرت الجرائد والمجـلات واخذت تدعو الى الاخذ من الغرب (لان دخول الاوروباويين لطريق الترقي كان منذ ثلمائة او اربعمائة سنة قبلنا) (١٨) .

---

(١٦) هناك في كتابي (الاشـتراكية والقوميـة وأثرهما في الادب الحديث) تفصيل عنه .

(١٧) طبائع الاستبداد ٨٣ .

(١٨) فهمي المدرس من رواد الفكر الحديث ٢٧ .

وبدأت تتأسس المطابع في الاقطار العربية وهو الحدث الكبير الذي نشر الفكر بصورة واسعة وجلب لنا كل ما في الغرب من آراء ومخترعات ، فوسع مصادر الابداع والانتاج وتفتحت آفاق جديدة وقرأ المفكر آراء جديدة وفلسفات لم يسمع عنها من قبل ونظريات لم تدخل ضمن ثقافته .

ان فكرة احتواء الحضارة الغربية بدأت من ايام محمد على ، عندما عاد طلاب البعثات واشتهرت في ايام اسماعيل ، وولدت جيلاً جديداً كان من طلابها البارودي واسماعيل صبري وشوقي وحافظ ومطران والرصافي والزهاوي ، وفي كل بلد عربي كان الاثر واضحاً لما يدور في مصر وقد كان طه حسين وسلامة موسى من المجددين ، والمنفلوطي والرافعي من المحافظين .

وظهرت التيارات الفكرية الجديدة بآثارها الواضحة على مسيرة الفكر متأثرة بالافكار التي نادى بها جمال الدين الافغاني والكواكبي ومحمد رشيد رضا ومحمد عبده وشكيب ارسلان وشبلي شميل .

وكان للمناقشات التي اثيرت حول الاصلاح والتطور صدى في الاقطار العربية فلكل حركة اثر ، ولكل مناقشة مؤيد ومعارض اذ لم تكن الاقليمية قد غرست بعد ، فالعربي في جميع الاقطار يتأثر بما يقوله المازني والعقاد في الميزان ويثور جدل بين القديم والحديث ويتعصب كل واحد لطرف من الاطراف سواء اكان مع طه حسين ام مع الرفعي ام ضد شوقي او معه .

وكانت مصـــر مثلا يحتذى في حل المشكلات الفكرية وحتى السياسية التي تجري بين الوفـــد ومعارضيه والحزب الوطني والاحزاب الاخرى ووجدنا من ينتصر لطفي السيد ضد العقاد ويهاجمه ويدافع عن العقاد ويهاجم (شوقي) ومن يهاجم العقاد والمازني معاً لانهما تآمرا على شكري ، ومن يتعصب للدكتور هيكل وكتبه ، فاشتهرت اسماء كثيرة مثل محمود عزمي وهيكل واسماعيل مظهر وسلامة موسى .

كما ردد الكتاب اسماء كتاب الغرب ومخترعيهم مثل ديكارت وكورنيل وجيمس جويس واديسن ، ونشر الفكر الروسي وعرف نور كنيف وكوكول والآراء والفلسفات كالاشتراكية والديمقراطية والديكتاتورية والفاشية .

الجيل الجديد :

أما الشعر والادب بصورة عامة فقد تأثر تأثراً كبيراً واضحاً بكل التيارات الفكرية الغربية وافكار التجديد الحديثة سواء أراد الشعراء والادباء ام لم يريدوا لصلة الادب الوثقى بالصحافة والميادين الاخرى كالقصة والمسرح والمقالة والنقد .

كان دعاة التجديد يتباهون بمعرفتهم الادب الغربي والفكر الاوربي ويرد عليهم المحافظون بأنهم يفسدون التراث الاصيل والذوق المرهف ويطمسون حضارة العرب والاسلام : ويرد عليهم طه حسين بأنهم لايعرفون اصول البحث العلمي وفلسفة ديكارت . وبالتالي فهم يعيشون في قوقعة العصور القديمة . ويهاجم احمد شوقي لانه لم يأخذ بالثقافة الفرنسية وتيارات الادب الغربي .

وكان من دعاة التجديد خليل مطران بثقافته الغربية وغربته الروحية في مصر فقد قال :

ان التجدد للسان حياته
ومن الذي يجنيه غير المقدم

ويساعده الدكتور زكي ابو شادي ومن لف لفه فقال :

ولست اعيش في قرن تمضى
ولا في غير ذا الوطن الجميل

ويقول الرصافي :

وهل ان كان حاضرنا شقيا
نسود بكون ماضينا سعيدا

ويقول الزهاوي :

سئمت كل قديم عرفته في حياتي
ان كان عندك شيء من الجديد فهات

ولعل اشد هجاء لدعاة التجديد للشاعر محمد عبد المظاب عندما رآى دعاة التجديد يدعون الى الادب المكشوف قال :

نزعوا الى دنس الاباحة فانجلى
للناس ذلك المنزع المرذول
مازوا الجديد من القديم وما دروا
ان الجديد من القديم سايل
جلبات إفك في مهالك فتنة
هوجاء ، كيد غوائل ، تضليل

ووقف سامي الكيالي ضد هذا التطور بصورة عامة وضد ادب المهجر بخاصة ، وسخر من استعارات هذا الادب واساوبه ووصف ادبهم بانه (مُخنَّث يستمد مادته من فضاء الخيال السخيف) (١٩) .

وكان المنفلوطي من رواد الادب الذين هاجموا هذا التجديد الذي رآه بأنه (اعجمي يظن ان اللغة العربية حروف وكلمات وهو لايعرف منها غيرها فينطق بشيء هو اشبه الاشياء بما يترجمه المترجمون من اللغات الاعجمية

(١٩) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد حسين ص ٢٧٧ و ٢٧٨ .

ترجمة حرفية ، فان تعثّرت عليه غرابة اسلوبه واستعجامه والتواءه عن الفهم ، كان مبلغ ماينضح به على نفسه .

ان المعاني العصرية والخيالات الحديثة لايستطيع الباسها الاكسية البدوية والاردية العربية . . . اما الحقيقة التي لاريب فيها فهي ان الرجل لاينزع المعاني من قرارة نفسه ولا يصور فيها صورة عقاه انما صورة مترجم قد عثر بتلك المعاني في اللغـة الاعجمية التي يعرفها لاصقة باثوابها الاصيلة . فلما أراد ان يفضي بها الى العـرب وكان غير مضطلع بلغتهم ولا متمكن من اساليبهم عجز عن ان ينزع عنها اثوابها اللاصقة بها فتعلمها كما هي الا ماكان من تبديل حرف بحرف او لفظ بلفظ) (٢٠) .

الجيل الجديد

وبعد الحرب العالمية الثانية اتصل الفكر العربي اتصالا وثيقاً بانتشار اللغات الاجنبية في المدارس والكليات ، وكثرت مراكز الدعاية للتيارات السياسية للدول الغربية ، وبدأت المنازعات في سبيل احتلال فكري جديد بعد ان انحسر الاحتلال العسكري . وزاد الاعجاب بالغرب واساليب الغرب وادب الغرب ثم اميركا احساساً بالنقص وحباً بالشهرة وضحالة ثقافة الجيل الذي ابتعد عن الاصالة العربية وصفاء اللغة وجمال اساليبها بعد ان رجت الكتاب وسائل الاعـلام الكثيرة ولم يعرف هذا الجيل جذور التطور الغربي ودوافعه النفسية والمؤثرات الفكرية والفلسفية التي اثرت فيه والحاجات الاجتماعية التي دعت الى ظهوره في وطنه .

وكان من جراء تبني حضارة الغرب سيطرة القلق العميق والحيرة العقلية التي ولدت من الفراغ الروحي وحب الذات والاتجاه نحو العنف في كل شيء ، وطالب الادب بالمتعة العاجلة والانغماس في الشهوة العارمة ، نسيطر التشاؤم والسخط والعنف وطلب الاشياء الغريبة والصور المستهجنة والاساليب

(٢٠) محمد حسين ص ٢٨٢ عن النظرات للمنفلوطي .

الركيكة وهذا واضح كل الوضوح عند اكثر شعراء وكتاب ما بعد الحرب العالمية الثانية (٢١) .

ولما وجد هذا الجيل نفسه بعيداً عن لغته اخذ يسخر منها ومن التراث ، وحاول الشعر التخلص من الوزن والقافية والمعاني الاصيلة ليغطى على ضعفه اللغوي وقلة محصوله في المفردات والكلمات ، وظهرت اسماء جديدة للشعر فهو مرسل ومنثور وحر ومنطلق . وقد ساعدت الاحداث المؤسفة وهوان العرب النفسي امام الاعداء على انتشار الاضطراب النفسي والقلق الروحي وعلى الاستعجال في الدراسة والحفظ لمواجهة الخطر المحدق بنا ، وساعدت على اليقظة الفكرية ورد فعل عميق بها والثورة على المفاهيم العامة فدخلت المتناقضات في الشعر وتجاوزت مرحلة التطور الى ركوب ،وجات الشعر الغربي وتقليدها واتخاذ شعراء الغرب نموذجاً يحتذى مثل وتمن وت . س . اليوت واديت ستويل وعزرايا وند دون احساس بأن هؤلاء تأثروا بالحوادث الدينية الموجودة في العهدين الجديد والقديم واخذ الشعراء الجدد يبتعدون عن اللغة العربية ولا يكترثون للنحو والصرف والاطار الفني والاصـــالة الشعرية والرواء الممتع ، فاختلفت المفاهيم الفنيـــة عندهم والمثل السياسة في أدبهم وزاد في الغموض والقلق ان اكثرهم فقد حرية التعبير في اوطانه وخاف من سطوة الحكام وانتقامهم وظهر الرفض والاحتجاج والثـــورة في شعرهم ضد المجهول تارة وضد اسرائيل تارة اخرى وضد الاستعمار ثالثة ووصف الشهيد رابعة

وانتشر الرمز والغمـــوض مستنداً من ترجمات الادب الغربي واساطير اليونان والرومان ليعبر عما يجيش في شعـــوره من سخط وتبرم على حاضره

(٢١) كتبت فصلا عن هذه الظاهرة ضمن كتابي (التطور في الشعر الحديث بواعثه النفسية وجذوره الفكرية) .

الذي لم يستمده وعلى وطنه المقيد الحر ، وانصرف بعضهم الى الجنس والمتع الاخرى يصفه ويؤثره ويتحدث عنه بصراحة تامة دون مواربة او حياء ايقال إنه مجدد وجاء بشيء حديث .

وكانت حداثة مدمرة لكل مقاييس الجمال الشعري والاسلوب الفني جزع منها الذين بدأوا بها ، حتى قال عنهم نزار القباني انه (جنس ثالث) وكثرت الاساطير الغربية دون فهم لها والالفاظ الاوربية دون سبب واضح ولجأ الشعر الى الانحراف والرموز العجيبة وتحول الشعر من الاسطورة الى عبادة وثن جديد . لايعرفون مصدره ومكانه وان كان موجوداً في وجدانهم ممثلاً في السياسة .

ولاشك في ان بعض الشعر جيد الاسلوب ، وان هناك شعراء حافظوا على اللغة العربية واساليبها ورواء الفن وجماله وصوره المبدعة وصوّر ادبهم صوراً خالدة فيها حب الفن والابداع .

وفي الختام قد كنت حاضرت عن جانب من هذا الموضوع بعنوان (التحدي الحضاري والغزو الفكري) وقد طبع في الرياض كما أنجزَت المطابع في جدة كتاباً لي بعنوان (تطور الشعر العربي الحديث جذوره الفكرية وعوامله النفسية) فيه اشياء كثيرة عن التجديد والتطور والتراث . ارجو ان يكون بين ايديكم في الدورة المقبلة ان كتب لنا ان نسعد بكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



مصادر ومراجع تفيد الباحث

١ ـ اصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي ، الدكتور محمود فهمي حجازي .
٢ ـ نظرية التراث ، الدكتور فهمي جدعان .
٣ ـ الحركة الفكرية في العراق ، يوسف عزالدين .
٤ ـ فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث ، يوسف عزالدين .
٥ ـ تراث الاسلام في طبعتين .
٦ ـ الاتجاهات الوطنية ، الدكتور محمد حسين .
٧ ـ ديوان الرصافي ، معروف عبدالغني .
٨ ـ التراث والتجديد ، الدكتور حسن حنفي .
٩ ـ النظرات ، المنفلوطي .
١٠ـ رحلة متنكر ، تأليف ميجرسون .
١١ـ ابراهيم صالح شكر ، يوسف عزالدين .
١٢ـ نشوة المدام ، أبو الثناء الالوسي .
١٣ـ مناهج الالباب ، رفاعة الطهطاوي .
١٤ـ الاشتراكية والقومية واثرهما في الادب الحديث ، يوسف عزالدين .
١٥ـ طبائع الاستبداد ، الكواكبي .
١٦ـ أم القرى ، الكواكبي .
١٧ـ تطور الشعر الحديث ، يوسف عزالدين .

التَّربيةُ عَمليّة حَضاريّة

نظرة تقويمية للأنظمة التعليمية العربية

اننا نصبح احرارا عندما نتعلم كيف نفكر

الدكتور صالح الراوي

(عضو المجمع)

ان من الصعوبة بمكان مجابهة الموضـــوع المطروح للمناقشة والوفاء بمتطلباته ومعالجة جوانبه المختلفة من دون التعرف على المفاهيم المتضمنة في عنوان الدراسة وهي :

ما مفهوم التربية ؟

ما المقصود بالعملية ؟

ما مفهوم الحضارة ؟

وما الفرق بين الحضارة والثقافة ؟

وعندئذ نحاول الاجابة على بعض الأسئلة التي تطرح نفسها وهي : كيف تكون التربية عماية حضارية ووسيلة من وسائل التغيير الاجتماعي ؟ وأي نوع منالتربية هي عملية حضارية وتغـيير اجتماعي ؟

وماهي السمات البارزة للتربية التي تصلح ان تكون عملية حضارية ؟

وهل الانظمة التعليمية العربيـــة وسيلة من وسائل التغيير الاجتمـــاعي والمواجهة الحضارية ؟ ام هي عملية نقل واقتباس لبعض الجوانب الحضارية الغربية ؟ كيف يمكن أن توظف التربية العربية للتغيير الاجتمـــاعي والنقلة الحضارية ؟ هذا ما سنحاول ان نعالجه في هذه الدراسة .

اولا ـ التعريف بالمصطلحات والمفاهيم :

١ ـ مفهوم التربية :

لقد اختلف المربّون عبر العصور التاريخية في نظرتهم الى التربية من حيث طبيعتها ووظيفتها . فمنهم من يراها عملية اعداد للحياة العامة ببساطتها ومتطلبات حرفها من خلال الاتصال المباشر بالاقران والكبار بتقليدهم ومحاكاتهم ، ومنهم من يراها عملية تلقين للمعلومات والمعارف من خلال الحفظ والاستظهار عن ظهر قلب بالتكرار والتذكر ، ومن المربين من ذهب الى ان التربية في جوهرها ماهي الا ترويض عقلي وشحذ للقابليات والملكات من خلال تعليم المواد الصعبة كالرياضيات واللغات ،وآخرون ينظرون الى التربية بأنها ترويض اجتماعي بغرس صفات الفروسية والرجولة . كما مرت التربية في عهود قديمة ووسيطة طغت عليها النزعة الى الترويض الروحي والديني من خلال تعليم المبادئ الاخلاقية وغرس القيم الروحية سواء كانت سماوية او وثنية . وقد جاء الاسلام فوفق بين متطلبات الحياة الدنيا والدار الاخرة ، فجمع بينهما بجعل هدف التربية دينية – دنيوية ودعا الى استقامة امور الدين واصلاح شؤون الدنيا تجسيداً لقوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، وتنفيذاً لقول الرسول العظيم (صلعم) « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » . وقد هاجم كثير من المربين المسلمين طريقة النقل والاعتماد على الحفظ في التعليم ودعوا الى العناية بأمر الفهم والنقاش فابن خلدون يرى ان الحوار والمناظرة يفتقان اللسان ويثبتان المعلومات ويكشفان خفيات المعاني ويوضحان دقائق المسائل (١) . وكذلك ابن سحنون الذي اكد طريقة المناظرة والمناقشة والحوار للتعلم والتعليم ، ومن المربين الثائرين على التربية التقليدية وجمودها ممن ارسوا اسس ومبادئ التربية الحديثة

(١) د. محمد المعتصم مجذوب / شخصيات تربوية ص ١٤٢ .

امثال روسو وفروبل وبستا لونزى وديوي وكلباترك فنظرتهم الى التربية بانها عملية تكيف من خلال التفاعل الحي مابين الفرد المتعلم وقدراته الكامنة ، والبيئة بمؤثراتها الطبيعية ، والاجتماعية . والتكيف المقصود يفيد معنى التغيير ، والتغيير في طبيعة الفرد نفسه بتنمية شخصيته المتكاملة جسماً وعقلاً ووجداناً وفي البيئة وعواملها الطبيعية والاجتماعية . ولعل التعريف الاخير في النظر الى التربية بأنها عملية تفاعل بين الفرد وبيئته هو مانتبناه في هذه الدراسة .

٢ ـ مفهوم العملية (Process) :

الحياة بصورة عامة وحدة متكاملة . والامور فيها لاتسير بشكل منعزل ومجزأ وكذلك حياة الانسان كنظام فرعي من الحياة الحياة — فهي الاخرى يغلب عليها التكامل والتدخل في مكوناتها فأمور الحياة ليست وحيدة العامل بل متعدد العوامل ومتنوعة الاسباب . فالتأثير والتأثر سمات بارزة في الحياة عامة وحياة الانسان خاصة . وكلما ارتقت حياة الكائن الحي تعددت الاسباب والدوافع المحركة وزادت العوامل تأثراً وتأثيراً . فالعملية هي الوسيلة او الطريقة التي يحدث بواسطتها التفاعل بين عاملين او اكثر لاحداث التغيير او التحول النوعي في طبيعة الاشياء لانتاج الشيء الجديد — كما تحدث عمليات تحويل الحديد الى صلب في الصناعة وكما تحدث عملية التغذية والتناسل والتكاثر بالنسبة للحياة الفسيولوجية للكائن الحي كذلك تحدث عمليات التربية والتثقيف والتهذيب والتطبيع بالنسبة للحياة الاجتماعية للانسان كضرورة من ضروريات الحياة ومطلب فرضته حركة التاريخ وتقدم البشرية .

٣ ـ مفهوم الحضارة :

لقد اثارت ظاهرة الحضارة — مفهوماً وطبيعة وظيفة — جدلا طويلاً لم ينقطع بين علماء الاجتماع والانثر وبولوجي الغربيين . فنشأت المدارس الفكرية المتباينة والمتصارعة في التمييز بين ظاهرتي الحضارة والمدنية . فالمدارس الالمانية

تشير الى الحضارة (Culture) بانها الاصالة الروحيــة والحقيقة الفلسفية والعاطفيــة للانسان ، والمدنية (Civilization) هي النشــاط الانســاني في غزو ميادين الطبيعة عن طريق العقل في محيط العلم والفنون الصناعية والتخطيط . . فالحضارة هي التراث المدخر المتراكم ، اما المدنية فليست الا قطاعاً من الانشاءات الاجتماعية ، وفي هذا السياق فان الحضارة تتعلق بتقاليد المجتمع الاصلية بينما تكون المدنية نظام دولة . . والمدرسة الفرنسية تصطنع كلمة (Civilization) للحضارة بدل كلمــة (Culture) التي تعنى الثقافة . وتأثرت المدرسة الانجلو سكسونية بذلك فقد فرق ماك ايفر (Mac Ever) بين الحضارة والمدنية بهذه العبارة : الحضارة هي مانحن (Culture is what we are) والمدنية فهي مانستعمل (civilization is what we use) (٢) .

اما المدرسة الامريكية فهي الاخرى تميز بين ظاهرتي الحضارة (Culture) والمدنيــة (Civilization) فبينما تشمل الحضارة النواحي المــادية وغير المادية من معنوية وفكرية وادبية للنشاط الانســاني ، على النواحي المادية في مجال العلم والتكنولوجيا .

ويبدو ان اللغة العربية لاتواجه مثل هذا اللبس في التمييز بين الحضارة والثقافة ، فالحضارة كما يعرفها الدكتور محيي الدين صابر « هي نظام كلي وشمولي للقيم والمعارف والخبرات ، وان المدنية هي جزء من الحضارة تنشأ في رحابها وتتكيف معها وتتبادل معها التأثير والتأثر » (٣) . فمفهوم الحضارة يتصل بمفهوم الثقافة اتصالاً وثيقاً ، غير انه – يكون بطبيعته – اوسع نطاقا منه واكثر شمولا ، لان الثقافة تنحصر بالامور الذهنية والمعنوية وحدها ، في

(٢) د. محيي الدين صابر / الابعاد الحضارية لاستراتيجية العمل العربي المشترك ، ص ٢ .

(٣) د. محيي الدين صابر – نفس المصدر ، ص ٣ .

حين ان الحضارة تشمل الامور المادية والوسائل المادية ايضاً . . . هذا والحضارة تتمثل بأحسن الصور واجلاها في العلوم والصنائع بوجه عام واما الثقافة فتظهر بأجلى مظاهرها في اللغات والاداب بوجه خاص ، ولهذا السبب نجد ان الحضارة تكون بطبيعتها قابلة للانتقال من امة الى اخرى بسهولة وقابلة للانتشار بين الامم بسرعة ، واما الثقافة فتبقى صفة خاصة بكل امة على حدة ، وان اثرت ثقافات الامم المختلفة بعضها في بعض قليلاً او كثيرا (٤) .

ثانيا – انماط المؤسسات التربوية :

لعل من نافلة القول ان نؤكد بأن اختلاف الانسان عن الحيوانات اللبونة الاخرى هو في الدرجة لا في النوع ، الا ان مايميز الانسان عما سواه من الحيوانات هو « العقل والقدرة على التفكير » فالحيوانات عموماً تولد وهي مزودة بالفطرة بقدرات غريزية وراثية لتلبية حاجاتها الطبيعية والبيولوجية مما يؤهلها للعيش والتكيف للبيئة الطبيعية المحيطة بها . اما الانسان ذلك الكيان المعقد فهو الاخر يولد مزوداً بالفطرة بقدرات وراثية جسدية وعقلية الا ان هذه الموروثات البيولوجية لا تؤهله للعيش والتوافق الاصيل مع البيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة به من دون التدخلات البيئية في العوامل الوراثية لتنميتها وتفتيح قدراتها ، وهنا يأتي دور التربية في بناء الشخصية وتكوين انسانية الفرد . فالشخصية للانسان كما عبر عنها « البورت » هي الانتظام الديناميكي في الفرد للاجهزة النفسية والفسيولوجية والتي يحدد توافقاته الاصلية مع بيئته . . . وصياغة بنية الشخصية ماهي إلا حصيلة معقدة لنتاج تفاعل شيئين أساسيين هما العوامل الوراثية – البيولوجية والعوامل البيئية الطبيعية والاجتماعية في ضرب الوراثة مع البيئة والفطرة بالاكتساب والنضج بالتعلم . فالانسان يبقى حيواناً بهيماً وكائناً همجياً غير قادر على التكيف لمسايرة الحياة والاستمرار

(٤) ابو خلدون ساطع الحصري « آراء واحاديث في العلم والاخلاق والثقافة » ص ٤٢ .

في العيش من دون التدخلات البيئية – الاجتماعية والثقافية التي يكون قوامها التربيــة ، وكذلك المجتمعات البشرية ، تبقى بدائية وهمجية ولايمكن ان تقوم الا بالتربية لنقل التراث الاجتماعي حفاظاً عليه وتجديدا له . . وقد ذهب الامام الغزالي الى القول بانه لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم لانهم يخرجون الناس بالتعليم من الهمجية الى حــد الانسانية . . . ولان التربيــة عملية ينتقل بها الانسان من الهمجية الى المدنية . . . ولأن الأطفــال لايولدون بشراً بل يصيرون بشراً بفضل التربية . . .

وقــد وضــع المربيان الامريكيان ثورندياك (Thorndike) وجيتس (Gates) هذه الفكرة في قالب خيالي قائلين « لو انتقــل سكان الكرة الارضية الى المريخ ، تاركين وراءهم الاطفال الصغار ثم عادوا اليهم بعد عشرين عاماً لوجدوهم قطيعاً من البهائم »(٥) .

والعوامل التربوية في البيئة المؤثرة في تكوين الشخصية وتنشئة الفرد متعددة ومتنوعة ، تحددها طبيعة المجتمع البشري من حيث البساطة والتعقيد وهذه العوامل التربوية يمكن ان تنطوى تحت اطار ثلاجة انماط من التربية هي التربية النظامية (Formal) والتربية غير النظامية (Non - Formal) والتربية اللانظامية (gn - Formal) .

ان مناقشة كل انماط العوامل التربوية من نظامية وغير نظامية ولا نظامية ودراسة تأثيرها في تكوين الشخصية وبناء المجتمعات البشرية وصنع الحياة الحضارية يتطلب وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً ليس في وسع هذه الورقة تناولها لذا سنقتصر على مناقشة التربية النظامية المقصودة المتمثلة في المدرسة كعملية حضارية وكيف نشأت ؟

---

(٥) جورج شهلا « الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية » ص ٢٣ .

ثالثا ـ التربية النظامية ـ ضرورتها وموقعها في المجتمع :

كان الانسان القديم يعيش عيشة بدائية بسيطة في مجتمع بدائي بسيط وكان الاهل والاقارب والقبيلة هم مصادر التربية فيتعلم الفرد من الاقران والكبار بالتقليد والمحاكاة لفنون الحياة واصولها ومتطلباتها المحدودة ليكيف نفسه للبيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها . ولما تعقدت الحياة وكثرت متطلباتها بفضل التقدم العلمي والتقني والحركات الاجتماعية والثورات السياسية ولم تعد الاسرة والقبيلة قادرة على تحمل مسؤولية تربية الفرد في مساعدته على التكيف والنمو المتوازن مع ميراثه الاجتماعي وبيئته الطبيعية ، وهكذا نشأت المدارس ووجدت ضرورة فردية ، واجتماعية ونقلة حضارية .

ويرى الاستاذ جورج شهلا (٦) ان الفرد يحتاج الى التربية لاسباب جوهرية ثلاثة هي :

١ ـ لان العلم لاينتقل من جيل الى جيل بالوراثة . . والحضارة ليست ميراثا بيولوجيا .

٢ ـ لان الطفل مخلـوق كثير الاتكال قابل للتكيف ، ولعل السبب في ضعفه واتكاليته انه يولد قبل ان يتم نضجه وتكمل قدرته على مجابهة الحياة .

٣ـ لان البيئة البشرية كثيرة التعقيد والتبديل في جميع نواحيها المادية والاجتماعية والروحية وقد طبعت بطابع الحضارة وان العلم في تطور مستمر وسريع بسبب التقدم العلمي .

والمجتمع ايضاً بحاجة الى التربية لانها تساعده على سد حاجتين من حاجاته الاساسية هما :

(٦) جورج شهلا / المصدر السابق / ص ٢١ ـ ٢٦ .

– الاحتفاظ بالتراث الثقافي ونقل الثروة الثقافية من جيل الى جيل بربط الحاضر بالماضي ، ولولا هذا الحفظ للتراث لعاد المجتمع الى همجيته وبداوته .
– تعزيز التراث الثقافي وتجديده بربط الحاضر بآفاق المستقبل لمساعدة الفرد على تكيف نفسه وفقاً لعالم الغد والاستعداد لحياته الفضلى .

فاذا صح أن التربية النظامية اصبحت ضرورة فردية لنقل الفرد من حالة الهمجية الى حالة الانسانية ومطلباً اجتماعيا ونقل المجتمع من الحالة البدائية البسيطة الى الحالة التقدمية المعقدة نكون غير مغالين اذا ما جعلنا معيار نهضة الامم وتقدم الشعوب والحكم على مستوى تحضرها يقاس بمقدار تقدم التربية كما ونوعا لان التربية في الاساس صناعة الحياة وبناء الحضارة نقلاً وتعزيزاً وتطوراً وخلقاً . ويذهب ابن خلدون الى ان التعليم وهو واجهة التربية المقصودة ووسيلتها الرئيسية اصبح صناعة ، وازدهار التربية ورقيها يتوقف على العمران والحضارة (٧) فاذا كانت التربية صانعة الحضارة فالحضارة والعمران صانعة التربية والتعليم والتفاعل بينهما عضوياً أثراً و أثيراً ويسترسل ابن خلدون فيقول بأن التخلف العمراني والتأخر الحضاري يسببان ضعف العلم وتدهوره ويؤديان الى سوء حالة التعليم وربما نشأ عنهما تلاشيه . فالتربية والتغير الحضاري جانبان مترابطان ومتفاعلان وهما وجهان لعملة واحدة هي الحياة ووحدتها . فالتغيير الحضارى والاجتماعي لايمكن ان يستمر سواء اكان سطحياً او جذرياً ثورياً . . الا اذا عبر عن نفسه في تصرفات الناس ونظراتهم واهدافهم . والتربية هي الطريق (المضمون) لاستمراره ونموه وزيادته . والنهوض بالكيان الاجتماعي واحداث التغير الحضارى يهيئ بدوره الاجواء الاجتماعية التي تتوافر فيها العدالة والمساواة والمشاركة الايجابية مما يتيح للافراد الفرص المتكافئة الفعالة للانتماء الى مؤسسات التعليم لتنمية قدراتهم وتفجير طاقاتهم لخلق المجتمع المعلم المتعلم . وكلما

(٧) د. محمد المعتصم مجذوب / المصدر السابق ص ١٤٠ .

زادت سرعة التغير الحضارى اشتدت الحاجة الى التجاوب والتفاعل بين التربية والتغيير . اذ تصبح مسؤولية التربية المشاركة في تكوين افكار التغيير الاجتماعي وابرازها . . والبحث عن العمليات والاساليب التي تضمن تنفيذها وتحويلها الى اهداف تربوية وانماط سلوكية مواجهة (٨) .

وكلما بطؤت حركة التغير الحضارى واتجه المجتمع للمحافظة على الوضع القائم والقيم السائدة استجابت المدرسة وجسدت هذه المطالبة في اهدافها حيث تصبح وظيفة التربية المشاركة في الحفاظ على القيم السائدة والتراث الثقافي والدفاع عن النظام السياسي وتدعيم أركان البنى الاجتماعية .

والتجاوب والتفاعل بل التأثر والتأثير بين عوامل التغير والتربية — كما عبر عنه الدكتور محمد هادي عفيفي . (٩) يحدثان في صورة دائرية مستمرة متصلة فاذا كان التغير الاجتماعي سريعاً استجابت المدرسة له وجسدته في اهدافها وبرامجها ، واذا كان بطيئاً انعكس على البرامج التربوية وعملياتها . ويحدد تأثيرها محافظة او تغييراً بسيطاً أو تغييراً جذرياً للمجتمع نوعيةالسلطة السياسية وطبيعة النظام الاجتماعي الموجودة فيه . فكيفما تكن السلطة السياسية ونظامها الاجتماعي تكن الفلسفة التربوية وبالتالي تكون المدرسة — اهدافاً ومحتوى وبرامج وطرقاً. فاذا كان النظام الاجتماعي والسياسي رجعياً محافظاً أوتقراطيا نجد ان المدرسة تعكس خصائصه الرئيسية في المحافظة والنقل ومحاربة الجديد والابداع . . وغيرها . أما اذا كان النظام السياسي تقدمياً شعبياً فنجد على العكس المدرسة تقود حركة التقدم وتشارك في عمليات التجديد والابداع والتحول الاجتماعي لانها المختبر الذي تتحول فيه الافكار والمفاهيم الى واقع وسلوك .

---

(٨) د. محمد هادي عفيفي / التربية والتغير الثقافي / ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

(٩) راجع د. محمد هادي عفيفي / المصدر السابق .

فالتغير يبدأ بالانسان وسيلة ومادة وينتهي بالانسان هدفاً ورسالة . ومادة التربية ووسيلتها في التغير الحضاري ، الانسان الفرد ، وغاية التغير الحضارى هو الانسان الثروة والثورة ، فهو الوسيلة وهو الغاية . والسؤال الذي يطرح نفسه هل كل انواع التربية وانظمتها التعليمية عمليات حضارية تؤدي الى التغيير الاجتماعي والتحول النوعي في العلاقات البشرية لتحقيق سعادة الانسان وتقدم المجتمع ؟ ان الجواب يكون بالايجاب . اذا نظرنا نظرة نسبية الى الغيير واعتبرنا ان المحافظة على التراث والالتزام بنقل التراكمات الحضارية لايخلو من تغيير لان التغيير سنة الحياة وناموسها . اما اذا نظرنا نظرة علمية ووضعنا معايير للحكم على نوعية التربية التي هدفها التغيير الاجتماعي والبناء الحضارى – اضافة وانماء – فالجواب يكون بالنفي ، مما يستوجب وضع معايير وسمات للحكم على التربية المدرسية التي تصنع الحضارة وتستهدف التغيير الاجتماعي ، وهذا مايجب ان نأخذبه للتمييز بين نوعيات التربية وانماطها .

رابعا – السمات الحضارية للتربية :

ان اضفاء السمات الحضارية على العملية التربوية تعنى في جوهرها مدى مساهمة التربية في التغيير الاجتماعي والبناء الحضاري . ولقد تبين لنا من خلال دراسة الجذور الأريخية للتربية ومسيرتها الطويلة ومن خلال استقراء واقع الانظمة التعليمية القائمة في العالم انه ليس هناك اتفاق في وجهات النظر على السمات الحضارية البارزة للتربية التي يؤدي مردودها ونتائجها الى التغيير الاجتماعي والبناء الحضاري . فهناك من يؤكد من التربويين على ضرورة اعتماد التربية على فلسفة تربوية فردية قوامها المتعلم الفرد كقيمة عليا وكرامة الانسان كهدف سام . وهناك من يؤكد الفلسفة التربوية الاجتماعية التي قوامها الافراد كمجموعة ومجتمعات ، وباعتقادنا ان ازمة التربية تكمن في كيفية التوفيق بين تحقيق الطموحات الفردية وتنمية الميول الخاصة للافراد والاهداف الاجتماعية والمصلحة العامة .

وبصفة أخرى : كيفية تنمية القدرات الفردية وتحقيق شخصية الفرد المتكاملة في اطار اجتماعي وسياق عام بحيث يكون الفرد وسيلة التربية وهدفها وكذلك يكون المجتمع هدف التربية ووسيلتها بتحقيق مصلحة المجتمع من دون التضحية بمصلحة الفرد وعلى حسابه . فجوهر المشكلة الذي أدى الى وقوع التربية بأزمات حادة ومآزق حرجة في الماضي والوقت الحاضر ، يكاد يقلل من شأنها في عملية التغيير واهميتها في التأثير على مصائر الافراد ومستقبل المجتمعات والشعوب ، هو في عملية التوفيق بين هدف الفرد واهداف المجتمع ، بتجنب طغيان دكتاتورية الفرد وانانيته وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة وطغيان المجتمع ودكتاتورية النظام الاجتماعي على شخصية الفرد وذوبانها في المجتمع .

ان هذا التحليل يدعونا الى التأكيد على سمتين بارزتين للتربية التي تؤدي الى تغيير اجتماعي وانماء حضاري يستهدف سعادة الفرد وخير المجتمعات كافة والبشرية جمعاء هما :

١ ـ الذاتيــة :

الانسان اغلى رأسمال في الوجود فهو خليفة الله في أرضه وهو الذي كرّمه الله وفضّله على العالمين فخلقه في احسن تقويم وسخر له الكون وما فيه . فلا غرابة ان تكون اهم سمة حضارية للعملية التربوية التأكيد على تحقيق ذاتية الانسان واصالة الفرد بتنمية قدراته الموروثة وتفجير طاقاته الخلاقة وتكوين شخصيته المتكاملة جسماً وعقلاً ووجدانا . فالانسان ـ الفرد وذاتيته الاصلية ـ هو هدف التربية السامي وهو وسيلتها واداتها، فهو ركن الحضارة الاساسي وعمادها القويم فبدون تنمية مواهبه المبدعة ورعاية انتاجه الخلاق لاتكون حضارة ولا يكون تقدم للشعوب والبشرية .

٢ ـ الاجتماعية :

ذاتية الانسان وتكوين شخصيته المتكاملة لايتحقق في فراغ بل في بيئة اجتماعية هي المجتمع بجذوره الأريخية ومشاكله المعاصرة وتطلعاته المستقبلية وعليه فان اهم سمة حضارية اخرى ملازمة للاصالة الفردية وتحقيق الذاتية هي اجتماعية التربية . فأي تربية لاتكون اجتماعية في مفهومها واهدافها لايمكن ان تكون ذات خصائص حضارية . فالحضارة هي المجتمع وانتاجاته المبدعة بكل جوانبها المادية والفكرية والادبية والخلقية . فالمجتمع هو مادة التربية ومحتواها الذي تعمل في اطاره وضمن حدوده « فالتربية لاتنهض بمهماتها الحضارية الا بالجمع بين تنشئة الانسان وتنمية مجتمعه وتقدمه . ودلالة التقدم للانسان والمجتمع انما تكمن في الحضارة ، وللحضارة جوانب تتعلق بالامة ، وجوانب تتعلق بالانسانية فهي ذات خصائص قومية وذات انسانية ، لابد من تلاحمها . وشمولها وتكاملها . تنطلق من الانسان حتى تبلغ الانسانية جميعها وتستعرض بين هذين القطبين حالات حضارية متتابعة تشمل الايمان والعلم والوطنية والقومية والتنمية والعمل والقوة ، و الاصالة والتجديد والتربية مدى الحياة » (١٠) . ولما كانت التربية نظاما فرعيا Sub - System يعمل في اطار نظـام اجتماعي كلي System ويؤثر عليه سلبا وايجابا لذا السؤال الذي يطرح نفسه ما هي الاجواء التي تتطلبها التربية من النظام الاجتماعي وآمال المجتمع » . ان الجو المناسب والمطلوب للتربية لكي تساهم في تحقيق الهدف الفرعي والهدف الاجتماعي والتأكيد على ذاتية الفرد واجتماعيته هو جو الديمقراطية بشقيها المتلازمين

---

(١٠) د. عبدالعزيز البسام « الاهداف التربوية في القطر العراقي في ضوء معطيات قادسية صدام المجيدة » .
الوقائع الكاملة للندوة العلميـة المنعقدة في بـغداد ٢٦ـ٢٧ شـباط .
مديرية التوثيق والدراسات / بغداد عدد ١٩٨٣/١٧٩ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

الديمقراطية السياسية المتمثلة بالحرية ، والديمقراطية الاجتماعية المتمثلة بالعدالة الاجتماعية ـ الاشتراكية ـ والتأكيد على الديمقراطية السياسية ومبدأ الحرية الفردية يبرز في أنظمة مجموعة الدول الرأسمالية والتي تتبنى النظام الاقتصادي الحر ، اما دول المنظومة الاشتراكية فيغلب عليها طابع الديمقراطية الاجتماعية ومبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية في اطار ديكتاتورية النظام السياسي والحزب الحاكم .

خامسا ـ نظرة تقويمية للأنظمة التعليمية العربية :

اذا كانت اهم السمات البارزة في الانظمة التعليمية التي تساهم في التغيير الاجتماعي والبناء الحضاري هما : سمة الذاتية في تكوين الشخصية الاصيلة المتكاملة جسما وعقلاً ووجدانا ، وسمة الاجتماعية في المساهمة في تحقيق اهداف المجتمع وحل مشاكله ، فالسؤال الذي تطرحه الورقة هو : اين تقع الانظمة التعليمية العربية من هاتين السمتين الحضاريتين المتكاملتين ؟

لعلنا لانجافي الحقيقة ولا نظلم الانظمة التعليمية العربية القائمة ، على الرغم مما اصابها في عهود الحكم الوطني من اصلاحات وتحسينات تجديداً في نوعها وتجويداًفي كيفها ونموا ملحوظا في كمها ، اذا مانفينا عنها هاتين السمتين الحضاريتين فلقد حل محل تحقيق ذاتية المتعلم الاصيلة العقلانية المتكاملة الشخصية ـ الفردية والانانية « الشعور بالأنا » والاتكالية والانغلاق ، وحل محل تحقيق الاجتماعية والاهداف القومية والتنموية ، القطرية بتكريس التجزئة وترسيخ السلطة والولاء لأنظمتها . فالأنظمة التعليمية العربية ليست انظمة غربية يغلب عليها الطابع الفردي المؤكد على الديمقراطية السياسية المتمثلة بالحرية وليست شرقية يغلب عليها الطابع الاجتماعي المؤكد على الديمقراطية الاجتماعية المتمثلة في المساواة والعدالة ، انها في واقع الامر ـ في مجملها ـ ماتزال تتأرجح من حيث المبدأ والتطبيق بين هذين النمطين من الأنظمة التعليمية العالمية العملاقة .

نظام المجموعة الرأسمالية ونظام المجموعة الاشتراكية تتأثر بعضها بهذا وبعضها بذلك نقلاً واقتباساً يعوزه التطبيع والتكيف ، والاصالة والتأصيل ، والمعاصرة والتحديث مما أدى الى تشويه المفاهيم والمبادىء والانجازات الانسانية التي أتت بها الحضارة المعاصرة لتحديث المجتمعات وتقدمها :

وقد تجسد هذا التشويه في الممارسات والتطبيقات التربوية ، « فالانفصام واضح بين ما هو مكتوب وبين ما يمارس . . فيُعلم الابتكار بوسائل غير ابتكارية والعلم بوسائل غير علمية والوحدة والتنمية بوسائل لاتمت بعلاقة الى هذه الأهداف . . ويؤكد ظاهرة الانفصام بين القول والعمل ما توصل اليه احد اساتذة التربية في عين شمس بقوله : « ليست هناك مبالغة في القول بأنه يصعب ان نجد علاقة واضحة بين ما هو مكتوب في شأن اهداف التعليم في مصر وما يمارس في المدرسة . . فتقع ممارستنا التربوية في خطأ تدريس الابتكار بوسائل غير ابتكارية » (١١) .

« ان الأنظمة التعليمية في الدول العربية اصبحت آلات ميكانيكية ضخمة أو مصانع ضخمة تتلقف الناشئة كما تتلقف المصانع المواد الخام (المدخلات) فتخضعهم لعمليات نسميها تعليما لفترة من السنوات تطول او تقصر ثم تقذف بهم الى الخارج (مخرجات) . . لكن المشكلة الأم ، هي ان الشروط التي تحكم دخولهم وخروجهم والشروط التي تحكم ما يحدث لهم في الداخل والشروط التي تسير العملية التعليمية . . جميعها تتغافل عن شخصية الانسان كمتعلم وكمعلم وكاداري وتربط بين هؤلاء بأربطة هي اقرب الى ما يربط العمال بالمادة الخام والرؤساء بالمرؤوسين . . وقد أدت سيطرة الأجهزة والقوانين

---

(١١) منير بشور « اتجاهات في التربية العربية » المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وحدة البحوث التربوية ، تونس ١٩٨٢ / ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

والشروط التي تحكم مسيرة التعليم الى تقلص في الحوافز الشخصية للعمل المبدع وتقلصت معها مشاعر الرضا والاكتفاء التي تنبع من داخل العمل التربوي . وتقلصت الجرأة على اتخاذ القرارات وتحمل المسؤولية ، وتقلصت هوامش الحرية وازداد الاتكال على الدولة والانصياغ لها (١٢) .

يتبين لنا من تحليل واقع الانظمة التعليمية العربية في مجملها انها تجابه مشكلتين حادتين هما : سيطرة الأجهزة والقوانين التي تحكم المسيرة التربوية والانفصام بين النظرية والتطبيق في العملية التربوية . وقد أدت هاتان الظاهرتان الى قصور التربية العربية في تحمل مسؤوليتها التأريخية في تحقيق رسالتها على مستوى الاهداف العامة واهداف المراحل الدراسية وأهداف المواد التعليمية والي تبنتها الدول العربية وصاغتها صياغة واضحة في ضوء استراتيجية تطوير التربية ومبادئها في الديمقراطية بشقيها السياسي المتمثل بالحرية ، والاجتماعي المتمثل بالعدالة والمساواة بالاضافة الى التأكيد على كرامة الانسان واهداف المجتمع في اطار الوطنية والقومية والانسانية التنمية الشاملة والتوفيق بين الاصالة والمعاصرة ، والعلم والعمل والايمان والتربية للقوة للبناء والتربية المستمرة .

ولعل اهم الأسباب التي ادت الى هذا التقصير بل العجز في مساهمة التربية في تحقيق اهدافها الكبرى هو ان تحقيق هذه الأهداف ليست مسؤولية التربية وحدها ، بل هي مسؤولية النظام السياسي والاجهزة الثقافية العاملة في فلكه ، والتربية في واقع الامر ليست الا نظاماً فرعياً وجهازاً ثقافياً تابعاً للنظام السياسي ومسخراً لخدمته والولاء له بترسيخ قيمه واهدافه القطرية ممارسة وتطبيقاً في العملية التربوية الميدانية في المدرسة والصف .

والسؤال الذي يطرح نفسه ولعل في الاجابة عنه تلخيصاً لما جاءت به الورقة : كيف الخروج من هذه الأزمة ؟ وكيف يمكن توظيف التربية

(١٢) منير بشور ــ المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

واستثمار العملية التربوية في اطار واقع البنى الاجتماعي والأنظمة السياسية القائمة في البلاد العربية لتساهم في التغيير الاجتماعي والبنـــاء الحضاري ؟ مع الاحتفاظ والتسليم بصحة الاهداف العامة للتربية وتبنّي استراتيجية التغيير الجذري للانظمة التعليمية العربية ، ومن اجل ان لانبقى مثاليين نعيش عالم التصورات والتنظير على اهميته ، ونشغل انفسنا في الاستراتيجيات ووضع الخطط وصياغة الأهداف التي فرغنا منها ، ومن اجل ان لانتهم بالانهزامية من الواقع والاقتصار على النقد والتحليل والتذرع بالتبريرات والاسقاطات التي تشل العمل وتعطل المسيرة ، نعتقد ان النزول الى الواقع الميداني في تبنى استراتيجية الممكن للتجويد والتجديد باصلاح العملية التربوية في الميدان والتركيز على عناصرها الاساسية ــ معلما ومتعلما ــ لتحقيق التعليم الجيد ضمان أكيد للمساهمة في تحقيق الاهداف الفردية والأهداف الاجتماعية التي هي اهداف التربية ورسالتها الأساسية .

ان الأخذ باستراتجية الكيف لتحقيق التعليم الجيد باصلاح العملية التربوية في الميدان لايقع في فراغ بل له شروطه ومتطلباته . ولعل اهم هذه الشروط : هو الثقة بالمتعلم والايمان بقدراته على التعلم والخلق والابداع واتخاذ القرارات وحل المشكلات بتحكيم التفكير التحليلي والحوار والنقاش البناء ــ أخذاً وعطاءً ــ

وهذا الشرط لايمكن الوفاء بحقه وتوظيفه في خدمة العملية التربوية اذا لم يتوفر لدى المعلم وادارة المدرسة قسط من الحرية في اتخاذ القرارات والحكم في الاختيار .

نستخلص من هذا العرض بان الأزمة التي تواجة التربية العربية والعملية التربوية تجويداً وتجديداً هو أزمة الحرية في الاختيار والاحتكام الى العقل (١٣) .

(١٣) راجع منير بشور ، المصدر السابق ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ .

وبذلك تكون المدرسة العربية ليست مصنعا ضخماً ولا آلات ميكانيكية صماء بدون حياة بل مختبراً حياتياً تتفاعل فيه الافكار وتتحاور العقول وتتزاوج فيه النفوس وتتكامل فيه الشخصيات وتنضج عقلا وجسما ووجدانا .

وعندئذ ترتقي المدرسة العربية الى مستوى المشاركة الفعالة في التغيير الاجتماعي والبناء الحضاري فتكتسي العملية التربوية السمات الحضارية في تحقيق ذاتية الفرد واهداف المجتمع لانها لم تعد معملا جامداً بل مختبراً بشريا حيا لخلق الانسان العربي الجديد في تحقيق ذاته والمؤهل للمساهمة في بناء اهداف المجتمع العربي في الوحدة القومية والتنمية الشاملة . فليكن شعارنا قولا وعملا ، الحرية اولا ومنها نبدأ لضمان تربية سليمة لتحقيق حياة كريمة للانسان العربي والمجتمع العربي ، فليس بالخبز وحده يحيا الانسان ويعيش . وطريق الف ميل يبدأ بالخطوة الأولى . والحرية المقيدة بروح المسؤولية هي الخطوة الاولى في طريق معالجة الأزمات والخروج من المآزق التي يجابهها الانسان العربي والمجتمع العربي في التربية والسياسة وغيرها .



قضية التذكير والتأنيث في العربية

مع تحقيق كتاب « المذكر والمؤنث » لابن جني

الدكتور طارق عبد عون الجنابي
كلية التربية – جامعة الموصل

شغلت مشكلة التذكير والتأنيث حيزاً عريضاً من اهتمام اللغويين والنحاة العرب وهم ينظرون في المادة اللغوية التي ملأ بها أو اوهم الواحهم وقراطيسهم، حيث أمضوا في البوادي عمراً طويلاً، او ما تلقفوه من افواه الأعراب الوافدين على البلدان .

واذ استقام عندهم قدر صالح ، نظروا فيه نظراً وصفياً يعتمد على التصنيف اللغوي، ومن ثمة ظهرت الكتب والرسائل التي بُنيت على الظواهر والموضوعات اللغويّة ، وكان الذي يلقى مزيداً من اهتمامهم هو ماكان له صلة مباشرة بحياتهم اليوميّة ، او كان يتّصل بمحسوساتهم ، وشؤونهم الخاصّة والعامّة فكانت كتب : الخيل ، واللِبَأ واللبن ، والمطر والسحاب ، وخلق الفرس وخلق الانسان وسواها ثم كانت كتب المقصور والممدود ، والأضداد ، والابدال ، والتذكير والتأنيث .

ولعلّ أخطرها شأناً ، واعقدها مشكلة هي ظاهرة التذكير والتأنيث ، اذ تكاد هذه الظاهرة تتفشّى في النحو والصرف والصوت والدلالة ، ويعرض لها مايعرض لأبواب اللغة من مشكلات ، وهكذا درسها النحويّون كما درسها اللغويّون ، وعانى أولئك منها كما عانى هؤلاء ، ولو ان اللغويين وقفوا عند

الوصف دون الخوض فيما وراء الظاهرة الكبرى والظواهر الصغيرة ، كما صنع اكثر اللغويين كالفرّاء والمفضّل بن سلمة والمبرّد واحمد بن فارس وابن جني وابي البركات الانباري ، ومن كان في قبيلهم .

اقول : لو فعل اللغويّون الاوائل الذين صنّفوا فيها خاصة ابا حاتم السجستاني وابا بكر بن الانباري فعل هؤلاء ، لصح حقّاً ما ذكراه في مقدّمتي كتابيهما عن الدافع الذي حدا بهما الى وضع الكتابين ، وهو درء اللحن عن اللغة وتقويم الألسنة بعد التواء .

قال ابو حاتم : « الفصاحة زينة ومروءة ، ترفع الخامل وتزيد النبيه نباهة ، ويقال : المرء مخبوء تحت لسانه ، يعني : اذا نطق فأحسن وافصح عظم في العيون . ان كان رثّ الهيأة نقتحم العين مرآته ، وان أنّثَ المذكر او ذكّر المؤنث ، وجعل الضّاد ظاء او الظاء ضادا اقتحمته العين وان كان بهيّ المنظر والملبس . . .

وأول الفصاحة معرفة التأنيث والتذكير في الاسماء والافعال والنعت قياساً وحِكاية ، ومعرفة التأنيث والتذكير الزم من معرفة الاعراب . . .

واماّ تأنيث المذكر وتذكير المؤنث فمن العُجْمة عند من يُعرِب ، ومن لايُعرِب . . . » (١) .

وقال أبو بكر بن الانباريّ :

« إنّ من تمام معرفة النحو والاعراب معرفة المذكر والمؤنث ، لانّ من ذكّر مؤنّثاً او أنّث مذكراً كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً ، أو خفض منصوباً او نصب مخفوضاً . . . » (٢) .

غير انّ ابا حاتم وابن الانباريّ لم يكتفيا بوصف الظاهرة ، وانما

(١) المذكر والمؤنث ق ٩٦ .
(٢) المذكر والمؤنث ص ٨٧ .

استطرادا الى كلّ مايتصل بها من نواحي الاعراب ، والتصريف ، واللغات . بتفصيل كان مردّه الى خضوعها لمناهج النحاة العرب ومقاييسهم في الدرس النحويّ فقيّدا الفصاحة والفصحاء ، فقبلا لغات ، وانكرا لغات ، واكثرا من الشواهد وغاليا – احياناً – في التعليل والأويل والتخريج ، واطمأنّا الى السماع تارة واكثر من القياس اخرى ، وحصل في شيءٍ ممّا ذكراه تعارض في النقل ، وتعارض في الاحتجـــاج ، مع تفاوت بينهما ، وان كان ذلك كلّه ينمّ على علم غزير واحاطة ، واستيعاب .

وقد ذرّ الخلاف المذهبي قرنه خلل الدرس اللغوي عندهما ، فنجد أبا حاتم البصريّ لاينقل عن كوفيّ البتة ، ونجد ابن الانباريّ الكوفيّ ينقل عن البصريين كثيراً . بإنكار مرة ، وبإفادة مراراً .

ومهما يكن من أمر ، فان الكتابين قد خاضا فيما خاض فيه النحويون المولعون بوجوه القول ، وخرجا عن حدود تقويم الألسنة وعن حدود كونهما كتابين تعليميّين الى ان يصبحا كتابين علميّين فيهما من أمارات البحث اللغويّ : منهجاً وتفصيلاً وإحاطة ماجعلهما مصدرين من مصادر الدرس وأصوله الأولى .

ومن هنا ، وجدت ، وانا أستقري كتابيهما أنّ مسألة التذكير والتأنيث واسعة لاتقبل ضيق الحدود ، فقد اختلفت القبائل في تذكير الاشياء و أنيثها واختلفت تبعاً لذلك نظرات اللغويين مشدودين الى مناهج الدرس التي سلكوها وحاولوا اخضاع اللغة لقوالبهم ، واجتهاداتهم . غير ان المنطق اللغويّ مايزال يتمرّد على تلك القوالب ، ولايريد الوقوع في إسارها .

وحين تجبهنا مشكلات التذكير والتأنيث نجد اخطرها شأناً :

أولاً : مايسمّيه اللغويون بالمؤنثات السماعية ، أي المجازية التأنيث ، لانّها

ليست من المؤنث الحقيقي فيما اصطلح عليه اللغويون (٣) ، ولا مما تلحقه علامة فارقة للأنيث ، وقد تباين موقف اللغات المنسوبة الى القبائل منها ، اخذاً بوجه او إجازة لوجهين ، وراح اللغويون يفسرون ، او يميلون ، على ماقعّدوا من قواعد واصّلوا من أصول ، الى هذا الوجه أو ذاك ، وكلٌ في منطق اللغة صحيح مقبول ، وكلٌ مافي الامر أنه يمثل مرحلة ما زال قيد التطور ، إذ كان المذكر لفظ خاص ، وللمؤنث لفظ خاص آخر ، ثم لمّا كانت ثمة اسماء كثيرة لاتحتمل الجنسية لبست لبوساً واحداً ، وكان لها لفظ واحد لم تلحقه علامة تأنيث ، لانه ليس من الضرورة لها ، وليس لها من الذكور مايقابلها ، فلا لبس اذن ولا إبهام ، يؤيد ذلك أن اللغويين انفسهم وقفوا موقفاً واضحاً من الأوصاف الخاصة بالإناث ، فأفتوا بأن تجردها من التاء كان لأمن اللبس .

ثانياً : وخاض اللغويون ، وما يزالون يخوضون في علامة التأنيث خاصة التاء فقال قائل منهم : هي (هاء) ، وقال آخر هي (تاء) ، فأما الاول فبنى مقالته على الوقف ، واما الثاني فبناها على الدرج ، وتردّد بعض فسماها مرة تاء ، واخرى هاء مترجحاً بين الوجهين ، وان كان الى انها تاء اميل ، وفيه امران :

أ . إن اعتبار الدرج أولى . لأنه الأصل ، وان كان استاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي يسميها (هاء) . ولا يجعلها هي العلامة بل هاء السكت تلت العلامة الأساسية . وهي الفتحة . ومن الفتحة ولدت العلامتان الأخريان الألف المقصورة والألف الممدودة .

ب . وإن استقراء اللغات السامية يثبت بما لايقبل مناقشة أن التاء او (ات) هي العلامة الفارقة اللاحقة الدالة على التأنيث . يدل على ذلك أن لغة

(٣) ينظر : البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لابي البركات الانباري ٦٣ .
(٤) في التذكير والتأنيث ٩ ، ومجلة المورد م ٩ / ج ١ .
(٥) ينظر : ابو بكر بن الانباري اللغوي النحوي ٢٧٢ - ٢٨٤ .

اليمن تقف على التاء مطلقاً ، ومنه ماجاء في القرآن ورسم المصحف الشريف (٦) .
والى هذا ذهب ابو علي الفارسي (٧) ، وتابعه ابن الدهان بحماسة ظاهرة وهو يرد على ابن جني قوله في اللمع : (٨) إن الهاء للتأنيث . قال ابن الدهان : « ويدلك على ان التاء للتأنيث كونها في الفعل والحرف تاء من قولك : قامتْ ، وربّتْ ، وأنها في الوصل تاء لاغير (٩)

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين ، وهو يردّ على الدكتور السامرّائي الى انكار ان تكون الهاء او التاء علامة على التأنيث ، (فالمؤنث مادلّ على التأنيث في الوضع والمعنى المعجميّ ، أو في الصيغة سواء كان مختوماً بالتاء أو بالألف او لم يكن مختوماً بهما .) (١٠) .

ثم خلص بعد مناقشة مستفيضة الى ماياتي :

١ . التاء المربوطة لا الهاء تأتي لأغراض مختلفة ، وتتفق معانيها جميعاً في معنى واحد مشترك هو (الوحدة) ، فهي علامة على الوحدة أصلاً ، لاعلى التأنيث .

٢ . الألف المقصورة والألف الممدودة إذا وجدت إحداهما في كلمة وكانت تلك الكلمة مؤنثة ، كان التأنيث بالصيغة والوضع وليس بوجود الألف :

٣ . علامة التأنيث هي التاء المبسوطة الزائدة مع الفعل والاسم .

---

(٦) ايضاح الوقف والابتداء ٢٨٣/١ — ٢٨٧ ، ويذكر أيضا أن التاء هي علامة التأنيث في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ينظر : قواعد اللغة المصرية ١٤ ، ١٥ .

(٧) الايضاح .

(٨) اللمع ٢٥١ .

(٩) الغرة ق ١٢٥ .

(١٠) مجلة اللسان العربي م ١٨ / ج ١ / ص ١٧٠ ، ومجلة مجمع اللغة العربية الاردني / العدد ٩ — ١٠ / ص ٢٢٦ ، فقد تكرر نشر الرد كاملا فيها ص ٢٢٢ — ٢٢٨ .

٤ . قد تكون الكسرة علامة تأنيث (١١).

وقد مثل الباحث للحالة الاخيرة بأمثلة ، منها : انتِ تذهبين ، لن تذهبي عندكِ ، كتابكِ ، ذهِ ، تِلكِ ، اللائي حذامِ ، يالكاعِ ، جناتِ ، عالماتِ في حالتي النصب والجرّ .

وقد وقع الباحث فيما منه فرّ ، ويُرَدّ عليه بمثل ماردّ به على الدكتور السامرائي إذ كلّ ماجاء به مبنيّ على الافتراض ، والتصوّر ، من غير دليل لغويّ ، وقد حاول أن يرفض قولاً مطلقاً . لكنّه جاء بقول مطلق آخر ، فإذا لم يصح ان تكون التاء او الالف علامة على التأنيث ، وصحّت انتكون علامة على الوحدة فليست هي في الحالة الثانية بديلاً عنها في الحالة الاولى ، فقد تأتي التاء للتأنيث . وقد تأتي للوحدة ، وقد تأتي لمعانٍ أخرى ، وقد اورد النحاة واللغويون طرفاً من ذلك ، وعلامة التأنيث ليست التاء وحدها ضرورة ، اذ قد تكون التاء او الألف اذا صحّت وقد تكون البنية والصيغة والوضع . وقد يكون شيئاً آخر . يهدينا الى ذلك استقراء اللغة وتطوّرها ، وهذه كتب التذكير والتأنيث – وهي كثر – شاهد على ذلك .

ثمّ اذا كان الباحث يرفض ان تكون العلامة ، أيه علامة دالّة على التأنيث ، وانه جزم بأن الصيغة فقط هي العلامة ، فكيف ساغ له أن يجعل (التاء المبسوطة الزائدة مع الفعل او الاسم) هي علامة التأنيث ؟ واذا صحّ أن تكون التاء اللاحقة للفعل في نحو : كتبت ، علامة التأنيث ، فكيف تصحّ التاء في الجمع المؤنث السالم نحو : عالمات ، ولا تصح التاء علامة للتأنيث) في (عالمة) ؟ وهي زائدة في الحالين فارقة .

ثمّ ألا يتعارض قوله ان التاء علامة للتأنيث في نحو (عالمات) مع زعمه في الفقرة الرابعة من خلاصته أنه (قد تكون الكسرة علامة تأنيث) في نحو : عالمات وكاتبات (في حالتي النصب والجرّ) ؟ .

(١١) اللسان العربي ١٧٢ ، والمجمع ٢٨٨ .

وانّه لعجب عجاب حقّاً أن تكون العلامة اللغويّة هنا متأثرة بحالات الاعراب ، فهي علامة قلقة ، تكون مرّة علامة دالة على التأنيث ، مع أنّ الصيغة – كما يرى – دالة عليه ، ثمّ تزول تلك العلامة لمجرّد تغيّر العلاقة النحويّة في تركيب الجملة .

وعجب آخر أنّ الباحث يدّعي ، وقد زعم أنّه فنّد ادّعاء غيره (أنّ الكسرة – عنده – قد تكون من علامات التأنيث) ثم يُجري ذكر تلك الأمثلة الكثيرة التي لارابط بينها . أمّا اكتشافه أنّ الكسرة قد تأتي للتأنيث ، فقد سبقه الى ذلك اللغويون منذ زمن ضارب في القدم . قال أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) (. . . لانّ علامة التأنيث في الجمع النون وفي الاثنين التاء التي في أول الفعل وتقول للمذكر : أنتَ ضربتَه . . . وللمرأة : أنتِ ضربتِه ، بكسر التاء . . . وتقول أنا اعطيتُكَهُ . . . وللمرأة : أنا اعطيتِكه . بكسر الكاف ، ولا تدخل الياء ، لانّ الكسرة علامة التأنيث .) (١٢)

واذا صوّبنا رأيه في أنّ الكسرة علامة على الأنيث في (أنتِ) و (عندكِ) و (ضربتِه) ، فإنّ الكسرة في (تذهبين) و (تِلك) (هذهِ) و (حذامِ) و (يالكاعِ) ، واخواتها ليست للأنيث .

فالكسرة في (تذهِبين) و (لن تذهِبي) ليست مستقلة بنفسها عن الياء فهي عند الأقدمين مجتلبة لمناسبة الياء ، وهذا الاجتلاب نوع من المماثلة الصوتيّة ، فالياء اذن هي العلامة ، والكسرة عند المحدثين لاوجود لها ، إنما هي صوت صائت واحد ، أو قل : حركة طويلة هي الياء ، موهمة أنّ ثمّة كسرة تسبقها .

---

(١٢) المذكر والمؤنث ق ١٩٧ ا ، وقد عقد ابو بكر بن الانباري في كتابه « المذكر والمؤنث » بابا في تسمية علامات المؤنث ، وهي خمس عشرة علامة ، ثمان منها في الاسماء ، واربع في الافعال ، وثلاث في الادوات ، ثم فصل القول فيها في باب يليه . (ينظر : ص ١٦٦ – ١٨٦) .

أما في (تِلك) و (هذه) ، فكنت أتمنى أن يسائل الباحث نفسه : أيسوغ أن تتقدم العلامة الفارقة للتأنيث الكلمة ثمّ تتأخر عنها متى رغبت ؟ ولا أدري لم ينكر العلامة مطلقاً ، ولا يراها إلاّ إذا كانت زائدة فارقة ، ثم يعود ليتنكّر لهذا الأنكار ؟

وقد يُجارى الباحث في أنّ الكسرة في (حذامِ) (١٣) دالة على التأنيث لو كانت هي الحالة الثانية ، ولكنها عند تميم تعرب اعراب مالا ينصرف ، فليس ثمّة كسرة إلاّ في ماكان آخره راء ، نحو (حضار) (١٤) . وهو علم على التأنيث بالاستعمال لا بالعلامة ، وإنما تُلحِق تميم هذا الباب ولغة أهل الحجاز اجناحاً للامالة ، وهو ماترتاح اليه ، ولا تصلح الامالة مع الراء ، إلا وهي مكسورة (١٥) . ومن العرب أيضاً مَنْ يجريه مجرى المنصرف (١٦) واذا سلّمنا بما يقوله علماء الساميّات من أن اللغة تجنح الى البناء بعد ان كانت معربة ، وانّ المنع من الصرف حالة بين بين ، وهي حالة مستحدثة . **أقول** : اذا سلّمنا بذلك حصل ثمّة تعارض بين حالتين مستحدثتين ، هما : عدم وجود الكسرة في الممنوع من الصرف في نحو (حذام) عند تميم ، وبين ضرورة العلامة الفارقة .

وحتى اذا افترضنا أنّ حالة البناء أكثر حداثة ، لان التراكيب تنحو نحواً بنائياً ، فإن الكسرة اذن ليست علامة فارقة للتأنيث ، وانّما هي حالة

---

(١٣) يقول بعض الباحثين المعنيين باللغات السامية ان الكسرة هنا بقية اداة قديمة في الساميات كانت تلحق الاسماء للتمليح او التأنيث . ينظر : المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ص ١١٧ .

(١٤) هو اسم كوكب . وقيل : نجم يطلع قبل سهيل ، ونظن انه سهيل لشبهه به .

(١٥) ينظر : المقتضب ٧٥/٣ ، ٣٧٦ . وينظر : السيرافي في هامش الكتاب ٤١/٢ .

(١٦) ينظر : الكتاب ٤١/٢ ، والمقتضب ٣٧٦/٣ .

من استقرار البنية على صوت واحد هو الكسرة .

وملاك القول في هذه المسألة أنّ علامة التأنيث قد تكون التاء ، مفتوحة أو مربوطة ، أو المفردة في اصل الوضع ، أو السياق الذي يستدل منه على التأنيث ، كما لاتختص التاء ، ولا ايّ من هذه العلامات بالتأنيث ، اذ قد تخرج الى معانٍ أخرى غير التأنيث ، اما الأصل فيها ، فذلك امر لايعرف كنهه إلاّ من استقرى اللغة في اوّليّتها ، وتلك مسألة ليست من علم اللغة في شيءٍ بل هي نمط من الدرس ضائع ضياع البحث في أصل اللغات (١٧) ، وهو ربّما يدخل في حيّز دراسات الفلاسفة وعلماء الاجتماع .

ثالثاً : التضادّ الجنسيّ في الاعداد .

من المعروف أنّ الأعداد من ثلاثة الى عشرة تخالف معدودها في التذكير والتأنيث (١٧أ) ، وهذه مسألة شغلت أذهان الدارسين قدامى ومحدثين ، حتّى لقد جعلها بعض المستشرقين سراً يعسر على الباحث اكتشافه ، وقد تأوّل ابو حاتم السجستاني هذه المسألة على هذا النحو :

الجمع أثقلُ من المفرد ، لانه فرع عليه ، والمؤنّث أثقل من المذكر لأنّه فرع عليه ، ولما كان معدودُ الأعداد من ثلاثة الى عشرة جمعاً ، فإذا كان هذا الجمع مؤنّثاً ، فقد اجتمع فيه ثقلان : الجمع والتأنيث ، فذكّر العدد ليخفّ فيجتمع خفيف مع ثقيل ، فإذا كان المعدود مذكراً فقد سقط منه احد الثقلين ، وهو التأنيث فخفّ ، فصـار العدد مؤنثاً ليثقل بالتأنيث ،

---

(١٧) حتى لقد قررت جمعية باريس اللغوية في أول نظام صدر لها الا تسمح بمناقشة اي بحث يتناول أصول اللغة ونشأتها الاولى . (ينظر : تاريخ علم اللغة ١٦) .

(١٧ أ) سواء افردت أم ركبت الا عشرة ، فانها تطابق المعدود حينما تركب ، لانها تكون الجزء الثاني من العدد المركب ، على حين تكون أخواتها الجزء الاول منـه .

فيجتمع ثقيل مع خفيف فيعتدلا . (١٨)

اما الفرّاء فقد ذهب الى أنّ العدد مبنيّ على الجمع ، فكما أنّ التاء تلحق جمع المذكر ، نحو : صبيّ وصِبْيَة ، لحقت التاء عدد المذكر ، وكما أنّ التاء تفارق جمع الاناث . نحو : ركبة وركب ، فقد فارقت عدد المؤنث . (١٩)

وتابعه أبو بكر بن الأنباريّ ، وان كان قياسه ضعيفاً .

وذهب المبرد الى أنّ حق المذكر أن يجري على أصله ، ويكون المؤنث بائناً عنه بعلامة (٢٠) .

ومذهب أبي عليّ الفارسي « أنّ العدد في الاصل بالتاء ، والمذكر أول فحمل العدد على المشاكلة ، فنزعت الهاء مع المؤنّث ، وثبتت مع المذكر ، حاله حال : عُقاب ، وعناق ، ونحوهما من المؤنّثات التي لاعلامة للتأنيث فيهنّ » (٢١) .

وقد ذهب الباحثون المحدثون والمعاصرون : عرباً ومستشرقين مذاهب شتّى في تفسير سرّ هذا التضادّ ، غير انهم لم ينتهوا الى رأي مقنع مؤيد بالادلّة التي لاتنقض ، وأن زعم متأخر منهم أنّه استطاع النفاذ إلى سّر التضادّ ، وهو الإضافة ، فيكون حذف التاء كحذف التنوين من الاسم المعرب المضاف الى مايليه . أما ثبات التاء في العدد المضاف الى المذكر ، فإنّما يؤتى بها لأمن اللبس (٢٢) . وهذا الرأي منقوض ببقاء العدد على اصله في التضادّ إذا نعِتَ به ، مع انتفاء الإضافة .

---

(١٨) المذكر والمؤنث ق ١٠٩ .
(١٩) المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦٢٤ .
(٢٠) نفسه ٦٢٦ .
(٢١) التكملة ٢٦٠ . والمخصص ٩٨/١٧ . وينظر ابو بكر بن الانباري اللغوي النحوي ٣٠٤ .
(٢٢) ينظر في تفصيل الآراء والمذاهب ومناقشتها ، ابو بكر بن الانباري ٢٦٧ .

ولعلّ رأي أبي عليّ أحقّ هذه الآراء بالقبول ، وأقربها الى حقيقة اللغة وطبيعتها ، والى مثله ذهب الدكتور فؤاد حسنين ، إذ يرى أنّ اسماء الاعداد مذكرة ، والتاء المتصلة بها ليست علامة تأنيث ، وانّما (هي عنصر إشاري قديم من هذا النوع الذي نجده في بعض الضمائر ، والظروف ، وغيرها .) ومن هنا لامخالفة بين العدد والمعدود (٢٣) ، وبهذا يتفق مع أبي عليّ في أصل الاعداد ويختلف في النتيجة .

على أني أميل الى أن الغلوّ في دراسة هذه الاسرار لون من تشتيت الجهد لأنها لاتعتمد على المنطق العلميّ قدر اعتمادها على الحدس والظنّ .

ومهما يكن من أمر فإنّ الضرورة العلمية في البحث اللغوي تقتضي أن نعرض لظواهر اللغة بالوصف مبتعدين عن التعايل المغرب الذي يجور باللغة عن سبيلها الذي سلكته ، لأنّ ذلك يجرف الباحث شاء ام أبى في تيار التفلسف والميدان ليس ميدانه .

ولو ترك الباحثون الخوض في الأسرار لأراحوا واستراحوا .

ابن جني(٢٤) وكتابه « المذكر والمؤنث »

ولد ابو الفتح عثمان بن جني قبل سنة ٣٣٠هـ ، وتوفي سنة ٣٩٢هـ . وكان بارعاً في النحو واللغة والتصريف ، وزعموا انه (لم يتكلم احد في التصريف ادق كلاماً منه) (٢٥) ، ولعل سبب نبوغه في التصريف يرجع الى موقف يشبه موقفين عرضا لسيبويه والكسائي ، فقد غلط سيبويه في مسألة نحوية وهو في مجلس لحماد بن سلمة المحدث ، وغلط الكسائي في مجلس لاقرانه ، وقد نبها على الغلط ، فطلبا علم العربية حتى نبغا .

---

(٢٣) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ١٥ / ٦٨ .

(٢٤) لم أجد بي حاجة الى ترجمته ، لان ذلك عندي تزيد لا ضرورة له .

(٢٥) معجم الادباء ١٢/٨٣ .

وذكروا ان ابا علي الفارسي قد مر بجامع في الموصل ، وابو الفتح بن جني يقرئ النحو « فسأله ابو علي في مسألة في التصريف فقصر ، فقال له ابو علي : زبّبت وانت حصرم ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علي الفارسي فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف فما احد اعلم منه) (٢٦) .

على ان ابن جني قد جلى في علم النحو واصوله وقواعده فوضع في ذلك الخصائص واللمع . وعني بعلم الصوت اللغوي فبرز فيه وأم في كتابه (سر صناعة الاعراب) مابدأه الخليل ، ونظر في اللغة فوضع (الفسر) و (شرح مشكلات الحماسة) و (ابياتها واسماء شعرائها) ووضع في التصريف كتابه (التصريف الملوكي) (والمنصف) شارحاً به تصريف المازني ، وعني بالقضايا اللغوية فشرح كتاب المذكر والمؤنث لابن السكيت ، ووضع كتاباً آخر مختصراً في المذكر والمؤنث وهو الكتاب الذي ينشر مع هذه المقدمة . ولقد كان ايضاً بارعاً في القراءات فوضع (المحتسب) وسواها كثير .

ويكفي ان يقول المتنبي عنه (هذا رجل لايعرف قدره كثير من الناس) (٢٧)

اما كتاب (المذكر والمؤنث) الذي اعددته للنشر فهو كتاب مختصر موضوع للمتعلمين على سبيل من الايجاز ، بلا شواهد ، ولا تمثيل ، ولا استطراد ، ولا تعليل . غير انه بصورته التي وضعه فيها ابن جني مختلف اختلافا بينا عن سائر المصنفات المماثلة كمختصر : المفضل بن سلمة ، وابن فارس ، وابي البركات الانباري ، فهو يتسم بالخصائص الاتية :

١ . بناؤه على نظام ترتيب المفردات المذكرة والمؤنثة على حروف المعجم .

٢ . تصديره بمقدمة تتضمن اجمالا للمفردات المؤنثة ، ثم للمفردات المذكرة التي لاتؤنث بحال لكي يكون ذلك مقدمة للالفاظ المختومة بعلامة التأنيث المقصورة او الممدودة .

---

(٢٦) نفسه ٩١/١٢ . وينظر : نزهة الالباء ٣٢٣ .

(٢٧) نفسه ٩١/١٢ .

٣ . اختتامه بخاتمة في تصغير الاسمـــاء السماعية التأنيث : الثلاثيـــة والرباعية والخماسية ، ماتلحقه التاء عند التصغير وما تنزع منه .

والكتاب على هذا النحو يمثل منهجاً متفردا وطريقاً خاصة غير ان الكتاب وقع فيه لون من الاضطراب ، إذ ذكر الفاظاً من الاجمال لم ترد في ابوابها نبّه عليها ناسخ المخطوطة العلامة احمد تيمور في مواضعها ، ووردت الفاظ في سياق ابوابها اهملت في الاجمال . وليس لذلك تفسير مقنع على أية حال .

ومن المناسب ان أشير الى أنّ ثمة الفاظاً وردت في هذا الكتاب ، على شدة ايجازه ، لاذكر لها في كتب التذكير والتأنيث : مبسوطها وموجزها ، من نحو : (الِهرْدي) و (الهَجَنّع) ، و (الباع) ، و (التَّوى) بمعنى الهلاك ، و (التَوْلَج) و (التِجفاف) وسواها مما أشير اليه في مواضعه .

توثيق نسبة الكتاب ونسخته المحققة :

اما نسبة الكتاب الى مؤلفه ابن جني ، فالادلة المرافقة له لايمارى فيها . فقد ذكر اسم مؤلفه ابن جني في صدره ، كما ورد فيه ذكره لشيخه ابي علي الفارسي اذ قال (الباز مذكر . ويقال : بأز وباز . اخبرني ابو علي انه يقال : باز ، وجمعه : أبواز وبُزاة) (٢٨) .

وقد نص على نسبة هذا الكتاب الى ابن جني كل من ترجم له (٢٩) .

النسخة المحققة :

نشر هذا الكتاب اول مرة المستشرق (ريشر) في (اوبسال) بالسويد على ما في نسخته الوحيدة من علل التصحيف والتحريف ، دون ضبط او تصحيح ، وقد اعادت نشره مجلة (المقتبس) الدمشقية عن النشرة المشوهة السقيمة هذه ، ذكر ذلك المرحوم احمد تيمور في صدر النسخة المخطوطة

---

(٢٨) ينظر : باب الباء .
(٢٩) ينظر : الفهرست ٩٥ ، وانباه الرواة ٣٧٦/٢ ، والكشف ١٤٥٧/٢ .

التي انتسخها عنها بخطه (٣٠) ، وقد علق هوامشها تعليقات نافعة في تصحيحها . وعلى هذه النسخة كان اعتمادى في اخراج الكتاب ، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨ لغة – تيمور (٣١) .

وقد يأخذ عليَّ هذا الصنيع من الدارسين والمحققين من يرى قلة جدوى اعادة نشر الكتب القديمة ، غير ان مسوغ ماصنعت امران :

الاول : ان الزمن تطاول بالنشرتين على سقمهما ، حتى لم يعد بامكان احد الا بعد ان يطلع على احداهما .

والثاني : ان النشرتين ليستا اكثر من نسختين اخريين من النسخة السقيمة بلا ضبط ولا تدقيق ، كما اشرت ، واعادة نشرها محققة ضرورة يستوجبها إظهار النصّ سليماً معافى ، كما تركه مؤلفه ، أو قريباً من ذلك – ماأمكن – كما يقول المشتغلون بالتحقيق .

ولقد زِدْتُ في هوامش الكتاب من التحقيقات والتعليمات والموازنة بالكتب النظائر والمصادر الاخرى ما ظننت انه منح هذا المختصر قَدْراًمن العافية . وقدْراً من العناية التي تجعل إخراجه مقبولا صحيحاً، وقد أضفت اليها تعليقات ناسخها الاستاذ احمد تيمورو تصويباته مُشاراً اليها بالراموز (ت)

كما اثبتّ ترقيم الأصل على أساس الصفحات صنيع ناسخه المرحوم تيمور .

(٣٠) هذا نص ما ذكره تيمور : « عثر عليه الاستاذ اوسكار ريشر الالماني احد المستشرقين فنشره في مجلة (العالم الشرقي) التي تصدر في مدينة (اوبسال) من بلاد السويد ، ثم نقلته عنها مجلة (المقتبس) التي تصدر بدمشق في (ج ٨ ص ٥١١) فنقلته عنها بعد ضبط الفاظه وتصحيحها بقدر الطاقة » .

(٣١) ينظر : مقدمة الدكتور رمضان عبدالتواب لكتاب المفضل بن سلمة ٤٩ .



كتـــاب

المـذكر والمـؤنث

الامام أبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ

[٢]   بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين . وصلاته على محمّد وآله أجمعين

المؤنّث الذي لايجوز تذكيره ، عن ابن جنّي :

العيْن . الأذُن . الكبِد . الكرِش . الفحِث (١) . الفخِذ (٢) . السّاق. العقِب(٣).العضُد(٤).الخِنْصر.البراجِم (٥) . الرواجِب (٦) الضِلَع (٧) . القدَم . اليد . الرِجْل . الضرَب (٨) . السُلطان (٩) الضُحى.الحرب.النعْل . القوْس.الفِهْر (١٠) . النّار .الملح . السلْم

(١) لغة في (الحفث) ، على القلب ، عن الجوهري ، وهي القبة ذات الاطباق من الكرش . (الصحاح واللسان / فحث).

(٢) ويجوز في (الفخذ والفحث والكرش والكبد) وغيره ، بفتح الاول وكسر الثاني ، فتح الاول أو كسره ، واسكان الثاني تخفيفا .

(٣) ويجوز تسكين القاف . وينظر : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٢٧٤ .

(٤) وفيها خمس لغات ، الاربعة الاخرى بفتح العين ، وكسر الضاد واسكانها ، وبضم العين ، وضم الضاد واسكانها . ينظر : ابن الانباري ٢٧٦ .

(٥) جمع برجمة ، وهي عقد الاصابع . (نفسه ٢٩٠) . وسيأتي .

(٦) جمع راجبة ، وهي ظهور الاصابع . (نفسه ٢٩٠) .

(٧) ويجوز تسكين اللام .

(٨) العسل الابيض .

(٩) وسيأتي عنده في باب السين أنه يذكر ويؤنث . وعند الفراء في المذكر والمؤنث ٨٣ ، والمبرد في المذكر والمؤنث ١١٣ ، وابن سيده في المخصص ١٥/١٧ انه يذكر ويؤنث ، والتأنيث اعلى . وعند المفضل بن سلمة في المذكر والمؤنث ٥٦ ، وابن فارس في المذكر والمؤنث ٥٧ انه يذكر ويؤنث ، بلا رجحان . وعند ابي البركات في البلغة ٨٢ أن التذكير اعلى .

(١٠) هي الحجر ، وتصغيرها فهيرة ، كما في المذكر والمؤنث للفراء ٨٤ . وفي البلغة ٧٨ : حجر يملأ الكف .

العروض (١٢) . الحَدود (١) . الكَؤود (١٤) . الصَّبوب . النَّمل . الكَأس . الفأس . الموسى (١٥) . الفَرِسن (١٦) . الذَّوْد (١٧) . السُّرى . الغُوْل . العَناق (١٨) . الرَّخْل (١٩) . الضَّبُع (٢٠) . المَعَزْ . الضَّأْن . الإبِل . الخيل . الغنم . الناب . المُسِنَّة من الإبل . السِّنّ . العصا . العُقاب (٢٠) . القَلْت : موضع يجمع فيه الماء . القِتْب من المِعى (٢٢) . البئر . الدَّلْو . الدِّرْع . اللَّبوس (٢٣) . سَقَر . لَظى . الطَّسّ . الشمس .

---

(١١) يجوز فيه التذكير والتأنيث عند ابي حاتم السجستاني في المذكر والمؤنث ١٦٠ وابن الانباري ٣٦٠ ، وهو مؤنث لا غير عند الفراء ٨٤ والمفضل بن سلمة ٥٩ . والسلم : الدلو ، يذكر ويؤنث عند ابن الانباري ٣٨٣ .

(١٢) وهي عروض الشعر وغيره ، والعروض ناحية معروفة . ينظر : المخصص ١٧/٥ .

(١٣) موضع يتحدر منه ، كما سيأتي .

(١٤) العقبة الشديدة .

(١٥) اكثر اللغويين على انه يجوز فيه التذكير والتأنيث ، غير الاموي ، فهو عنده مذكر . ينظر : المخصص ١٧/١٧ . وجاء عند ابن جني في باب السين انه يذكر ويؤنث .

(١٦) للبقرة حافرها . (الفراء ٨٤) ، وعند ابي البركات ٨٢ ، وفي القاموس المحيط (فرسن) ٣٥٧/٤ : انه للبعير كالحافر للدابة .

(١٧) وهي ما بين الثلاث الى العشر من الابل . وسيأتي في باب الذال .

(١٨) انثى الجدي ، من أولاد المعز . ينظر : المبرد ٨٤ .

(١٩) الانثى من أولاد الضأن . (نفسه ٨٤) .

(٢٠) وهي السنة الشديدة ايضا ، انثى . ينظر : المخصص ٤٥/١٧ .

(٢١) وهي مؤنثة ايضا عند الفراء ٩٠ وابي حاتم السجستاني ق ١٦٥ وابي علي الفارسي في التكملة ٣٨٨ ، وابن سيده ١١/٧١ ، واجاز ابن الانباري الوجهين .

(٢٢) في الاصل : (المرط) . وعلق تيمور على حاشيته : « كذا بالاصل ، والصواب : المعي » . وقد اثبت تصويبه ، لان ما في الاصل كان تحريفا من الناسخ الاول أو الناشر . وينظر : المخصص ١٩٠/١٦ .

(٢٣) ت : اللبوس من اسماء الدرع .

الشّمال . الجَنوب [٣] . الصَّبا . الدَّبور (٢٤) . اليمين . الشّمال . النَّوى : البعد . المنجنون (٢٥) . المنجنيق (٢٦) * الأفعى . الجَزور . السَّمَر . البُسْرُ (٢٧) . الشعير . حَضارِ (٢٨) . العوّاء (٢٩) . كَحَلُ (٣٠) . الأزْيَبُ (٣١) . النشاط . ذُكاء : من أسماء الشمس . السِّراج (٣٢) . الخَنْدَريس ، وجميع نعوت الخمر (٣٣) . أمام . وراء . قُدّام (٣٤) .

---

(٢٤) مؤنثات ، لانهن من اسماء الريح ، والريح مؤنثة ، فالدبور التي من دبر الكعبة ، والقبول من تلقائها ، والشمال تأتي من قبل الحجر [موضع قرية من وادي القرى] والجنوب من تلقائها . (المخصص ٢/١٧) .

(٢٥) المنجنون والمنجنين : الدولاب الذي يستقى عليه . (اللسان / منجنون) . وينظر : المخصص ٧/١٧ .

(٢٦) والمنجنوق : والميم فيه وفي المنجنون أصلية على ما زعم سيبويه ؛ لانهما يجمعان على مناجيق ، ومناجين ، على ما زعم الجوهري (اللسان) . وينظر : المخصص ٧/٧١ .

(*) من هنا دخلت الواو في الاصل على الاسماء عطفا ، وعطف عليها ايضا بجملة « وحروف المعجم تؤنث وتذكر » التي ستأتي ، فأوهم ذلك بأن هذه الاسماء تذكر وتؤنث أيضا ، وليس بصواب ، لذا كان حذف الواو لازما للسياق والمعنى .

(٢٧) الغض من كل شيء ، والتمر قبل أن يرطب ، واحدته بسرة . (اللسان / بسر) .

(٢٨) اسم لكوكب مؤنث . (التكملة ٣٨٨) .

(٢٩) تمد وتقصر اسم كوكب . (المخصص ٨/١٧) ، وعند الفراء ١٠٣ مقصور لا يجرى .

(٣٠) ت : في القاموس : كحلة معرفة اسم للسماء كالكحل وكحل ، وعند الفراء ١٠٣ انه سنة شديدة تجرى ولا تجرى ، والوجه أن لا تجرى .

(٣١) والازيب : الجنوب ، هذلية . (المخصص ٩/١٧) .

(٣٢) ت : السراج من أسماء الشمس .

(٣٣) ينظر : المذكر والمؤنث للفراء ١٠٧ .

(٣٤) ويصغرونها على اميمة ووريئة وقديديمة بالحاق التاء ، وهذا دليل تأنيثها ، وقد ينزعون منها التاء في أميم وقديديم . (الفراء ١٠٩ ، ١١٠) .

خَوْد (٣٥) . سُرُح (٣٦) . ضِناك (٣٧) .

وحروف المعجم تؤنث وتذكر . (٣٨)

وما لايجوز تأنيثه :

الأشاجع (٣٩) . البطن (٤٠) . الضّحاء (٤١) . الألْف من العدد . النَّعَم (٤٢) . الناب من الأسنان . الضّرس . النِّجار (٤٣) . القليب (٤٤) .

(٣٥) الفتاة الحسنة الخلق الشابة ، وقيل : الجارية الناعمة . (اللسان / خود) .

(٣٦) ضبطت في الاصل بفتح السين وسكون الراء ، وليس بصواب ، والسرح : الناقة السريعة المشي .

(٣٧) ت : الضناك : المراة الضخمة ، ويقال في غيرها كالناقة والشاة والشجرة ، وعلة تأنيث هذه النعوت عند الفراء أن كل نعت يختص بالمذكر مذكر ، وكل نعت يختص بالمؤنث لا يقع على غيره مؤنث . (المذكر والمؤنث ١٠٧) .

(٣٨) ذهب الفراء (١١١) الى أن حروف المعجم كلها اناث ، ويجوز تذكيرها في الشعر ، واجازه الكسائي بلا قيد ، وان ذكر ان التأنيث كلام العرب ، ونقل السجستاني عن أبي زيد والاصمعي جواز التذكير والتأنيث ، والتأنيث اعرف . (المذكر والمؤنث لابن الانباري ٤٥ ، والسجستاني ق ١٨٥) .

(٣٩) جمع (أشجع) ، وهو أصل الاصبع .

(٤٠) وذهب الفراء الى أن تأنيثه خطأ (ينظر : المذكر والمؤنث ٧٩) ، ولا يؤنث الا اذا أريد به بطن القبيلة ، والى ذلك ذهب المفضل بن سلمة ٥٤ وابو موسى الحامض ٢٨ . وذهب أحمد بن فارس ٥٦ وقطرب (المذكر والمؤنث للفراء ٧٩) الى أنه يذكر ويؤنث .

(٤١) في الاصل : الضحى . وعلق تيمور في الحاشية : « لعل الصواب : الضحاء . » وهو الصواب حقا ؛ لذا اثبته في النص ، والضحى مؤنثة .

(٤٢) وقد ذكره في باب النون . مجيزا تذكيره وتأنيثه ، وهو عند الفراء ٨٨ ، والمفضل بن سلمة ٥٨ مذكر ، وهي تذكر وتؤنث عند الكسائي (المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٤٧) .

(٤٣) الطباع . كما سيأتي .

(٤٤) ذكره في باب القاف على انه يذكر ويؤنث . وهو من اسماء البئر . وهو عند الفراء ٩١ مذكر ، وعند الكسائي وابن الانباري ٣٣٥ والسجستاني ١٧٠ انه يذكر ويؤنث ، وعند ابن فارس ٥٩ ، وابي البركات ٨١ أن

درع المرأة . القميص . الرِّداء (٤٥) . اللَّبوس من اللباس (٤٦) . الجحيم (٤٧) شمس قلادة (٤٨) . الخُزَز (٤٩) : ذكر الأرانب . الذِّيخ (٥٠) : ذكر الضِّباع . العُقرُبان : (٥١) . ذكر العقارب . الأُفْعوان : ذكر الأفعى . العشيّ . (٥٢) . الزَّند الأعلى من الزِّناد (٥٣) .

والشهور كلُّها مذكرة إلاّ جُمادى (٥٤) . العراق . واسط . دابق (٥٥) .

[٤] الزِّبَعْري : الجمل الشَّديد ، والعَبَنّى مثله ، والجلَعْبي مثله ، والصَّلَخْدي مثله (٥٦) . وفُوق السّهم (٥٧) . والسُّوَرُ ، وفحّال النخل (٥٨) .

= التذكير اعلى .

(٤٥) لم يذكره في بابه .

(٤٦) لم يذكره في بابه .

(٤٧) وعليه الفراء ٩٥ ، وفي التنزيل مؤنثة . وهي عند المفضل بن سلمة ٦٠ مؤنثة .

(٤٨) ت : يريد الشمس [وهو ما] يعلق في القلادة .

(٤٩) لم يذكره في بابه .

(٥٠) لم يذكره في بابه .

(٥١) لم يذكره في بابه .

(٥٢) لم يذكره في بابه ، وعند الفراء ١٠١ انه مؤنث .

(٥٣) لم يذكره في بابه ، وهي من الزناد التي تورى ، والسفلى : الزندة . (الفراء ١٠٤) .

(٥٤) جمادى الاولى وجمادى الآخرة .

(٥٥) واليه ذهب الفراء ١٠٥ ، وعند ابن الانباري ٤٧٣ أن « دابق » يذكر ويؤنث .

(٥٦) ومؤنثاتها بالتاء : الزبعراة ، والعبناة ، والجلعباة ، والصلخداة . ومثله : السلحفا والسلحفاة . (ينظر : الفراء ١٠٨ ، ١٠٩) ، وذكر ابو علي القالي في المقصور والممدود ١٣٦ عن الفراء ان الجلعبي العين الشديد البصر . ونقل القالي ١٧٥ عن ابن دريد ان الزبعرى هو الضخم مطلقا .

(٥٧) لم يذكره في بابه ، والفوق من السهم ، موضع الوتر ، (اللسان / فوق) ، وفوقة السهم ، وجمع الفوق : الافواق ، وجمع الفوقة : الفوق . وينظر : الفراء ١١٠ .

(٥٨) الفحل والفحال هو ذكر النخل ، ولا يقال لغير الذكر من النخل : فحال (اللسان / فحل) ، ولم يرد له ذكر في كتب التذكير والتأنيث .

. وما لايُنَوّن في النكرة ، ولا تدخل عليه علامة الأنيث فاقضِ بأنّ ألفه للتأنيث ، نحو : بُشْرى وشِعْرى (٥٩) . وإنْ كان يُنَوّن أو تدخل عليه علامة التأنيث فألفه لغير الأنيث ، نحو : أرطىً ومِعْزىً (٦٠) .

وأما الهمزة التي للتأنيث فلا تكون إلاّ زائدة بعد لام الفعل ، نحو : حمراء ، وصفراء ، فوزنها : فَعْلاء ، ولام الفعل هي الراء ، ولا يجوز دخول علامة التأنيث عليها ، ألا ترى أنّك لاتقول : حمراءة ، وصفراءة ، كما تقول : صَلاءة (٦١) ، وعباءة . وكلّ اسم رأيت في آخره همزة زائدة بعد الف ولم يجز دخول هاء التأنيث عليه ، ولم * يكن على وزن (فِعْلاء) ، نحو : حِرْباء . وعِلْباء (٦٢) ، أو (فُعَلاء) ، نحو : قُوَباء (٦٣) ، وخُشَشاء (٦٤) ، فاقضِ بأنّ همزته الأنيث .

---

(٥٩) هو اسم نجم . (الكتاب ٢١/٢) .

(٦٠) قال سيبويه : « واما معزى فليس فيها الا لغة واحدة ، تنون في النكرة ، وكذلك الارطى ، كلهم يصرف ، وتذكيره مما يقوى على هذا التفسير (هـ ٢١١/٣) . والارطى ضرب من الشجر واحدته (ارطاة) (المقصور والممدود للقالي ١٢٢) . وينظر : المذكر والمؤنث للمبرد ٩٥ .

(٦١) هو الحجر الذي يسحق عليه العطار ، وجمعه صلاء .

(*) في الاصل : لم . وصوابه ما علق به تيمور : لعله « ولم » . القالي ٣٠١ .

(٦٢) والالف هنا بدل من الباء ، وقد جيء بها الزيادتان لالحاقهما ببناء سرداح وسربال . (ينظر : الكتاب ، هـ ٢١١/٣) ، والمذكر والمؤنث للمبرد ٩٣ ، ٩٤ .

(٦٣) الكتاب (هـ ٢١٤/٣) ، وباسكان الواو لغة فيها ، وهو الذي يظهر في الجسد ، وقال المبرد : « ليس للقوباء نظير الا خشاء فانها مثلها على فعلاء » . (القالي ٤٢١) وينظر : المذكر والمؤنث للمبرد ٩٤ .

(٦٤) والخششاء والخشاء : العظمان الناشزان خلف الاذن . (القالي ٤٢١) . وفي تبصرة الصيمري ٥٥٠/٢ : واما ثوباء .

[٥]ومما يُعلم أن همزته للتأنيث ما كان على (فُعَلاء) ، نحو : الرُّحضاء (٦٥). والنُّفَساء (٦٦) ، والكُرَماء ، والظُّرَفاء ، أو (فِعَلاء) ، نحو : السِيَرَاء ، (٦٧) ، والعِنَباء (٦٨) ، أو (فُعَلاء) ، نحو : قُدَماء ، وجُنَفاء (٦٩) . أو (أفعِلاء ، نحو : أربعاء ، وأصدِقاء ، أو (فاعِلاء) نحو : القاصِعاء (٧٠) ، والراهِطاء (٧١) ، أو (فاعُولاء) ، نحو : عاشُوراء (٧٢) .



(٦٥) هي العرق . قال الاصمعي : اذا عرق من الحمى فهي الرحضاء . (القالي ٤٢٤) .
(٦٦) وفيها ثلاث لغات : نفساء ، ونفساء ، ونفساء . (القالي ٤٢٤) .
(٦٧) ثوب مسمر فيه خطوط تعمل من القز ، والسيراء أيضا الذهب ، والسيراء ضرب من النبت . (القالي ٤٠٠) ، وينظر : الكتاب ٣٢٢/٢ ، ٣٧١ .
(٦٨) العنب . (القالي ٤٠٠) .
(٦٩) مجانبة الاهل ، ويقصر (جنفى) . القاموس ، جنف ١٩٢/٣) . وجنفاء : اسم موضع .
(٧٠) جحر من جحرة اليربوع ، وقال الاصمعي : وانما قيل له قاصعاء ؛ لانه يخرج تراب الجحر ثم يقصع ببعضه ، كأنه يسد به فم الجحرة . (القالي ٣٥١) . وينظر : الكتاب ١٩٩/٢ .
(٧١) تراب يخرجه اليربوع من الجحر ويجمعه . (القالي ٣٥٢) .
(٧٢) الكتاب ١٩٩/٢ .

باب الهمزة

الأضحى مؤنّثة ، ويجوز التذكير يُذهب بها إلى اليوم (١) .

الألف من العدد مذكّر ، فإنْ أنّث ، فإنّها يُذهب بها إلى الدراهم .

الأنف مذكر .

الأشجع واحد الأشاجع . وهو عَصَبٌ على ظهر الكفّ مذكر .

الإبْط يذكر ويؤنّث ، وتذكيره الوجه .

الإبهام مؤنّث . وتذكيره لغة لبعض بني أسد (٢) .

الإصْبَع مؤنّثة (٣) .

الأنعام جمع نَعَم ، مؤنثة (٤) .

[٦] الأذُن أنثى .

الأفعى أنثى . والذكر أُفْعُوان .

الأرنب أنثى . وذكرها الخُزَز .

الإبل أنثى (٥) .

---

(١) الفراء ٨٢ .

(٢) قال الفراء ٧٨ : والاصابع اناث كلهن ، الا الابهام ، فان العرب على تأنيثها ، الا بني أسد أو بعضهم ، فانهم يقولون : هذا ابهام . والتأنيث أجود واحب الينا .

(٣) وفيها عشر لغات بفتح الهمزة ، وكسرها ، وضمها مع فتح الباء ، وكسرها ، وضمها . فهذه تسع ، والعاشرة اصبوع ، واعلاها بكسر الهمزة وفتح الباء . (التاج / صبع) .

(٤) نقل أبو حاتم السجستاني (المذكر والمؤنث ق ١٧٩) عن يونس والاخفش اجازتهما التذكير والتأنيث . وانكر ذلك عليهما . وينظر ابن الانباري ٣٤٦ — ٣٤٨ .

(٥) وكذلك الغنم والخيل ، وتصغيرها بلحاق التاء . (التكملة ٣٧٠) : ابيلة وغنيمة وخييلة .

والآل الذي يشبه السّراب مذكّر ، وتأنيثه لغة (٦) .
أمام بمعنى قُدّام مؤنث (٧) .
الأَزْيَب : النشاط ، مؤنّثة .
الارض مؤنّثة .

باب البــاء

البُسْرُ يذكّر ويؤنّث (٨) .
البراجم إناث جمع بُرْجُمة ، وهي ملتقى رؤوس السُّلاميات .
الباز مذكّر . ويقال : بأْزٌ وباز . أخبرني أبو عليّ أنّه يقال : باز وجمعه أبْواز وبِزاة ، وبأز وثلاثة أبْؤز ، فإذا كثرت فهي البِئزان (٩) .
الباع مؤنّثة (١٠) .
بَطنُ الإنسان مذكرٌ ، وإذا أُريد بالبطن القبيلة ،جاز تأنيثه (١١) .
البئر مؤنّثة .

[٧] باب التــاء

التمر يذكرّ ويؤنّث .
التّوى : الهلاك ، مذكرٌ (١٢) .

---

(٦) وذهب الفراء ١٠٦ الى أن التذكير أجود .
(٧) والظروف ذكران الاّ أمام ووراء وقدام . (ينظر : الفراء ١٠٩) .
(٨) التمر قبل أن يرطب .
(٩) في اللسان (باز) : البأز لغة في البازي ، والجمع أبؤز وبؤوز وبئزان ، عن ابن جني ، وذهب الى أن همزته مبدلة من الف لقربها منها ، واستمر البدل في أبؤز وبئزان كما استمر في أعياد .
(١٠) ليس في كتب التذكير والتأنيث ، والباع مسافة ما بين الكفين اذا بسطتهما ؛ وفيه لغتان أخريان :البّوع والبُوع،الاخيرة هذلية .(اللسان / بوع) .
(١١) ينظر : الفراء ٧٩ .
(١٢) ليس في كتب التذكير والتأنيث . وذكر الجوهري في (الصحاح / توي) انه هلاك المال .

التَّوْلَجَ : الكِناس (١٣) ، مذكّر .
التُّوت مذكر .
التَّوْلَبُ : ولد الحمار ، مذكر (١٤) .
التِّجْفاف واحد التّجافيف (١٥) ، مذكر .
التُّرْس مذكر ، وجمعة أتراس .

باب الثــاء

الثُّعبان : الحيّة العظيمة ، يقع على الذكر والأنثى .
والثُّعْلُبان مذكرٌ لاغير .
الثَّدْيُ مذكرٌ .
الثَّمرَ . جمع ثمرة ، يذكّر ويؤنث (١٦) .
الثُّمام (١٧) ، نبت ، يذكّر ويؤنّث .
الثّجير (١٨) ، عصارة الشيء ، مذكّر .

---

(١٣) ليس في كتب التذكير والتأنيث . وهو كناس الظبي أو الوحش الذي يلج فيه ، التاء فيه مبدلة من الواو ، والدولج لغة فيه ، داله عند سيبويه بدل من التاء . (اللسان / ولج) .
(١٤) ولد الاتان من الوحش اذا استكمل الحول ، وقال الجوهري : التولب الجحش . (ينظر : اللسان / تلب) . ولم يرد في كتب التذكير والتأنيث.
(١٥) ليس في كتب التذكير والتأنيث ، وهو الذي يوضع على الخيل من حديد أو غيره في الحرب . والتاء فيه لالحاقه بباب قرطاس ، فيما نقل ابن جني عن أبي علي الفارسي . (اللسان / جفف) .
(١٦) وكذلك كل جمع واحده بالتاء . الا الرمان والعنب والموز والسدر فهي مذكرة (المخصص ٧٣/١٧) .
(١٧) في الاصل : الثمار . ت : « الظاهر ان صوابه الثمام ويحقق . » . وقد اثبته اذ هو الصواب .
(١٨) وقيل : هو ثفل كل شيء يعصر . (اللســان / ثجر) ، وليس في كتب التذكير والتأنيث .

باب الجيم

الجَزور مؤنّثة .
جُرْجان ، وكلّ اسم بلد في آخره الف [٨] ونون زائدتان مذكّر ، فإنْ أُنّث ، فإنّما يُذهب به إلى المدينة . (١٩) .
الجراد ، جمع جرادة . يذكر ويؤنّث ، وقد يقع الجراد على الواحد الذكر . فيقال : رأيْتُ جراداً على جراد (٢٠) .
الجحيم من بين أسماء جهنّم مذكّر ، وسائر أسمائها مؤنثة .
الجبين ذكر .
الجام مؤنّثة (٢١) .
الجَفْنُ ذكر .
جُمادى مؤنّثة (٢٢) .

باب الحاء

حَضارِ اسم نجم مبنيّ على الكسر ، والحِضَار : الإبل البِيْض(٢٣)، مؤنّث.
الحشا واحد الأحشاء ، مذكر .
الحَرور : الريح الحارّة بالليل ، أنثى .
الحرب مؤنّثة .
الحَدور أنثى ، وهو موضع يُتَحدَّر فيه .

---

(١٩) المذكر والمؤنث للفراء ٣٣ ، وابن الانباري ٤٧٣ ، وذهب أبو حاتم السجستاني في المذكر والمؤنث ق ١٨٢ الى انها مؤنثة « لاشك في ذلك » .
(٢٠) ويقال للذكر من الجراد أيضا الحنظب . (ابن الانباري ١٢٢) .
(٢١) اناء من فضة ، وجمعه جامات وجوم ، وعن ابن بري انه جمع مفرده جامة . (اللسان / جوم) .
(٢٢) ت : ذكر الجنوب في سياق الاسماء المؤنثة في أول الكتاب ، ولم يذكرها هنا ، وكأنه اكتفاء بما ذكره عنها في لفظ الريح من حرف الراء .
(٢٣) ليس في كتب التذكير والتأنيث .

الحِجاز مذكر .
الحانوت أنثى ، فإنْ ذُكِّرت قُصِد بها البيت (٢٤) .
حَوْران [٩] ، اسم موضع (٢٥) ، مذكّر .
الحال يذكّر ويؤنّث .
الحمام جمع حمامة ، يذكّر ويؤنّث (٢٦) .

باب الخـــاء

الخمر أنثى ، وكذلك جميع أسمائها ، نحو : القَرْقَف والشَّمول والمُدام (٢٧) .
الخَصْر مذكر .
الخِرْنِق ، ولد الأرنب ، الغالب عليه التذكير .
الخَدّ مذكر (٢٨) .

باب الـدال

درع الحديد أنثى ، ودرع المرأة ذكر .
دابِق ، اسم موضع بطريق الشّام (٢٩) ، مذكّر .
الدار أنثى .

---

(٢٤) المذكر والمؤنث للفراء ٩٨ ، وفي ابن الانباري ٣٢٩ عن الكسائي انه يذكر ويؤنث ، وينظر : المذكر والمؤنث لابي حاتم ق ١٦٩ .
(٢٥) في الشام ، وهي كورة من اعمال دمشق كثيرة الزروع والبســاتين . (معجم البلدان ٢/٣١٧) .
(٢٦) وكذا جيع أسماء الاجناس .
(٢٧) ت : « ذكر الخندريس في سياق الاسماء المؤنثة في أول الكتاب ، ولم يذكرها هنا اكتفاء بقوله : ان جميع اسماء الخمر مؤنثة . » .
(٢٨) ت : « ذكر الخنصر في سياق الاسماء المؤنثة في أول الكتاب ، ولم يذكره هنا في حرفه ، وكذلك الخيل والخود . »
(٢٩) في المذكر والمؤنث لابن الانباري ٤٧٣ انه يذكر ويؤنث ، وهو بفتح الباء على ما ذكره ياقوت .

الدِلاء ، جمع دَلاةٍ (٣٠) ، والدَّلاة والدَّلْو أنثى ، ويجوز تذكير الدَّلْو .

باب الذال

الذَّنوب : الدَّلْو الكبير ، مذكَّر ، وهو أيضاً الحظّ والنصيب [١٠] مذكر . الذَّوْد من الإبل من ثلاث الى عشر من النّوق ، أنثى (٣١) .
ذُكاء ، اسم للشمس ، مؤنثة (٣٢) ،
الذهب مؤنثة ، وربّما ذُكّرت (٣٣) .
الذّراع مؤنّثة ، وربّما ذُكّرت .

باب الراء

الريح مؤنّثة ، وكذلك جميع أسمائها ، نحو الجَنوب والشّمال .
الرِخْل مؤنّثة ، وهي أنثى من وَلَد الضَّأنْ .
والرُسْغ مذكّر .
الرَّحْل أنثى .
الرِجل أنثى .
الرُوح مذكّر ، فإنْ أُنّث فإنّما يُعنى به النفس (٣٤) .

باب الزاي

الزَّوْج مذكر ،وهو يقع على الذكر والأنثى عند أهل الحجاز ، وأهل نجد يقولون :لى زوجة (٣٥) .

---

(٣٠) ت : « الدلاة ، بفتح الاول ، دلو صغير . »
(٣١) ومنه الحديث الشريف « ليس أقل من خمس ذود صدقة » (الفراء ٨٧) .
(٣٢) ت : « من أسماء الشمس : السراج ، وقد ذكره في سياق الاسماء [المؤنثة] في أول الكتاب ولم يذكره هنا في حرفه . »
(٣٣) الفراء ٨٣ ، وينظر : المذكر والمؤنث لاحمد بن فارس ٥٣ : ويقال : ذهبة حمراء .
(٣٤) ت : « ذكر في أول الكتاب الرواجب في سياق الاسماء المؤنثة . »
(٣٥) وذكر الفراء ٩٥ ، ١٠٨ أن لغة نجد هي السائرة ، ولغة الحجاز افصح عند العلماء .

الزَّنْد من اليد مذكّر .
الزَّقْر لغة في الصقر ذكر .
الزَّرْنَبُ ، ضَرْب من [١١] الطّيب ، ذكر (٣٧) .

باب السين

السراويل مؤنّثة .
السَّلم ذكر وربّما أُنث (٣٨) .
السِّلْم : الصّلح ، مؤنّثة وربّما ذُكر .
والسَّلَمُ : الاستسلام ، مذكّر .
السُّرى : سير الليل ، مؤنث .
السبيل يذكر ويؤنث .
الساعد مذكر .
الساق مؤنثة .
السُّلطان يذكر ويؤنّث (٣٩) .
السِّكّين يذكر ويؤنّث (٤٠) .
السِّنّ واحدة الأسنان مؤنّثة (٤١) .

---

(٣٦) وهو لون من الابدال الصوتي ، اذ يقال بالسين والزاي والصاد .
(٣٧) لم يرد له ذكر في كتب التذكير والتأنيث ، وهو ايضا شجر طيب الرائحة وهو الزعفران ... (القاموس / زرنب) .
(٣٨) ت : « المراد به الدلو بعروة واحدة . »
(٣٩) وعند الفراء ٨٣ أن التأنيث عند الفصحاء اكثر .
(٤٠) وعند الفراء ٩٦ انه مذكر ، وربما انث في الشعر .
(٤١) ت : « ذكر لفظ سقر في سياق الاسماء المؤنثة في أول الكتاب ، ولم يذكره هنا في حرفه ، وكانه اكتفاء بقوله في حرف الجيم : ان الجحيم من بين أسماء جهنم مذكر ، وسائر اسمائها مؤنثة . » « وكذلك ذكر في أول الكتاب السمر والسرح . »

السلاح يذكر ويؤنث .
السُّوق أنثى ، وربّما ذكّرت (٤٢) .

باب الشــين

الشّخص مذكر ، عَنَيْتَ به ذكراً أو أنثى .
الشّهر مذكر .
الشّأْم مذكر .
الشّمال خلاف اليمين مؤنّثة (٤٣) .
الشّفْر ، واحد الأشفار ، مذكّر :
الشّعير يذكر ويؤنّث (٤٤) .
الشّمس [١٢] الطالعة مؤنّثة . والشمس الذي في القلادة ذكر .

باب الصــاد

الصّعود من الأرض مؤنّثة .
الصّبوب مؤنّثة مثلها (٤٥) .
الصاع يذكر ويؤنّث .
صليف العُنُق : صفحتها ، يذكر ويؤنّث (٤٦) ،

---

(٤٢) والتأنيث اغلب عند الفصحاء ؛ لانهم يصغرونها على سويقة . (الفراء ٩٦) .
(٤٣) ت : « ذكر الشمال في سياق الاسماء المؤنثة في اول الكتاب ، ولم يذكرها هنا في حرفها ، وكأنه اكتفاء بما ذكره عنها في لفظ الريح من حرف الراء . »
(٤٤) وهو من أسماء الاجناس ومفرده بالهاء ، والاغلب على أهل الحجاز التأنيث ، والاغلب على أهل نجد التذكير . ينظر (الفراء ١٠١) .
(٤٥) وكذا : الحدور ، والكؤود ، والهبوط ، والعروض . الفراء ٨٥ ، وابن فارس ٥٧ .
(٤٦) ت : « ذكر الصبا في سياق الاسماء المؤنثة في أول الكتاب ، ولم يذكرها هنا في حرفها ، وكأنه اكتفاء بقوله في الريح من حرف الراء : ان اسماءها مؤنثة . »

باب الضـاد

الضَّرَب : العسل الأبيض ، مؤنّثة .

الضَّبْع : وسْط العَضُد ، مذكر (٤٧) . والضَّبُـع مؤنّثة .

الضَّأْن مؤنّثة .

الضُّحى مؤنّثة . الضُّحاءُ بمعناها مذكّر (٤٧) .

الضِّلَعُ مؤنّثة .

الضِّرْس مذكرٌ (٤٩) .

باب الطـاء

الطريق يذكر ويؤنّث .

الطَّسّ والطِّسّة والطَّسْتُ (٥٠) [١٣] ، مؤنثات .

طِباع الرجل مؤنثة ، وربّما ذكرت .

الطَّوِيّ : البئر ، ذكر ، فإنْ رأيته مؤنثاً فإنّما يُعنى به البئر .

الطير جماعة طائر ، مؤنّثة .

الطاغوت يذكر ويؤنث .

الطاس مؤنّثة .

باب الظـاء(*)

الظُّهْر من الصلاة مؤنّثة .

---

(٤٧) وهذا مما انفرد بذكره .

(٤٨) ينظر الفراء ٨٤ .

(٤٩) ت : « ذكر في أول الكتاب في سرد الاسماء : الضناك ، ولم يذكرها هنا ، وهي المراة الضخمة ، ويقال في غيرها كالناقة والشاة والشجرة . »

(٥٠) ذهب الفراء ٩٤ الى أن كلام العرب هو الطسة ، وأما (الطست) فهي لغة بعض أهل اليمن . وينظر . المذكر والمؤنث لابن الانباري .

(*) لا ذكر لمواد هذا الباب في كتاب الفراء .

الظَّهْر مذكر .

الظُّفْر مذكر (٥١) .

الظِّئْر : الدابّة مؤنّثة ، وجمعها ظُؤار (٥٢) .

الظُّبى : جمع ظُبة ، مؤنّثة (٥٣) .

باب العين

العصا مؤنّثة .

العَضُد مؤنّثة .

العِشاء مؤنّثة (٥٤) .

عَروض الشِّعْر وغيره مؤنثة .

العُرْس مؤنّثة (٥٥) .

العراق مذكر .

العَجُز : العجيزة ، مؤنّثة ، وربّما ذُكّرت .

العاتق يذكر ويؤنث (٥٦) .

[١٤] العقرب اسم للذكر والأنثى (٥٧) .

---

(٥١) ينظر : مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ٥٥ .

(٥٢) المذكر والمؤنث لابن فارس ٥٨ ، وفي البلغة للانباري ٧٥ أن الظائر من الابل : التي عطفت على غير ولدها .

(٥٣) وظبة السيف والسهم حده ، وتجمع على ظبات أيضا وظِبون وظُبون . (اللسان / ظبا) .

(٥٤) وعند الفراء ١٠١ أن (العشي) انثى ، وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها ، فاذا غابت فهو العشاء . (ينظر : هامشه) .

(٥٥) لم يذكره في أوله . وتصغيرها عريسة .

(٥٦) بعده : ت : « ذكره في سياق الاسماء [؟] في أول الكتاب ، ولم يذكره هنا في حرفه . »

(٥٧) وقد ذكر في أوله أن العقربان هو ذكر العقارب ، وما ذكره هنا هو ما ذكره الفراء ١٠٠ ، كالارنب فهو يقع على الذكر والانثى من جنسه .

العَقَب مؤنّثة .
العَناق مؤنّثة .
العُقاب مؤنثة .
العِلباء : العَصَبة في العُنق مؤنّثة (٥٨) .
العُنق ، بضمّ النون مؤنثة ، فإنْ سُكّنت النون ذُكّر (٥٩) .
العَنْز أنثى .
العنكبوت يذكّر ويؤنث(٦٠) .
العين مؤنثة (٦١) .

باب الغين

الغَنم مؤنّثة .
الغُول مؤنّثة .
الغُميصاء مؤنّثة (٦٢) .
(غير) اسم يقع على المذكر والمؤنّث (٦٣) .

باب الفاء

الفَرْج مذكّر (٦٤) .

---

(٥٨) وهمزته للتأنيث كما ورد في حديثه عن العلامة ، وعند الفراء ٧٦ انه مذكر والتأنيث قليل .
(٥٩) وذكر الفراء ٧٣ ان التأنيث لغة أهل الحجاز ، والتذكير لغة من عداهم .
(٦٠) وذكر الفراء ١٠٢ ان التأنيث اكثر .
(٦١) ت : [ذكر العواء في سياق الاسماء [المؤنثة] . في أول [الكتاب] ولم يذكره هنا في حرفه .
(٦٢) لم يذكرها في اول الكتاب ، ولم ترد في كتب التذكير والتأنيث . والغميصاء كوكب ، واسم موضع ، وهو الموضع الذي اوقع فيه خالد بن الوليد ببني جذيمة من كنانة . (ينظر اللسان / غمص) .
(٦٣) لانه مبهم .
(٦٤) رسالة ابي موسى الحامض ٢٨ .

الفردوس مذكّر .
الفرس يقع على الذكر والأنثى (٦٥) .
الفِهْر : الحجر الصغير ، مؤنّثة .
الفُلك يذكّر ويؤنّث (٦٦) .
فِرْسِنُ البقرة والجؤْذَر مؤنّثة (٦٧) .

باب القــاف

[١٥] القَلْت مؤنّثة ، وهي حفرة تكون في الصَّفا تمسك الماء (٦٨) .
والقليب من أسماء البئر ، يذكّر ويؤنّث .
القميص مذكر .
القوس أنثى .
القَفا يذكّر ويؤنّث .
القَدوم أنثى (٦٩) .
القَدَم أنثى .
وقُدّام أنثى ، وتصغيرها بالهاء .
القِتْب من الأسماء أنثى .

باب الـكاف

الكفّ أنثى .

---

(٦٥) ويصغر على (فريس) ، كما في مختصر المفضل بن سلمة ٥٧ .
(٦٦) ويكون واحدا وجمعا . ينظر : مختصر المفضل ٥٧ .
(٦٧) ت : « ذكر الفحث في سياق الاسماء المؤنثة في أول الكتاب ، ولم يذكره هنا في حرفه . » وفي المذكر والمؤنث لابن فارس ٥٦ أن الفرسن من خف البعير مؤنثة .
(٦٨) عرفه في أول الكتاب بأنه « موضع يجتمع فيه الماء » .
(٦٩) في المخصص ٦/١٧ : والقدوم التي ينحت بها مؤنثة ، وتجمع على (قدُوم وقدَم) . وينظر : التكملة ٣٨٨ .

الكَؤود من الأرض مؤنّثة .
الكَرِش أنثى (٧٠) .
الكُراع أنثى ، وقد يذكّر .
الكَتِف والكَبِد والكأس مؤنّثات (٧١) .

باب اللام

الليتُ مَجرى القُرْط في العُنُق مذكّر .
اللّسان لهذا العضو مذكّر ، فإنْ عُنِيَ به القصيدة أو الرسالة ، فهو مؤنث (٧٢)

باب الميم

مَحْجِرُ العين مذكّر .
المسك مذكّر
المَطَر مذكّر ، وربّما أُنّث إذا [١٦] أريد به الزراعة .
المِعَى مذكّر ، وربّما أُنّث .
المَعَز مؤنّثة (٧٣) .

---

(٧٠) وكل ما كان على (فعل) بفتح فكسر ، جاز اسكان ثانيه ، وهو لغة ، قال ابو حاتم السجستاني (المذكر والمؤنث ق ١٤٢ أ) : « وقد يسكن قوم الراء ويكسرون الكاف . وهي لغة من لم يسمع الكلام . »

(٧١) وجعل أبو حاتم : اسكان الباء وكسر الكاف في (الكبد) لغة . (المذكر والمؤنث ١٤٢ أ) . ت : « ذكر كحل ، وهو اسم معرفة للسماء في سياق الاسماء [المؤنثة] في اول الكتاب ، ولم يذكره هنا في حرفه . »

(٧٢) واللسان لغة ايضا . (المخصص ١٣/١٧) عند الفارسي في التكملة ٣٩٤ : اللغة والكلام . ت : « ذكر لظى في سياق الاسماء المؤنثة في اول الكتاب ، ولم يذكرها هنا في حرفها . وكأنه اكتفاء بما ذكره في حرف الجيم عن الجحيم . » ت : « من اسماء الدرع اللبوس ، وقد ذكره في سياق الاسماء المؤنثة في اول الكتاب . ولم يذكره هنا في حرفه ، وكذلك ذكر اللبوس بمعنى اللباس في سياق الاسماء التي لا يجوز تانيثها . »

(٧٣) والمعزى والعنز والاروى ، كلهن مؤنثات (المذكر والمؤنث لابن فارس ٥٩) .

المَتْن مذكّر ، وربّما أُنّث ، وربّما دخلت عليه الهاء ، فقالوا : مَتْنَه (٧٤)
المُؤْق والمَأق مذكران ، وهما زاويتا العين اللتان يليان الأنف (٧٥).
مِثْل ، يقع على الذكر والانثى .
مَنْ ، يقع للمذكر والمؤنّث .
المِلْح مؤنّثة .
المَنْجَنُون ، ويقال : المَنْجَنِين ، وهي السّانية ، مؤنّثة .
المَنْخِر ذكر .
المَنْجَنِيق مؤنّثة .
مُوسى الحَجّام مؤنّثة (٧٦) .

باب النــون

النِّجار مذكر ، ومعناه الطّباع .
. . . . . (٧٧) مؤنّثة .
الناب من الأسنان ذكر . والناب : الناقة المسنّة مؤنّثة .
(نحنُ) يقع على المذكر والمؤنّث .
النّحْل يذكّر ويؤنّث .

---

(٧٤) قال الفراء ٧٩ : « والمتن مذكر وقد يؤنث ، وتدخل فيه الهـاء . » . وينظر : المفضل بن سلمة ٥٣ ، والمخصص ١٤/١٧ وقال : « واما المتن من الارض ، وهو ما غلظ منها فمذكر . » .

(٧٥) وفيها ثلاث لغـات أخرى بتخفيف الهمز ، ثم مُوقي . ينظر : اللســان (ماق) ، وابن الانباري ، وخلق الانسان لثابت .

(٧٦) وكذلك هي عند الفراء ٨٦ ، وذهب الاموي الى التذكير ، وابو هفان الى التذكير والتأنيث (ابن الانباري ٣٢٨ ، ٣٢٩) .

(٧٧) في الاصل : السمك . وعلق عليه تيمور : « كذا بالاصل ، وقد ذكر في أول الكتاب في سياق الاسماء المؤنثة النـار ، ولم يذكرهـا هنـا في حرفها . » أقول : والسمك من أسماء الاجناس ، وهي مذكرة ويجـوز تأنيثها على معنى الجماعة . ينظر : المذكر والمؤنث للمبرد ١١٥ ، ١١٦ .

النَّعْل مؤنّثة .

النّوى ، جمع نواة ، يذكر ويؤنّث .

النّفس أنثى .

النَّعَم يذكّر ويؤنّث .

النّور ، خلاف الظُّلْمة مذكر .

[١٧] باب الواو

وراء بمعنى خَلْف مؤنّثة ، وتصغيرها وُرَيّئة بوزن وُرَيعة .

الوحش أنثى (٧٨) .

الوَرِك أُنثى .

واسِط ذكر .

الوِعاء ذكر .

باب الهـاء

الهُدى مذكّر ، وقد يؤنّث .

الهَبُوط من الأرض أنثى .

الهِرْدى نبت مؤنّثة (٧٩) .

الهَجَنَّع ذكر النَّعام (٨٠) .

---

(٧٨) لم يذكر في كتب التذكير والتأنيث : وفي اللسان (وحش) : « الوحش : كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس مؤنث . »

(٧٩) لا ذكر لها في كتب التذكير والتأنيث . وقد نقل صاحب اللسان ـ هرد) عن ابي حنيفة قوله : « الهردى ـ مقصور : عشبة لم يبلغني لها صفة . » قال : « ولا أدري امذكرة هي ام مؤنثة ؟ » وعن الاصمعي : الهردى ، على فعلى بكسر الهاء ، نبت . قاله ابن الانباري ، وهو أنثى . ونقل القالي في (المقصور والممدود ١٦٨ على الاصمعي انه قال : « الهردى نبت ، ولا ادري ايذكر ام يؤنث . »

(٨٠) وهو الشيخ الاصلع ، والظليم الاقرع . وقيل : هو الذكر الطويل من النعام ، وقيل : هو الطويل من الرجال ، او هو الطويل الجافي اوالطويل =

باب اليـاء

اليَمين : اليد ، واليَمين من الحِلْف ، كلاهما مؤنّث .

اليَسار : اليد اليُسرى . مؤنّثة .

واليد مؤنثة .

واليَأفوح مذكّر (٨١) .

وكل اسم مؤنث هــو على ثلاثة أحرف ، تصغيره بالهــاء ، نحو : قِدْر وقُدَيْرة ، ودار ودُوَيْرة ، إلاّ أحرفاً شَذّتْ ، وهي : قَوْس ، وذَوْد ، وحَرْب ، وعرس ، لأنّها كثرت في كلامهم فاستخفّوا بطرح الهاء من التصغير (٨٢) . فإنْ كان المؤنّث على أربعة أحرف فصاعداً ، كان تصغيره بلا هاء ، نحو : عقرب ، تقول : عُقَيْرِب ، وعُقاب ، عُقَيّب ، وأتان أُتَيّن (٨٣) . إلاّ أنّهم صغّروا (أماماً) و (وراء) و (قُدّاماً) بالهاء ، فقالوا : وُرَيّئة ، وقُدَيْديمة ، وأُمَيِّمة (٨٤) ، لأنّ جميع الظروف

= الضخم ، وهو من أبناء الابل : ما نتج في حمارة القيظ ، والهجنع : الاسود ، وانثى الحيوان منه بالتاء : هجنعة . ينظر : اللسان (هجنع) .

(٨١) هو ملتقى عظم مقدم الراس ، وعظم مؤخره ، وهو المكان الذي يكون لينا من راس الطفل . ينظر : اللسان (أفخ) و (يفخ) .

(٨٢) وذهب المبرد مذهبا آخر في تعليله ، قال : « فأما قولهم في « حرب » : (حريب) ، وفي (فرس) : (فريس) ، فان حربا انما هو في الاصل مصدر سمي به ، فلذلك قيل : حريب ، ولو سميت به شيئا ، فنقلته الى المعرفة ، لم تقل الا (حريبة) . وأما (فرس) فاسم يقع للمذكر والمؤنث ، فان اردت الانثى خاصة لم تقل الا (فريسة) » . (المذكر والمؤنث ٩٦) . وذهب الصيمري مذهبا آخر في تصغير كل واحدة منهن بطرح الهاء . (ينظر : التبصرة ٢/٧٠٠ ، ٧٠١) . وهو كذلك عند أبي حاتم في المذكر والمؤنث ق ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٨٣) وعلة ذلك عند الصيمري أن الحرف الرابع قد جعل بمنزلة علامة التأنيث . (التبصرة ٢/٧٠١) .

(٨٤) المذكر والمؤنث لابي حاتم ق ١٥٧ .

مذكّرة . وهذه الثلاثة مؤنّثة ، فلو صغّروها بطرح الهاء أوْهَمَ أنّها مذكرة كسائر الظروف ، فإنْ كان في الاسم المجاور للثلاثة هاء في التكبير تثبت في التصغير ، تقول في سَفَرجلَة : سُفَيْرِجة ، وفي سلسلة : سُلَيْسِلَة .

تمّ الكتاب بحمد الله وجميل صُنعه ،

وصلى الله على محمد وآله أجمعين .

كتبه الفقير الى رحمة ربه أحمد تيمور سنة ١٣٣٩ هـ



محاولة جديدة في دراسة (كتاب العين)

الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي
كلية التربية ـ جامعة بغداد

على الرغم من الدراسات الجادة التي دارت حول كتاب العين فانه مازال في حاجة الى دراسات أخرى تبحث في مخطوطاته ، وسبب اختلاف القدماء في نسبته ، ومآخذهم على مادته ، وهي دراسة أرى من الصعب أن ينفرد بها باحث واحد ، ولم أجد مثل مجلة الخالدين منبراً أقدم منه هذا البحث المتواضع وأدعو الباحثين من خلاله الى مواصلة السير في هذا الدرب الشاق الطويل لكي نضع في النهاية (كتاب العين) هذا الأثر اللغوي العظيم بين يدي الدارسين في صورته الحقيقية ، فعلى الرغم من أن الكتاب (كتاب الخليل في تأسيسه وحشوه) (٢) وعلى الرغم من كل ماقيل فيه فقد كان (مصدر الهام اللغويين الذين جاءوا بعده بل كان مادة اللغويين في مصنفاتهم) (٣) ولكن الشوائب كدرته ، وعلينا أن نحاول تنقيته منها .

أقدم محاولة لتحقيق كتاب العين كانت محاولة الأب أنستاس ماري الكرملي ، إذ طبع فصلة منه في مطبعة دار الايتام ببغداد سنة ١٩١٤ ، ولم تكلل محاولته

---

(١) ينظر في مصادر دراسة الخليل ومراجعها كتاب الخليل بن احمد الفراهيدي ، حياته وآثاره في المراجع العربية والاجنبية .

(٢) عبقري من البصرة ٧٣ .

(٣) المصدر السابق .

بالتوفيق فتوقف الطبع بسبب قيام الحرب العالمية الأولى ، ولا يعرف مصير مسودات التحقيق إذ إن توقف طبع الكتاب لايعني توقف الكرملي عن الاستمرار في التحقيق . وهي قضية جديرة بالبحث والتقصي فان النسخ التي اعتمدها الكرملي في التحقيق لايعرف مصير بعضها في الوقت الحاضر(٤) .

بعد هذه المحاولة بأكثر من نصف قرن شرع الدكتور عبد الله درويش بتحقيق الكتاب فطبع الجزء الأول منه في مطبعة العاني (ببغداد) سنة ١٩٦٧ م ثم توقف عن طبع بقية الأجزاء بسبب مآخذ تكشفت له بعد الطبع أشار إليها بعض الباحثين (٥)

ثم تصدى لتحقيق الكتاب الشيخ محمد حسن آل ياسين فنشر مقدمته سنة ١٩٧٧م في العددين التاسع والعاشر من مجلة البلاغ ، وتوقف بسبب تكليف وزارة الاعلام العراقية الاستاذين مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي بتحقيق الكتاب . والافكار التي تدور في هذا البحث لم تكن وليدة الارتجال ، فقد شرعت قبل سنوات بتحقيق مختصر كتاب العين لأبي بكر الزبيدي فرجعت الى أغلب ما كتب عن العين . كما اضطرني التحقيق الى مقارنة المختصر بالأصل . ولعل آخر ماكتب في المشرق عن كتاب العين كان كتاب زميلنا الدكتور رشيد العبيدي (مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري) وقد طبع في مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر ببغداد سنة ١٩٨١م إذ خص كتاب العين بباب كامل من أبواب الكتاب الثلاثة . تحدث فيه عن العلاقة بين الخليل والليث ، وعن العين ونظارة علماء العربية له ، وعن العين وعمل الليث والنضر فيه . ثم عن أقوال العلماء في العين وجهودهم (٦) .

ولعل آخر ماكتب في المغرب كان كتاب الاستاذ عبدالعلي الودغيري المرسوم

---

(٤) الخليل بن احمد الفراهيدي حياته وآثاره ١٢ .

(٥) ينظر على سبيل المثال لا الحصر في التراث العربي ١/٣٩٧ — ٤١٤ .

(٦) مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري ١٣١ — ٢٣٧ .

(المعجم العربي بالأندلس) وقد طبع في مطبعة المعارف الجديدة بالرباط سنة ١٩٨٤م ، تحدث فيه عن كتاب العين بالأندلس ، والحركة اللغوية التي دارت حوله ، وموقف علماء الاندلس منه ، وجهودهم في التأليف على طريقته ، وقد استغرقت هذه الموضوعات نصف الكتاب على حد القريب (٧) وقد أثارت في ذهني كتابات القدماء واستنتاجات المحدثين اسئلة واستنتاجات قد لاتجد ما يؤيدها أبيداً مطلقا ، والبحث بعد هذا يسير في اتجاهات ثلاثة .

الاتجاه الاول : مخطوطات كتاب العين .

في المبحث الذي عقده المحققان الجليلان او صف مخطوطات الكتاب يتبادر الى الذهن أن هناك مخطوطات اخرى لم يستطع المحققان الحصول عليها ، وقد اعتمدا في التحقيق على النسخ الآتية :

١ ــ نسخة الصدر ، وقد جعلاها أصلا في التحقيق وتاريخ كتابتها هو سنة ١٠٥٤ هـ

٢ ــ نسخة طهران وتاريخ كتابتها هو سنة ١٠٨٧هـ .

٣ ــ نسخة مكتبة المتحف وتاريخ كتابتها هو سنة ١٣٥٤هـ .

وقد أشار المحققان في مبحث منهج التحقيق الجزء الذي طبعه الكرملي والجزء الذي طبعه عبد الله درويش (٨) .

والأمر الذي يدعو الى التوقف حداثة أقدم اصل حقق عليه الكتاب إذ يعود تاريخه الى النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري ، وعلى هذا فانه اصل قد لايمثل كتاب العين تمثيلا دقيقاً .

ومن اللافت للنظر أن وزارة الاعلام العراقية أصدرت عام ١٩٧٢م كتاباً من تأليف كوركيس عواد وميخائيل عواد عنوانه (الخليل بن احمد

(٧) المعجم العربي بالاندلس ١١ ــ ٥٧ ، ١٢٥ ــ ١٤٦ .
(٨) كتاب العين ١/٣١ ، ٤٤ .

الفراهيدي حياته وآثاره في المراجع العربية والأجنبية) طرق المؤلفان فيه الى ذكر مخطوطات كتاب العين ، وقد ذكرا فيه المخطوطات الاية :

١ — نسخة الصدر ، وقد اعتمد عليها المحققان أصلا في التحقيق .

٢ — نسخة المتحف ، وقد اعتمد عليها المحققان ايضاً .

٣ — نسخة برلين ، وهي منقولة عن نسخة بغداد كما ذكر الدكتور عبدالله درويش .

٤ — نسخة كاظم الدجيلي ، ونسخة اخرى اعتمدعليها الكرملي في تحقيقه ولا علم للمؤلفين بمصير هاتين النسختين ، ولم يشر اليهما المحققان .

٥ — نسخة كوبرلي باستنبول ورقمها ١٤٤٥ ولم يشر لها المحققان .

٦ — وذكر المؤلفان ايضاً ان الدكتور صلاح الدين المنجد ذكر فيمجلة المكتبة الصادرة سنة ١٩٦٠م العدد الثالث الصفحة ٢٣ انه عثر على اقدم نسخة من كتاب العين كتبت سنة ٣٨٠هـ في بعض خزائن ايران (٩) ، أي : بعد وصول كتاب العين الى البصرة بأقل من قرن (١٠) .

كما أن بروكلمان فيمبحث مخطوطات مختصرالعين علّق على إحدى النسخ ورقمها دحداح ١٥٩ بقوله (وقيل : ان هذه النسخة هي الكتاب الاصلي للخليل وهي في ثلاثة أجزاء) (١١) وقد راسلت مكتبة الدولة ببرلين بوساطة احد المعارف فأنادني بان هذه النسخة لاوجود لها في المكتبة على الرغم من وجود إشارة في فهارسها اليها ، وقد تكون احترقت في ما احترق من الاثار خلال الحرب الثانية ، والمكتبة لاعلم لها بمصيرها .

والمراجع لكتب اللغة يعثر على نصوص كثيرة مأخوذة من كتاب العين ومنسوبة

(٩) ص ١١ — ١٣ .

(١٠) الفهرست ٤٨ . وينظر ايضا مقدمة كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين ١٤٤ .

(١١) تاريخ الادب العربي ٢/١٣٣ .

له ولا أثر لها في ماطبع من الكتاب أذكر منها أمثلة على سبيل المثال لاالحصر :

– جاء في شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف(ومماوقع فيه التصحيف في حرف الخاء الخضب : الحية ، وقال : هي حية بيضاء تكون من الجبل ، والجمع . خضاب) .، ولم يرد المعنى الذي ذكره العسكري في ماطبع من كتاب العين في مادتي (خضب) ٤ / ١٧٨ و (حضب) ٣ / ١٠٩ .

– وجاء فيه ايضاً (فمن التصحيفات الواقعة في كتاب العين مما لا يذهب مثله على الخليل قوله : (القارح) بالقاف وحاء غير معجمة . القوس التي بان وترها عن مقبضها، واستشهد ببيت مصحّف ايضاً

وقارحاً من قصب تقضبا

وانما هو (الفارج) بالجيم والفاء) (١٢) .

ولم يرد المعنى الذي ذكره العسكري فيماطبع من كتاب العين في مادتي (قرح) ٣ / ٤٣ – ٤٤ و (فرج) ٦ / ١٠٩ – ١١٠ كما أن الشاهد ليس فيهما .

– وجاء فيه (ومن التصحيف في حروف الخاء قوله : (بني جخجبى) بعد الجيم خاء معجمة) (١٣) . والمادة ليست في العين .

وليس من المستبعد ان تكون النسخة التي اعتمد عليها العسكري من النسخ التي دخلها التصحيف والتحريف والاضطراب ، اذ قد يعلق أحدهم في حاشية مخطوط ، أو يستدرك معنى ، ويأتي ناسخ آخر فيدخل الحاشية في المتن فيختلط الاصل بالحاشية ، وقد يتعذر على المحقق أن يتنبه للامر إذا لم تكن بين يديه نسخة موثقة تبين له جلية الأمر ، ومن ذلك مثلا ماجاء في كتاب مختصر العين نسخة تطوان (ويقال : العصف . دقاق التبن ، والحرب تعصف بالقوم . اذا ذهبت بهم ، والعاصفة : ماسقط من السنبل كالتبن الذي من حب الحنطة

---

(١٢) ص ٥٩ – ٦٠ .

(١٣) ص ٦٩ – ٧٠ .

ونحوها ، وهو قشر ، وعصفت الريح . . .) والنص في نسخة خزانة القرويين بالصورة الاتية (ويقال : العصف دقاق التبن ، وعصفت الريح .) أما الزيادة التي في نسخة تطوان فهي حاشية في نسخة خزانة القرويين ، ذكر كتابها أنها من النسخة الكبرى من كتاب مختصر العين . وجاء في المختصر نسخة الخزانة الحسنية (. . . ونعام عين ، والنعمة : اليد البيضاء ، وأنعم الله عليه نعمة ، وجارية ناعمة : منعمة ، ونعم كقولك ، بلى الا أنها في جواب الجواب ، والنعماء : النعمة المسرة ، والنعامة : معروفة) وفي بقية نسخ المختصر (... ونعام عين ، والنعامة : معروفة) أما الزيادة فهي حاشية في نسخة خزانة القرويين .

ــ جاء في مختصر العين : (الهلع والهلاع : الجبن عند اللقاء) (١٤) والمادة ومعناها عن العين في المخصص ٣ / ٦٥ وليست في العين مادة (هلع) .

ــ جاء في التهذيب (قال الليث : المعراض: سهم يرمى به بلا ريش يمضي عرضاً) (١٥) والمادة ومعناها في مختصر العين ص ٢٩ وليست في العين

ــ جاء في مختصر العين (وظبي عاطس : اذا استقبلك من أمامك) (١٦) وهي عن الليث في اللسان (عطس) ، وليست في العين .

ــ جاء في مختصر العين (وشاة ثعلول : تحلب من ثلاثة أمكنة وأربعة للزيادة التي فيها)(١٧) ، وفي التهذيب (ثعل) عن الليث (والثعاول : الشاة التي تحلب من ثلاثة امكنة او اربعة للزيادة التي في الطبي) ، والمعنى ليس في العين

ــ جاء في مختصر العين (والريح تمضع الخشبة : تستخرج نداوتها) (١٨) والمادة عن الليث في التهذيب (مضع) ، وليست في العين ، وغيرها كثير .

---

(١٤) ص ٨ .
(١٥) مادة (عرض) ١/٤٦٦ .
(١٦) ص ٣٣ .
(١٧) ص ٤٧ .
(١٨) ص ٤٥ .

ان مختصر العين لأبي بكر الزبيدي أقدم أثر يعطينا صورة عن كتاب العين بالأندلس في القرن الرابع وهي صورة غاية في التشويه إذا قارناها بصورة كتاب العين المطبوع ، إذ إنه من الصعب على المقارن أن يخرج باحدى النتيجتين الاتيتين .

الأولى : ان الكتاب قد اختصر من نسخة من كتاب العين يكاد يكون كتاب العين المطبوع مختصراً منها ، بسبب الاضافات الكثيرة التي لم ترد في المطبوع ، وتترجح هذه النتيجة حينما ينظر في مقدمة المختصر فيرى أن الزبيدي لايذكر فيها أنه سيحشو اختصاره بمادة لغوية لم ترد في الأصل ، أو يأتي بمعان لمادة لغوية لم ترد في الأصل ايضاً كما أن موضوع الكتاب اختصار لكتاب آخر .

الثانية : إن المختصر يمت الى الأصل بصلة،غير أنه ليس اختصاراً بالمعنى الدقيق ، فهو تأليف اعتمد على مادة في أصل ، بدليل ان أغلب المواد اللغوية التي يتفرد بها المختصر تعزى في كتب اللغة لعلماء آخرين غير الخليل ، كالأصمعي وابن الأعرابي وابن دريد وغيرهم . واذا علمنا أن مختصر العين الذي بين أيدينا هو اختصار صغير ، وأن هناك اختصاراً آخر للزبيدي أكبر منه ، ولم يصل الينا ، (١٩) يكون تصور الأمر في غاية الصعوبة . ولرب سائل يسأل ، أية نسخة من العين كانت بين يدي الزبيدي ودفعته الى القول : (إن الكتاب لايصح له ولا يثبت عنه) (٢٠) بالصورة التي هوعليها ، وذلك بسبب ما أصابه من تحريف وتصحيف واختلال فليس للخليل فيه من يد في اكبر الظن سوى أنه (سبب أصله ، ورام تثقيف كلام العرب به ، ثم هلك قبل كماله ، فتعاطى اتمامه من لايقوم في ذلك مقامه فكان ذلك سبب الخلل الواقع به

(١٩) في مخطوطة القرويين رقم ١٢٣٨ نقول كثيرة منه .

(٢٠) مختصر العين ١ .

والخطأ الموجود فيه) . (٢١) ان اغلب الأخبار التي بين ايدينا عن نسخ كتاب العين في الأندلس جاءت عن طريق الزبيدي نفسه ، فقد ذكر ان ثابت بن عبد العزيز وابنه قاسم أول من أدخل كتاب العين الى الأندلس ، وقد انتسخاه بمكة ، ومن النسخ المعروفة أيضاً نسخة منذر بن سعيد الباوطي ، التي كتبها بالقيروان وقابلها بمصر بنسخة ابن ولاد ، وقد آل أمر هاتين النسختين الى خزانة الحكم ، وقد نقد الزبيدي كتاب العين من خلال هاتين النسختين نقداً لاذعاً (٢٢) .

ويبدو أن نسخاً كثيرة آلت إلى خزانة الحكم ، وبسبب اضطراب تلك النسخ وتباينها شكل الحكم لجنة رأسها القالي ، وكان من أعضائها أبو بكر محمد ابن الحسين الفهري ، ومحمد بن أبان بن سيد اللخمي وأحمد بن أبان ابن سيد اللخمي للنظر في نسخ كتاب العين واخراج نسخة محققة منه (٢٣) . ولعل أول ما يتبادر الى الذهن أن الزبيدي اعتمد على النسخة المحققة أصلا في الاختصار ، فهي نسخة ارتضاها شيخه ،واستقر رأيه عليها ، ولاسيما أن الزبيدي قد اطلع على نسختي ثابت بن عبد العزيز ومنذر بن سعيد ونقدهما ، ولكن إشارة ترد في احد كتب ابن السيد البطلوسي تزعزع هذه الرؤية فقد ذكر (وضربه على فَلْقِ مفرقه كذا (٢٤) . وقع في نسخ كتاب العين ، ووقع في نسخة ابي بكر الزبيدي بكسر الفاء) (٢٤) . وعلى هذا نستنتج ان الزبيدي يمتلك نسخة خاصة من العين معروفة في القرن السادس . ان الذي يتصدى لتحقيق اهم أثر لغوي في العربية يتصدى لامر جلل ، ويحتسب

(٢١) مختصر العين ١ .
(٢٢) طبقات النحويين واللغويين ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، مقدمة كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين ١٤٢ — ١٤٣ .
(٢٣) جذوة المقتبس ٥١ وانظر أيضا المعجم العربي بالاندلس ١٣ — ١٦ .
(٢٤) المثلث ٢/٣٣٧ .

له مجرد التصدي ، الاأنه لابد أن يقدم في مبحث مخطوطات ذلك الأثر ثبتاً بنسخه المخطوطة وجهده في متابعة تلك النسخ ، ولا سيما مع وجود إشارة إلى نسخة يعود تاريخها إلى منتصف القرن الرابع . وقد يحول ذلك دون تحقيق الكتاب واخراجه قبل النظر فيها ، أو التنويه عنها ، وفي الراجح ان هذا الخبر من الأخبار المعروفة عند المحققين وكذلك خبر النسخة الاستنبولية التي لانعرف عن تاريخ نسخها أو عن وصفها أي شيء . كما أن المحققين الجليلين على الرغم من رجوعهما الى مختصر العين في مواضع عدة ، فانه لم يكن لهما اي موقف من المادة اللغوية التي يتفرد بها صاحب المختصر ولا اثر لها في العين ، وهي كثيرة جداً .

ولما كانت مجلة الخالدين تجوب آفاق الدنيا فقد وجدتها مناسبة لدعوة علماء العربية لمعاودة البحث عن نسخ اخرى من الكتاب ، أو وصف النسخ التي لم يستطع المحققان الاطلاع عليها ، ومقابلتها بالمطبوع لكي نمسح الغبار الذي عفر كتاب العين ، إرث الحضارة العربية ، ورمز الشموخ الثقافي .

الاتجاه الثاني : سبب اختلاف القدماء في كتاب العين .

لا يراودني شك في أن كتاب العين من تأليف الخليل لأسباب كاد يجمع المحدثون عليها ، ولكن لماذا اختلف القدماء في مادته ونسبته ؟ ولماذا أشاع القالي انكار السجستاني نسبة الكتاب للخليل في الأندلس (٢٥) ؟ ولماذا اعتمد مادته أصلاً لبارعه ؟، لماذا تحامل الزبيدي على الكتاب حتى قال : (لم يلتفت أحد من العلماء اليه . . . ولا استجازوا رواية حرف منه ، ولو صح الكتاب عن الخليل لبادر الأصمعي واليزيدي وابن الأعرابي وأشباههم الى تزيين كتبهم وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليل والنقل لعلمه) (٢٦) ؟ لم لم ينشر القالي

(٢٥) مقدمة كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين ١٤٣ .
(٢٦) المصدر السابق ١٤٤ ـ ١٤٥ .

رأي شيخه ابن دريد الذي يقول في كتاب العين : (وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي رضوان الله عليه كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنّى من سما الى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده تبع أقر بذلك أم جحد) (٢٧) . كيف نفسر التذبذب في الروايات المنقولة عن النضر ، فهو منكر في رواية ، مستدرك في أخرى ، مشارك في تأليف الكتاب في ثالثة ، ثم ما مدى صحة الاقوال التي تنقل عن الليث ، وما مدى مشاركته في الكتاب ؟ هل كان مجرد ناسخ له ، أم مشارك في تأليفه ، ام وضع الخليل هيكل الكتاب وحشاه الليث ، أم ألف الخليل حرف العين والف الليث بقية الكتاب ؟ وما مدى صحة الرواية التي تذهب الى أن الليث كان حريصاً على الكتاب كثير المطالعة فيه ، وبسبب شرائه جارية أحرقت زوجه الكتاب فأملى نصف الكتاب من حافظته وعاونه بعض العلماء في اكمال النصف الآخر (٢٨) .

ولندع كل الروايات والأسئلة السابقة في جانب ، وننظر في مايأتي : يذكر ابن النديم الرواية الاتية : (قرأت بخط أبي الفتح بن النحوي صاحب بني الفرات ، وكان صدوقاً منقراً بحاثاً ـ قال ابو بكر بن دريد وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان وأربعين ومئتين قدم به وراق من خراسان ، وكان في ثمانية وأربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً ، وكنا نسمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق) (٢٩) . ويمكن ان نستنسج

(٢٧) الجمهرة ١/٣ .

(٢٨) ينظر في اقوال العلماء في كتاب العين الفهرست ٤٨ ـ ٤٩ ، تهذيب اللغة ١/٢٨ ـ ٣٠ ، ٤١ ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٥٩ ، معجم الادباء ١١/٧٤ ، ١٧/٤٣ ـ ٥٢ ، مراتب النحويين ٣٠ ـ ٣١ ، انباه الرواة ١/٣٤٣ ، ٣٤٦ ، وفيات الاعيان ٢/٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، المزهر ١/٧٧ ومابعدها، كشف الظنون ١٤٤١ ـ ١٤٤٤ ، عبقري من البصرة ٦٣ ـ ٧٤ ، مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري ١٦٥ ـ ٢١٦ .

(٢٩) الفهرست ٤٨ .

من الرواية السابقة مايأتي :

١ ـ ان ابن النديم يميل إلى توثيق رواية أبي الفتح فقد (كان صدوقاً منقراً بحاثاً) .

٢ ـ إن اول نسخة من الكتاب وصلت الى البصرة في رئاسة السجستاني العلمية وفي أخريات أيامه (ت ٢٥٥هـ) وهو أمر يجعلنا نميل الى تصديق رواية ابن النديم هذه إذ إن الزبيدي يذكر أن الكتاب (ظهر بأخرة من زمن أبي حاتم وفي حال رياسته وذلك في ما قارب الخمسين والمئتين لأن أبا حاتم توفي سنة خمس وخمسين ومائتين) (٣٠) .

٣ ـ وهي رواية لاتتعارض مع موقف ابن دريد من كتاب العين . إذ انه لايشك في نسبته للخليل (٣١) ، ولعله كان من شهود وصوله الى البصرة ، فهو من مواليدها سنة ٢٢٣ هـ (٣٢) .

٤ ـ إن خبر كتاب العين قد وصل الى البصرة قبل سنة ٢٤٨هـ بزمن لانستطيع تقديره ، ولكن اي خبر هو ، انه خبر وجود كتاب اسمه العين ينسب للخليل في خزائن الطاهرية .

٥ ـ ان اول نسخة من الكتاب تصل الى البصرة بعد وفاة الليث بمدّة ، فقد كانت وفاته في نهاية القرن الثاني الهجري (٣٣)

٦ ـ ان الكتاب وصل الى البصرة من خراسان بصحبة وراق مجهول لعله لم يكن معروفاً فيها على الاطلاق ، واية تهمة تلصق بطالب العلم الذي يأخذ عن الوراقين في ذلك العصر .

---

(٣٠) مقدمة كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين ١٤٤ .
(٣١) الجمهرة ٣/١ .
(٣٢) المصدر السابق المقدمة ٤/١ .
(٣٣) معجم الادباء ٤٣/١٧ ـ ٥٢ ، انباه الرواة ٤٢/٤ وانظر ايضا مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري ١٥١ .

٧ – لما كانت حركة التأليف في ذلك العصر تعتمد أولاً على الرواية الشفوية فيكون وصول الكتاب الى البصرة بالصورة التي وصل فيها ليس طبيعياً وسوف يرفضه الجمهور.

٨ – ولكن الكتاب الذي وصل الى البصرة ينسب الى الخليل فلابد أن يتلاقفه النساخ ، ولابد أن ينظر فيه طلاب العربية ، ولا بد أن تدور حوله الأحاديث ولاسيما أن الكتاب أول في بابه .

٩ – ولكن هل نسخة الوراق هذه هي أمٌ لجميع نسخ البصرة أم ان هناك من سافر الى خراسان فنظر في نسخة الخزانة الطاهرية ؟ لا أشك في أن نسخاً أخرى وصلت الى البصرة منتسخة عن النسخة الطاهرية .

١٠ – ولك أن تسأل عن مصدر نسخة الطاهرية هذه . هل هي نسخة الليث ، أم منتسخة منها أم بينها وبين نسخة الليث نسخ أخرى ؟ في الغالب هي نسخة الليث (وكنا نسمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في خزائن الطاهرية) فليس في الخبر ماينبئ بوجود نسخ اخرى غيرها .

لننتقل الى أمر آخر . وهو اخبار رواية الكتاب عن الليث(٣٤) وهل حقاً رويت نسخة منه عن الليث ؟

الأخبار التي بين ايدينا لا تؤيد هذا الاتجاه تأييداً قاطعاً ، فقد ذكر أن محمد بن منصور المعروف بالزاج المحدث كانت له علاقة بالليث ، اذ نقل اخباراً عنه ، ومحمد هذا لم يرو الكتاب عن الليث فعلاً ، انما انتسخه من نسخته ، كما أن نسخة علي بن مهدي من كتاب العين التي أخذها عن محمد منتسخة ايضاً جاء في الفهرست (قال علي بن مهدي : فأخذت من محمد بن منصور

(٣٤) ينظر في سند روايته معجم مقاييس اللغة ٣/١ – ٤ ، فهرسة ابن خير ٣٤٩ – ٣٥٠ . المزهر ٩١/١ – ٩٢ . وقد صنع زميلنا الدكتور محمد حسين آل ياسين شجرة لاسانيد العين في رسالته الموسومة الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث ٢٢٤ .

نسخة هذا الكتاب ، وهي العين ، انتسخها محمد بن منصور من الليث) (٣٥) وعلى هذا فمن الراجح أن جميع النسخ المروية عن محمد بن منصور أو عن علي بن مهدي لم ترو عن الليث ، انما هي منتسخة من نسخه ، كما أن الاخبار المنقوله عن محمد بن منصور عن الليث لايمكن الاطمئنان اليها إذ كيف يأتي بكل تلك الاخبار ولا يروي الكتاب عنه انما ينقله من نسخته (٣٦) .

ويذكر ابن فارس في مقدمة كتابه المقاييس سنداً للعين هو : (كتاب العين اخبرنا به علي بن ابراهيم القطان في ما قرأت عليه ، اخبرنا أبو العباس احمد ابن ابراهيم المعداني ، عن أبيه ابراهيم بن اسحاق عن بندرا بن لزة الأصفهاني ، ومعروف بن حسان عن الليث عن الخليل) (٣٧) وسند ابن فارس على الرغم من وجاهته لانستطيع الاطمئنان اليه اذ لم اعثر على ترجمة لاحمد بن ابراهيم ولا لأبيه ، كما أن محقق كتاب المقاييس لم يعثر لهما على ترجمة ، ولم نجد أية اشارة في ترجمة بندار تشير الى روايته كتاب العين عن الليث (٣٨) أما معروف بن حسان فسنتحدث عنه في أثناء مناقشة سند ابن خير .

يذكر ابن خير سنداً للكتاب هو (... قال : حدثني به القاضي منذر بن سعيد البلوطي عن أبي العباسي احمد بن محمد بن الوليد المعروف بولاد التميمي النحوي عن ابيه محمد بن الوليد عن ابي الحسن علي بن مهدي عن أبي معاذ عبدالجبار بن يزيد عن ليث بن المظفر بن سيار الليثي عن أبي عبد الرحمن عن الخليل) (٣٩) وليس خافياً عليك أن (عن) الأخيرة التي وردت في السند زائدة اذ ان ابا عبد الرحمن هو الخليل ، ولعله سهو طباعي ، ويلاحظ على السند ما يأتي .

---

(٣٥) الفهرست ٤٨ .
(٣٦) المصدر السابق ، وينظر ايضا معجم الادباء ١٧/٥١ — ٥٢ .
(٣٧) معجم مقاييس اللغة ١/٣ — ٤ .
(٣٨) ترجمته في طبقات النحويين واللغويين ٢٠٨ ، الفهرست ٩١ ، معجم الادباء ١٢٨/٧ ، انباه الرواة ٢٥٧/١ .
(٣٩) فهرسة ابن خير ٣٤٩ — ٣٥٠ ، وانظر ايضا المزهر ٩١/١ — ٩٢ .

١ ـ ان القاضي منذر بن سعيد البلوطي لم يرو الكتاب عن أبي العباس أحمد ابن محمد ، فقد ذكر الزبيدي وتابعة القفطي (حدثني قاضي القضاة منذر بن سعيد أتيت ابن النحاس في مجلسه ... قال القاضي : فما زال يستثقلني بعدها حتى منعني العين ، وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخته ، فلما قطع بي ، قيل لي : أين انت من ابن ولاد فقصدته ، فوجدت رجلاً كامل العلم والأدب حسن المروءة وسألته الكتاب فأخرجه الي) (٤٠) .

٢ ـ ان السند يتصل بعلي بن مهدي، وسبق أن رجحت ان جميع النسخ المروية عنه أو التي يتصل سندها به لم ترو عن الليث .

٣ ـ في مقدمة كتاب العين يطالعنا اسم أبي معاذ عبد الله بن عائذ (٤١) وفي سند ابن خير يطالعنا اسم ابي معاذ عبد الجبار بن يزيد ، وفي سند ابن فارس يطالعنا اسم أبي معاذ معروف بن حسان ، ومن الغـريب أن المصادر لم تفصح عن أخبار أحدهم أو عن علاقته بالليث . وفي الراجح أن هذه الشخصيات الثلاث هي شخصية واحدة تفرعت بسبب التحريف والتصحيف في المصادر السابقة.

٤ ـ ان وجود سند لكتاب لايعني بالضرورة أن من ذكر اسمه في السند قد أخذ الكتاب رواية بدليل ما لاحظناه في هذا السند . وبدليل نقد الزبيدي لنسخة المنذر هذه . فالمسري يسمع علم أبي عبيد وقد كانت ولادته بعد وفاة ابي عبيد (فكيف نسمع الموتى في حال موتهم ، أو ينقلون عمن ولد من بعدهم (٢٤) . وعلى الرغم من موقف ابن فارس من كتاب العين وقوله فيه : (وبناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية تحتوي أكثر اللغة . فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد المسمى كتاب العين) (٤٢) .

---

(٤٠) طبقات النحويين واللغويين ٢٢١ ، انباه الرواة ١/١٠٣ .
(٤١) العين ١/٤٨ .
(٤٢) معجم مقاييس اللغة ١/٤ ، الصاحبي ٤٨ .

الا أنه لم يسلم في صحة كل ما جاء فيه وقد نزه الخليل عن الخلل الذي ورد في الكتاب الا أنه قال (ثم ان الكتاب الموسوم ، به من الاخلال ما لاخفاء به على علماء اللغة ومن نظر في سائر الأصناف الصحيحة عَلِمَ صحة ما قلناه (٤٣). فلو كان الكتاب صحيح الرواية لما نزه الخليل عن الخلل .

وذكر الأزهري (وكان شمر رحمه الله مع كثرة علمه وسماعه لما الف كتاب الجيم لم يخله من حروف كثيرة من كتاب الليث عزاها الى محارب ، وأظنه رجلاً من اهل مرو ، وكان سمع كتاب الليث منه) (٤٤) وقبل التعليق على كلام الأزهري أذكر لك ما قاله في أبي عمرو شمر بن حمدويه الهروي (ت ٢٥٥هـ) (٤٥) قبل خمس صفحات من كلامه السابق (ولما القى عصاه بهراة الف كتاباً كبيراً في اللغات اسسه على الحروف المعجمة ، وابتدأ بحرف الجيم في ما أخبرني أبو الإيادي وغيره ممن لقيه ، فأشبعه وجوّده ، الاانه طوله بالشواهد والشعر ، والروايات الجمة عن أئمة اللغة وغيرهم من المحدثين ، وأودعه من تفسير القران بالروايات عن المفسرين ومن تفسير غريب الحديث اشياء لم يسبقه الى مثله أحد تقدمه ، ولا أدرك شأوه فيه من بعده ، ولما اكمل الكتاب ضن به في حياته ولم ينسخه طلابه ، فلم يبارك له في ما فعله حتى مضى لسبيله فاختزل بعض أقاربه ذلك الكتاب من تركته ، واتصل بيعقوب بن الليث السّجزي فقلّده بعض أعماله ، واستصحبه الى فارس ونواحيها وكان لايفارقه ذلك الكتاب في سفر ولاحضر ، ولما أناخ يعقوب بن الليث بسيب بني ماوان من أرض السواد ، وحط بها سواده ، وركب في جماعة المقاتلة من عسكره مُقدّراً لقاء الموفق وأصحاب السلطان فَجَرَ الماء من النهروان على معسكره فغرق ذلك الكتاب في جملة ما غرق من

(٤٣) مقدمة كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين ١٤٣ .
(٤٤) تهذيب اللغة ٣٠/١ .
(٤٥) ترجمته في معجم الادباء ٢٧٤/١١ ـ ٢٧٥ .

سواد العسكر . ورأيت انا من أول ذلك الكتاب تفاريق أجزاء بخط محمد ابن قسورة فتصفحت أبوابها فوجدتها على غاية الكمال ، والله يغفر لأبي عمرو ويتغمد زلته) (٤٦) . وتلاحظ أن مصدره في خبر كتاب الجيم هذا أبو بكر الإيادي وغيره ، والكتاب كما صرح لم يروه احد ، فقد كان صاحبه ضنيناً به ، ولم ينسخه طلابه . كما أن الرواية في نصفها الثاني يكتنفها الغموض اذ لايعرف بدقة هل كان كتاب الجيم لايفارق قريبه في سفر ولا حضر ، أو لايفارق يعقوب بن الليث ، وعلى العموم فان الكتاب غرق قبل أن ينسخه أحد ، وقد وردت الرواية نفسها بصورة أخرى ، ولكنها أكثر دقة في معجم الأدباء اذ جاء فيه أن الكتاب لم ينسخه أحد في حياة أبي عمرو ، وبعد وفاته انتقل الى بعض أقاربه فخزنه ولم ينتفع به ، وذكر ياقوت أيضاً ، وقيل : ان الذي اتصل بيعقوب هو أبو عمرو وليس أحد اقاربه (٤٧) . وبعد كل هذا يقول الازهري (ورأيت انا من أول . . . النص) فأين رآها وخبر الكتاب عن الايادي وهو خبر لايمكن أن يستنتج منه أن الكتاب قد انتسخه أحد ، ولا أدري من ساق له خبَر رواية محارب لكتاب الليث ، واذا كان الأزهري لايعرف محارباً فكيف عرف بسماعه الكتاب عن الليث .

وانت أعزك الله حين تقرأ سيرة الليث لاتجد فيها ذكراً لأحد يروي الكتاب عنهلذا فانه من الراجح أن الكتاب لم يروعن الليث وهو براء من كل ما ورد فيه من أغلاط براءة الخليل . اذ إن الكتاب انتسخ من نسخته ، ولا استبعد ان يكون انتساخ الكتاب واشتهار أمره كان بعد انتقاله الى الخزانة الطاهرية ، وبعد وفاة الليث ، اذ أرى أن الرجل كان حريصاً عليه ضنيناً به على غيره ، وان الاغلاط التي وردت في بعض نسخه وقعت بسبب عبث النساخ ، ويؤيد

---

(٤٦) تهذيب اللغة ٢٥/١ .

(٤٧) معجم الادباء ٢٧٤/١١ .

هذا الاتجاه ما جاء في الفهرست أيضاً (وقيل : ان الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان ، فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية ، ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل احد ، ولا روي في شيء من الأخبار انه عمل هذا البتة) (٤٨) وجاء فيه عن ثعلب (فإن أردتم كتاب العين فموجود ولا رواية له) (٤٩) .

وبناء على ما تقدم يمكن تفسير اختلاف القدماء في كتاب العين فمن حق السجستاني أن ينكر الكتاب جملة وتفصيلاً ، اذ كيف يوثقه ولم يرو عن أحد ، وهو بخط وراق مجهول (٣) غير أن الغبار الذي عفر وجه الحقيقة سرعان ما يزول فإن تلميذ السجستاني ابن دريد رأى ببصره وبصيرته العمل الجبار الذي لايستطيع ابتكاره غير الخليل ، وليس ببعيد أن يكون قد نظر في نسخ أخرى غير نسخة ذلك الوراق .

أما الرواية التي تروى عن اسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ) والتي تذهب الى أن الخليل عمل من كتاب العين باب العين ، وأحب الليث أن ينفق سوق الخليل فصنف باقي الكتاب . . الخ ، فمن السهل أن نشك فيها ، ونرفضها اذا نظرنا في سندها ، اذ حكاها ابو عمر الزاهد عن فتى رواها عن ابيه قدم من خراسان لكي يقرأ على الزاهد كتاب العين (٥٠) . ولا أدري كيف تكسد سوق الخليل ، وهو امام العربية ، ويبدو أن الفتى الخراساني أراد أن تنفق سوقه ، فحدث عن أبيه ، عن اسحاق بحديث أرى أن اسحاق بن راهويه براء منه (٥١) ،

---

(٤٨) الفهرست ٤٨ .

(٤٩) المصدر السابق ٦٦ .

(٥٠) من اللافت للنظر ان أحدا من علماء المشرق لم يذكر راي السجستاني في كتاب العين ، كما انه لم يرد في أحد كتب القالي ، والذي ذكره عن القالي هو الزبيدي ، وقد شك الدكتور رشيد العبيدي في صحته ، ينظر مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري ١٧٣ .

(٥١) مراتب النحويين ٥٧ ، وينظر ايضا معجم الادباء ١٧/٤٤ ـ ٤٥ .

والفتى الخراساني عند العسكري هو ابو الحسين النيسابوري ، وقال العسكري بشأن هذا الخبر : (وحكى لي أبو عمر بن عبد الواحد خبراً انا أوجس منه ولولا أنه ذكر في اسناده اسحاق بن راهويه ومحله من الصدق في مايحكيه محل جليل لأمسكت عن ذكره . . . والله أعلم كيف صحة هذا الخبر) (٥٢) .
ويستنتج من رأي ثعلب (٢٩١هـ) رأس المدرسة الكوفية في زمانه أن الرجل اجتهد في تبرير الغلط الواقع في كتاب العين ، فالخليل لم ير مثله ، وهذا يعني أن مصدر أي غلط في الكتاب شخص آخر غير الخليل فهو أجل من أن يقع في مثله . وهو يرى أن قوماً من العلماء شاركوا في حشو الكتاب غير أنه لم يسمّهم ، ولم يذكر مصدراً يستند عليه ، وليس من المستبعد أن يكون رأيه هذا مجرد استنتاج بسبب ما وجده في النسخ التي اطلع عليها من أخطاء ، اذ يذكر أيضاً ان هذا الحشو لم يؤخذ رواية عن العلماء ، انما وجد بنقل الوراقين (٥٣) ، واستنساج ثعلب وجيه في تبرير الأغلاط التي وردت في النسخ التي اطلع عليها ، وسبق أن ضربت أمثلة لما يمكن أن يحدث حينما يدسّ وراق ما حواشي كتاب ما في متنه ، فيظهر كتاب جديد يمتّ الى الأصل بصلة ، وخاصة اذا كانت الحواشي التي أدخلها في المتن كثيرة .

ويبدو ان المفضل بن سلمة كان يرى أن العين من تأليف الخليل ، الا انه (٥٤) يختلف معه فيستدرك . ويصحح ما يراه خطأً ، أو محالاً ، أو مصحفاً . غير أنه لم يصب في كل ما ذهب اليه فرده ابن الخشاب ونفطويه (٥٥) .
وقد نظر ابن دريد في ملاحظات المفضل نظرة موضوعية فاحصة فألف كتاباً سماه (التوسط) (٥٦) أثبت فيه صواب ابن سلمة وغلطه في استدراكاته ،

---

(٥٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٥٩ .
(٥٣) تهذيب اللغة ٢٩ ، معجم الادباء ٤٤/١٧ ، مراتب النحويين ٣٠ – ٣١ .
(٥٤) الفهرست ٤٩ ، ٨٠ .
(٥٥) المصدر السابق ٦٩ ، ٩٠ .
(٥٦) المصدر السابق ٦٧ .

كما أن أبا الطيب اللغوي حينما نظر في استدراكات المفضل بن سلمة قال (رد أشياء من كتاب العين أكثرها غير مردود ، واختار في اللغة والنحو ومعاني القرآن اختيارات غيرها المختار) (٥٧) .

وذهب عبد العلي الودغيري الى أن القالي لم تكن له وجه نظر واضحة في كتاب العين (٥٨) . ولا أستبعد أن يكون القالي قد ذهب الى ماذهب اليه شيخه ابن دريد في الكتاب بعد أن شارك في تحقيقه بأمر من الحكم ، وبعد أن الف كتابه البارع ، اذ كيف نفسر نقله أغلب مادة كتاب البارع من كتاب العين ، ونسبتها للخليل ، وقد علّل الودغيري سبب ذهاب بعض الباحثين الى القول بأن القالي كان له رأي مشابه لرأي تلميذه الزبيدي ، ولرأي السجستاني بسبب سوء فهم نص الزبيدي الاتي :

(وحدثنا اسماعيل بن القاسم البغدادي قال : لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمان أبي حاتم أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الانكار ودفعه بأبلغ الدفع .

وكيف لاينكره أبو حاتم على ان يكون بريئاً من الخلل ، سليماً من الزلل وقد غبر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لايعرفون هذا الكتاب ولا يسمعونه .) الى أن يقول :

(ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أن جميع ما وقع فيه . . .) يقول الودغيري (وسوء فهم هذا النص آت من اعتبار أن كل هذا الكلام المتصل هو من لفظ ابي علي القالي ، ولذلك نسب اليه مالم يقل ، وحمّل رأياً لم يصرح به والواقع ان لفظه – ابي القالي – ينتهي عند عبارة (ودفعه بأبلغ الدفع) ، ولم يكن الترقيم شائعاً بين القدماء حتى يفصلوا بين الجمل والأقوال ، والاوجدنا ذلك الفاصل بين كلام القالي وبين تعليق الزبيدي الذي بدأه بتساؤله قائلاً

(٥٧) مراتب النحويين ٩٧ .

(٥٨) أبو علي القالي واثره في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس ٢٦٦ .

وكيف لاينكره ابو حاتم (٥٩)

الاتجاه الثالث :

التصحيف والتحريف في الكتاب .

كثر الحديث قديماً عن التصحيف والتحريف والغلط في كتاب العين ، وألفت فيه كتب ورسائل ، وردّت تلك الكتب والرسائل من آخرين (٦٠) .

والباحث في كتاب العين ينظر فيه بشيء من الحذر بسبب ماقيل فيه ، ولما كان الكتاب من أهم آثارنا الحضارية اللغوية ، فان الواجب يدعونا الى دراسته دراسة متأنية في ضوء النقد الذي وجه له ، لكي ننقيه من الشوائب التي كدرته .

ولعل أهم مصادرنا في هذه الدراسة أربعة كتب ألفت في القرن الرابع هي :

١ ــ المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) (٦١) ، اذ إن من مصادره المهمة كتاب (تكملة العين للخارزنجي البشتي ، الذي (تردد اسمه كثيراً في (المحيط) وتكرر النقل عنه وبخاصة في ما أهمله الخليل) [٦٢] .

وقد وردت فيه بعض المواد اللغوية مهملة عند الخليل كما نص على ذلك الخارزجي وهي في ما طبع من العين (٦٣) .

٢ ــ تهذيب اللغة للازهري (ت ٣٧٠هـ) . وهو أهمها بسبب كثرة مآخذه التي بثت في ثنايا الكتاب ، وبسبب حملته التي شنها على كتاب العين ، وانكاره نسبته للخليل (٦٤) . وعلى الرغم من تعرض جميع دارسي كتاب العين لمقدمة

(٥٩) أبو علي القالي واثره في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس ٢٦٦ ، المعجم العربي بالاندلس ١٧ .

(٦٠) ينظر على سبيل المثال لا الحصر الفهرست ٤٩ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨٣ ، كشف الظنون ١/١٤٤١ ــ ١٤٤٤ .

(٦١) نشرت من الكتاب ثلاثة اجزاء بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

(٦٢) المحيط ١/٢٨ .

(٦٣) ينظر على سبيل المثال المحيط ٢/٢٥٥ المتن و الحاشية .

(٦٤) تهذيب اللغة ١/٢٨ ــ ٣٠ .

الأزهري بالنقد والتحليل ، كما أن الزميل رشيد العبيدي درس تهذيب الأزهري دراسة نال بها شهادة الدكتوراه (٦٥) فان جانباً هاماً من جوانب الكتاب لم يدرس دراسة احصائية نقدية لغوية . وهو مآخذه على العين ، وقد مهد السبيل في هذا الجانب الاستاذان الجليلان مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، اذ عرضا أمثلة استنتجا منها أن (ماكان يرد به الازهري على الليث ويزعم انه مصحف أو أنه غير معروف فأكثرها مزاعم يبطلها مراجعة نصوص العين ، وقد وضح لدينا في كثير من الاحيان أن الازهري كان لايتوانى عن النيل من العين أو نسبة التخليط اليه ولو باطلاً) (٦٦) .

٢ – استدراك الغلط الواقع في كتاب العين لأبي بكر الزبيدي (٣٧٩هـ) ، وقد وصفه الزميل عبد العلي الودغيري ، وتحدث عن قطعه المتفرقة وحقق مقدمته في بحث نشره في مجلة المناهل المغربية العدد ٨ سنة ١٩٧٧ (٦٧) وأعاد نشر البحث المذكور في كتابه المعجم العربي بالأندلس (٦٨) ، وقد تكرم باعارتي مصورة المخطوط بغية اعادة تصويرها ، وقد جاهدت في أثناء اقامتي بفاس المحروسة من اجل النظر في الأصل المخطوط وساعدني في هذا الأمر جميع المعنيين في خزانة القرويين ، كما ساعدني أمينها الاستاذ عبد العزيز الدباغ فَبحثنا عن الكتاب في قسم الخرزم بالمكتبة مرات عدة فلم نعثر على الأصل. والمصورة التي بين يدي لايمكن قراءة اغلب صفحاتها بسبب ما اصاب الاصل من آفات ، وأنا على استعداد لتقديمها لكل من يرغب بدراسة مادتها اللغوية دراسة لغوية نقدية ، كما سأقدم ان شاء الله ثبتاً بما استطعت قراءته من المخطوط في بحث مستقل .

---

(٦٥) العين ٢١/١ – ٢٣ .
(٦٦) العين ٢١/١ .
(٦٧) ص ١٧٣ – ٢٠٢ .
(٦٨) ص ١٢٥ – ١٤٦ .

٣ – شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري (ت ٣٨٢هـ).
وقد أجمل العسكري موقفه من الكتاب في الباب الذي عقده لما ورد من أوهام على حد زعمه – فشك في نسبته ، اذ قال : (ماوهم فيه الخليل بن أحمد في كتاب العين – ان كان عمله) (٦٩) ذلك أنه رأى مشايخه (كالمجمعين على أن الخليل إنما عمل بعض الكتاب) (٧٠) ثم نقل أقوالاً ناقشها رشيد العبيدي ولا أرى مايدعو للعودة اليها ثانية . وقد قمت بدراسة مآخذ العسكري فتبين لي أن قسماً من تلك المآخذ لاوجود لها في ما طبع من كتاب العين ، وأن قسماً منها مخالف لما ورد في المطبوع أما القسم الأخير فله ما يؤيده في كتب اللغة ويدفع عنه حجج العسكري على ما سيتبين لنا .
١ – قال العسكري (فمن التصحيفات الواقعة في كتاب العين مما لايذهب مثله على الخليل ، قوله : القارح بالقاف وحاء غير معجمة : القوس التي بان وترها عن مقبضها واستشهد ببيت مصحّف أيضاً :

وقارحاً من قصب نقضبا

وانما هو الفارج بالجيم والفاء . . .) (٧٢) .
والمادة لم ترد بهذا المعنى في العين في مادتي (قرح) ٣ / ٤٣ – ٤٤ و (فرج) ٦ / ١٠٩ – ١١٠ كما أن الشاهد ليس فيهما .
٢ – وقال : (وقرأت على ابن دريد ، الهَمَيْغُ : الموت الوحي بالغين المعجمة وانشد . . . ثم قال أبو بكر : وخالف الخليل الناس ، فقال : الهميعُ بالعين غير المعجمة ، وذكر أن الهاء والغين المعجمة لم تجتمع في كلمة ، وقال أبو حاتم : الميم زائدة) ص ٦٠ .

(٦٩) ص ٥٧ .
(٧٠) الصفحة السابقة .
(٧١) مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري ١٨٣ – ١٨٦ .
(٧٢) ص ٥٩ – ٦٠ .

والكلمة في العين (همع) ١ / ١١٠ وتهذيب اللغة (همع) ١ / ١٤٩ الهيمع ، الياء قبل الميم ، وهي في الجمهرة (ذعط) ٢ / ٣١٣ كما في شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، الهميع الميم قبل الياء . ولم يكن العسكري أميناً في نقل تعليق ابن دريد اذ جاء في الجمهرة (ذعط) ٢ / ٣١٣ وكان الخليل يقول : الهميع بالعين غير المعجمة وذكر ان الهاء والعين المعجمة والميم لم تجتمع في كلمة وخالفه اصحابنا . وقال أبو حاتم أحسب ان الهميغ الميم فيه مقلوبة عن باء من قولهم : هبغ الرجل هبوغاً اذا سبت للنوم فكانها هبيغ فقلبت الباء ميماً لقربها منها) .

أما أصحاب ابن دريد فهم في التهذيب الأصمعي لاغير قال : (قال أبو عبيد : سمعت الأصمعي يقول : الهميغ : الموت ، وأنشد . .) وعلى هذا فان المعنى الذي يذكره الليث أخص من المعنى الذي يذكره الأصمعي ولايستبعد ان يكون لكل معنى لفظه ، كما أن قول أبي حاتم (أحسب أن الهميغ الميم مقلوبة فيه عن باء . .) يؤيد ماذهب اليه الخليل اذ لم تجتمع الهاء والعين والميم في كلمة . كما أن ابن دريد لم يأت بمثال واحد يخالف ما ذكره الخليل .

٣ – وقال : (ومما وقع فيه التصحيف في حرف الخاء ، الخضب : الحيّة ، وقال : هي حية بيضاء تكون في الجبل ، والجمع : خضاب . وانما هو الحضب الحاء غير معجمة ، والضاد معجمة . . .) (٧٣) .

ولم يرد المعنى الذي ذكره العسكري في ماطبع من كتاب العين في مادة (خضب) ٤ / ١٧٨ ولا في مادة (حضب) ٣ / ١٠٩ ، وليس من المستبعد ان نكون النسخة التي رجع اليها العسكري من النسخ التي دخلها التصحيف كما سبقت الاشارة الى ذلك ، اذ ان المادة بالصورة التي ذكرها العسكري لم ترد ايضاً في التهذيب مادتي (حضب) ٤ / ٢٢٠ و (خضب) ٧ / ١١٦ عن الليث .

---

(٧٣) ص ٦٠ – ٦١ .

٤ ـ وقال : (ومنها في حرف الغين (يوم بغاث) ، فقرأت على أبي بكر خبر بغاث ، والحرب بين الأوس والخزرج ، فقال أبو بكر : ذكر الخليل (يوم بغاث) بالغين المعجمة . وهذا لم يسمع من غيره ، وانما هو : (بعاث) بالعين غير المعجمة) (٧٤) . وقد أيد العسكري في ماذهب اليه الأزهري في التهذيب (بغث) ٨ / ٩٤ ، وقال ايضاً (ومن قال بغاث بالغين فقد صحف) . واللفظ ومعناه في العين (بغث) ٤ / ٤٠٢ وقد نقل المحققان رأي الأزهري من اللسان في الحاشية ، وقالا أيضاً : (ومثل هذا ورد في معجم البلاد لياقوت) ، وفاتهما نقل بقية ما أورده ياقوت في معجمه وهو (وقال صاحب كتاب المطالع والمشارق : بعاث بضم أوله وعين مهملة ، وهو المشهور فيه ورواه صاحب كتاب العين بالغين ، وقيده الأصيلي بالوجهين وهو عند القابسي بغين معجمة وآخره ثاء مثلثة بلا خلاف) (٧٥) .

٥ ـ وقال : (ومنها ما قرأت على ابن دريد « الشدف » : سواد الشخص بالشين المنقوطة ، مارأيت شدفاً ، أي : شخصاً . ثم قال أبو بكر : لاتنظر الى مافي كتاب الخليل في باب السين غير المعجمة ، فقال : سدف في معنى شدف ، فان ذلك غلط من الليث على الخليل . . .) (٧٦) .

وفي العين (شدف) ٦ / ٢٤٤ ، الشدوف : الشخوص ، الواحد شدف وفي مادة (سدف) ٢٣٠/٧ . السدف : ظلام الليل أو سواد شخص وجاء في التهذيب (سدف) ١٢ / ٣٦٨ . السدوف والشدوف الشخوص تراها من بعيد .

وفي اساس البلاغة (سدف) (وجاء فلان في السدف والسدْفة ، ورأيت سدفه ، أي : شخصه . وقال ابن دريد : هو بالشين .

٦ ـ وقال : (ومنها في باب الحاء غير المعجمة (الحبير) : الزبد من لغام

(٧٤) ص ٦١ ـ ٦٢ .
(٧٥) معجم البلدان ٤٥١/١ .
(٧٦) ص ٦٣ ـ ٦٤ .

البعير ، وانما هو (الخبير) بالخاء المعجمة، ورواه الأصمعي في كتاب الأجناس وقد ذهب اليه الازهري : اذ قال في التهذيب (حبر) ٥ / ٣٥ : (صحّف الليث هذا الحرف ، وصوابه الخبير بالخاء لزبد أفواه الإبل هكذا قال ابو عبيد فيما رواه الإيادي لنا عن شمر عن أبي عبيد) .

والمادة في العين (حَبر) ٣ / ١٩ ، (والحبير زبد اللغام اذا صار على رأس البعير) والمعنى في العين أخص من المعنى الذي ذكره العسكري والأزهري اذ إن الحبير ليس لزبد أفواه الإبل ، وليس الزبد من لغام البعير ، إنما هو من (زبد اللغام اذ صار على رأس البعير) .

وجاء في المحكم (حبر) ١ / ٢٣٧ (والحبير : اللغام اذا صار على رأس البعير ، والخاء أعلى) .

ونقل صاحب اللسان (حبر) عن الجوهري (الحبير : لغام البعير) .

٧ — وقال : (ومن التصحيفات أيضاً في كتاب العين، في باب الدال والباء التي تحت كل واحد منها نقطة ، قال : يقال : شيءٌ ربيد تحت الباء نقطة ، أي : منضود بعضه على بعض ، وانما هو رثيد بالتاء فوقها ثلاث نقط . يقال : رثد المتاع بعضه على بعض ، هكذا رواه الأصمعي ، وابن الاعرابي ويعقوب . . .) (٧٧) .

والمادة ليست في كتاب العين (ربد) ، ولم ترد بالمعنى الذي ذكره العسكري عن الليث في التهذيب (ربدَ)، وصاحبه يتصيد أخطاء كتاب العين ، وجاء في الجمهرة ١ / ٢٤٣ (والتمر الربيد : الذي قد نضد في جرته ونضح عليه الماء) وبهذا المعنى في اللسان (ربد) .

٨ — وقال : (ومن التصحيفات فيه أيضاً ، قوله في باب الزاي مع الباء :

(٧٧) ص ٦٥ — ٦٧ .

كيس زبير ، أي : مكتنز مملوء ، بتقديم الزاي على الراء ، وانما هو ربيز ، الراء قبل الزاي . . .) (٧٨) .

في العين (زبر) ٧ / ٢٦٣ ، وكبش زبير ، أي : ضخم مكتنز . . وكبش زبير : أعجر مملوء ، ولعل كلمة كيس الواردة في نص العسكري مصحفة في الاصل .

وجاء في الجمهرة (زبر) ١ /٢٥٤ ، وزبرت البئر : اذا طويتها بالحجارة وفي الحديث (الفقير الذي لازبر له) ، أي : ليس له ما يعتمد عليه . .. وأسد أزبر : عظيم الزبرة .

وجاء في اللسان (زبر) وكبش زبير :عظيم الزبرة ُ وقيل : هو مكتز ، وزبرة الحديدة : القطعة الضخمة منه ، والجمع : زبر .

٩ — وقال : (ومن التحريف ايضاً في كتاب العين،في باب الكاف والتاء والميم : التكمة : مشي الأعمى بلا قائد ، وانما هو التكُمه على وزن التَّفعّلِ ، من الأكمه الذي يولد اعمى ، تكمّه يتكمّه تكمّهاً ، اي : مشى مشي الأكمه بلا قائد) (٧٩) .

والمـادة في العين (تكم) ٥ / ٣٤٣ ولم يرد المعنى الذي ذكره الخليل في التهذيب والمحكم واللسان . وجاء في العين (كمه) ٣ / ٣٨٣ الكمه : العمى الذي يولد عليـه ابن أدم ، اي ان المعنى الذي ذكره العسكري لـم يفت على الخليل . وما كان غائباً عنه اذ إنه يعلم يقينا أن من معاني تفعّل التكلف وحمل النفس على أمر فيه مشقة نحو تشجّع ، تجلّد ، تحلّم ، ومعنى هذا ان التكمُّه ليس العمى ، وانما تكلفه ، وتكمه فلان ، اي مشى مشي الأعمى وتكلفه ومن الجائز أن يكون لمشي الأعمى لفظ يختلف عن لفظ متكلّفه :

(٧٨) ص ٦٧ — ٦٨ .
(٧٩) ص ٦٨ .

١٠ – وقال : (ومنها ايضاً قوله في باب القاف والياء في اللفيف : تقيّأت المرأة لزوجها : (اذا تثنت عليه متغنجة . . . وانما هو تفيأت بالفاء وتفيؤها تميّـاها وتغنّـجها دلالاً . . .) (٨٠) .

وقد ذكر الأزهري المعنى عن الليث في التهذيب (فاء) ٩ / ٣٧٣ ، وقال : (قلت لم أسمع تقيّـأت المرأة بالقاف بهذا المعنى هو عندي تصحيف والصواب تفيّـأت بالفاء) .

والمعنى في العين (قاء) ٥ / ٢٤٠ . وجاء في المحكم (قيأ) ٦ / ٣٧٠ (وتقيأت . المرأة تعرضت لبعلها والقت نفسهـا عليـه) ، وجاء في القاموس ايضاً : تقيأت المرأة : تعرضت لبعلها والقت نفسها عليه . . .) .

١١ – وقال:(ومن التحريف قوله في باب الدال والراء والباء : البرد، وهو الماء البارد حيث يقول :

يستمون من ورد البريص عليهم
بَرَدا يُصَفَّق بالرحيق السلسل

ثم فسره فقال : يراد به الماء الصافي البارد ، وانما هو بردى مال اسم نهر بدمشق معروف ، وقد الحق هذا بالكتاب) (٨١) .

والمادة في كتاب العين (مبرد) ٨ / ٣٠ ، وبَـردى نهر دمشق قال حسان :

يسقون من ورد البريص عيهم
بَرَدى يُصَفَّق بالرحيق السلسل

ولم افهم مراد العسكري في قوله : (وقد الحق هذا بالكتاب) هل عنى انه من عبث النساخ ألحق مؤخراً بالكتاب ام عنى امراً آخر ، فان كان من عبث النساخ ، وهو يعرفه فلم عده من التحريف .

(٨٠) ص ٦٨ – ٦٩ .
(٨١) ص ٦٩ .

١٢ – وقال : (ومنها ايضاً في باب المعتل ، قال : الملقأة : رأس الجبل على مثال مفعلة،وجمعها:ملاق.. .وانما هي الملقة على مثال علقة ، وهي الصخرة الملساء ، وجمعها : ملقات . . .) (٨٢) .

واللفظة ومعناها في العين (لقي) ٥ / ٢١٦ مخالفة لما ذكره العسكري قال : الملْقى : إشراف نواحي الجبل يمثل عليها الوعل فيستعصم من الصياد . والملقاة ، والجمع : الملاقي : شعب رأس الرحم وشعب دون ذلك .

وليس خافياً ان النسخة التي رجع اليها العسكري فيها اضطراب وتخليط .

١٣ – وقال : (ومما فيه خلاف : البُلح : فرخ العقاب ، تحت الباء نقطة ، قال ابو حاتم وابو ذكوان : إنما هو النُّلَح بالتاء والباء تصحيف) (٨٣) .

والنص في العين مخالف لما ذكره العسكري ، قال في مادة (بلح) ٣ / ٢٣٩ البلح : طائر أعظم من النسر محترق الريش ، يقال : لايقع ريشه وسط ريش سائر الطير الا أحرقه ، ويقال : هو النسر القديم اذا هرم ، وجمعه : بلحان) . وقد ذكر نحو ذلك في المحكم (بلح) ٣ / ٢٧٥ .

وبعد فقد قال الله تعالى في محكم كتابه (وليس عليكم جناح في ما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً) .



(٨٢) ص ٦٩ .

(٨٣) ص ٧١ .

جهود ابن كمال باشا في اللغة العربية

الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي
كلية التربية ـ جامعة بغداد

في عام ١٩٦٩ كنت أحد أعضاء الوفد التدريسيّ الذي أوفدته جامعة بغداد للتدريس في القطر السعودي ، لثلاثة أعوام متتالية ، وكان نصيبي أن اكون مدرساً للنحو وفقه اللغة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة . فوجدت نفسي في مكان تطمح إليه انظار الناس روحياً ، كما تطمح اليه أنظار الباحثين والمعنيين بتراثنا العربي والإسلامي العريق . فمكة المكرمة ليست قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فحسب ، ولكنها قبلة العلماء ورواد المفكرين الذين يفتشون عن كنوز الفكر الإسلامي ، وما أنتجته قرائح الادباء والعلماء من بناء مجدنا الحضاري والفكري والعلمي ، بما حوته من آثار جليلة ، وما جمعته من مخطوطات عربية في كل مجالات الفنون والعلوم ، في مكتبتها العريقة الشامخة ، مكتبة الحرم المكي الشريف.

ولقد قضيت أوقاتاً طويلة ، أتجول في قاعاتها ، وأنتقي من كنوزها المخطوطة ، وأطّلع على آثارها العظيمة ، وأقرأ في صفحات كتبها ، ومجاميعها المتعددّة . فكان ممّا لفت النظر ، وجلب الانتباه أن هذه المكتبة لاتكتفي بتقديم نسخة أو نسختين من كتاب مخطوط يعجبك ، أو تجد فيه أهمية علمية مرموقة ، بل تجد ـ أحياناً ـ العشرات من النسخ لكتاب واحد أو رسالة في جانب علمي أو فكري أو أدبي .

وكان أبرز من لفت نظري من العلماء المتقدمين ، ممن تُعنى المكتبة بمؤلفاته ورسائله وتحقيقاته هو (أحمد بن كمال باشا) المتوفَّى (سنة٩٤٠هـ) أحد أعلام القرن العاشر الهجري (*) ، الذي أنجبت به الدولة العثمانية ، وهو أحد أبنائها من العلماء المسلمين الاتراك ، صاحب الفضل المتميز على اللغة العربية في ذلك القرن الذي شهدت ألسنة المتكلمين بالعربية فيه انحداراً غريباً ظهر في نتاج الكتاب والمؤلفين ، من الخاصة والعامة في بلاد الترك .

كان هذا الرجل شديد الحرص على سلامة اللغة ، وصيانتها من الانحراف والزلل والخطأ واللحن والتوليد .

ولست أريد هنا أن أتحدث عن نشأة هذا العالم الجليل ، ومسيرته من عهد الطفولة الى عهد الكهولة ، ومن طور الأخذ والتلقي الى طور الأستاذية والمشيخة ، ومن طور القراء والتتبع الى طور الكتابة والتأليف ، ومن حياة التقليد والمحاكاة للعلماء الأفذاذ الى حياة الظهور العلمي ، وبروز الشخصية ، وأصالة الأفكار والمنهج بين أقرانه من علماء العصر .

فيكفي هذا الرجل فخراً أنه كان « ابن ذوات » ، كان أبوه أحد المقربين الى السلطنة العثمانية يومئذ (١) . وكان يكفيه أن يعيش في كنف أسرته الغنية غير عابئ بعلم ، ولا مجهد لفكر . ولكنه لم يرتض هذا النمط من العيش ، فكانت همته الطموح .. تدفعه الى أن يعيش إنساناً آخر ، غير ما درجت عليه أسرته . إنه كان يريد أن يكون معدوداً في رجال العلم والمعرفة ، محسوباً في الذابين عن اللغة العربية ، الصائنين لأصالتها ، المحافظين على فصاحة الألسنة الناطقة بها ، وان كانت هذه الألسنة غير عربية ، وفي وسط يتكلم أهله بلغة أخرى ويتواصلون بغير لغة القرآن .

(*) المجلة : هذا موضع احتراز ، والكاتب قد ناقضه في آخر مقالته

(١) انظر : الكواكب السائرة : ١٠٧/٢ وهدية العارفين : ١٤١/١ .

فكان ذلك كله مدعاةً الى أن يتجه الشاب المتحمس صَوْبَ علم العربية ، وآدابها وتراثها ، ليكون واحدا ممَّن له الأثر في مسيرة هذه اللغة وحياتها الطويلة خلال أجيال وأجيال .

وكانت الفرصة قد واتته عندما رأى الاحتفاء الكبير بذلك الشيخ المهيب في قصر السلطنة — (المولى لُطْفي) — وهو يدخل محترماً فيقوم له كل من في المجلس إجلالاً وتقديراً ، ويسأل الشاب (ابن كمال) أحدهم عن الداخل ، فيقال له : إنه (المولى لطفي) (٢) ، ويزيده المسؤول معلومة مهمة في حياته ، تلك هي : أن للعلماء مكانة كبيرة عند السلاطين والأمراء في الدولة العثمانية . فتجد هذه الكلمة في نفس الشاب الطموح مكانها ، وتؤثر فيها ، مما تجعله يندفع بحرارة وتصميم الى والده ليطلب منه تلقي العلم على علماء عصره — ولا سيما (المولى لطفي) — ، ليبلغ هــذا المبلغ ، وليرتقي هذه المنزلة التي لمسها بيديه ، وادرك قيمتهــا بعقله وحسه وذوقه . وما كان من والده الا ان يبذل له ، ويستجيب لطلبه ، ليصبح بعد زمن من القراءة والتعلم ، والحفظ موسوعة لأكثر من علم وفن ، فملازمته للمولى لطفي والمولى القَسْطَلّاني وخطيب زاده ، ومعروف زاده ، وغيرهم من علماء الأتراك المختلفي المعارف ، جعلته يتقن أكثر من علم ، كما يتقن اكثر من لغة الى جانب لغته القومية . وهي التركية — كالفارسية والرومية ، فضلاً عن تمرسه في العربية : لغةِ الدين والتشريع ، والمؤلفات العظيمة في القرآن والحديث والأدب واللغة والنحو والبلاغة والطب وجميع اصناف المعارف والفنون .

ولم يكن بروزه في حياته بهذه الجوانب المشرقة من تاريخ العربية وآدابها فحسب ، بل عين في أكثر من منصب علمي وإداري في الدولة ،فكان مدرساً وقاضياً ومفتياً .. حتى أُطلق عليه لقب « شيخ الإسلام » .

(٢) انظر : مجلة الدراسات الاسلامية : عدد : ٥ سنة : ١٣٩٣ هـ ص : ٣١١ .

وفي خلال حياته الزاخرة بالعطاء ، ألف في مختلف الفنون ، ولم يألُ جهداً في أن يقف على جملة من الكتب المتقدمة ، لينتقد ، ويستدرك ، ويعقب ، ويحقق ، ويشرح ، ويعلق ، ليقوّم ما وجد من خلل ، ويعدّل ما بان له من زيغ في بعض مذاهب من تقدَّمَه من علماء عصره في بلده ، أو علماء المسلمين المتقدمين : كتعليقاته على الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، وتعليقه على شرح الطوسي لكتاب الإشارات لابن سينا ، وحاشيته على كتاب التلويح للتفتازاني ، وشرحه لمشارق الأنوار للصغاني (ت ٦٥٠ هـ) ، ومصابيح السُّنّة للبَغَوي ، والهداية للمرغيناني ، والقصيدة الخمرية لابن الفارض ، وغيرها .. لست أريد أن استقصي ذكرها ، لأن مؤلفاته قد جاوزت المئة حتى بلغت المئة والأربعين كتاباً ورسالة تقريباً .

ولعلنا نستطيع هنا أن نشير بإيجاز الى أبرز الجوانب المميزة لاتجاهه التأليفي في عموم المعارف والعلوم .

اولا ــ التحقيقات :

أبرز ما تميز به ابن كمال باشا ، هو وقوفه على قضايا دقيقة مما أشكل على [بعض] المتقدمين أمره ، أو كثر الاختلاف فيه بينهم ، سواء أكانت هذه المشكلات في اللغة أم في الفكر . وسواء أكانت في المنقول أم المعقول (٣) ، فمن ذلك ــ مثلا ــ (تحقيق معنى « كادَ ») ، وقد يرد في بعض نسخ مخطوطة هذه الرسالة باسم : (تحقيق وضع « كاد ») . وقد نشرتُ هذه الرسالة سنة : ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م . في مجلة كلية الدراسات الإسلامية التي صدر منها خمسة أجزاء ــ ببغداد في الجزء الخامس منها . يعرض (ابن كمال) في هذه الرسالة للاختلاف الذي وقع بين النحويين في تفسير استعمالاتها في القرآن والشعر

(٣) في مكتبة الشيخ عبدالقادر الكيلاني مجموعة من رسائله في التحقيقات ، المجموعة ١٤١٩ ومجموعة : ١٤٢٣ و ١٤٤٢ و ١٤٤٧ و ١٤٤٨ ــ ١٥٠٠ .

والنثر ، ويستشهد لذلك كله بالكلام العربي الفصيح ، متخذاً من كتب المتقدمين وكتب التفسير مصادر ومراجع له في تحقيقها .

ومن رسائله في هذا المضمار رسالة « تحقيق معنى الأيس والليس » . ومن هذه الرسالة نسخ في مكتبة الحرم المكي الشريف ، ورسالة تحقيق مقالة القائلين بالحال ، ومنها نسخ ــ كذلك في المكتبة المذكورة (٤) . ورسالة تحقيق القول « ان الشهداء أحياء » ، و « تحقيق الميزان » ، و « تحقيق المعجزة للانبيــاء ــ ع ــ » ، و « تحقيق حقيقة الجسم » ، و « تحقيق المُشاكلة » ، وغيرها الكثير .

ثانياً ــ التعليقات والحواشي :

ووقف ابن كمال باشا على مسائل ، وجد أنها تحتاج الى تعليق أو حاشية موضحة في كتب التفسير والعقائد والفلسفة والمنطق والجدل ومن ذلك وقوفه على مسائل في الكشاف للزمخشري ، وتعليقه عليها ، وكتعليقه على شرح الطوسي لكتاب الإشارات لابن سينا ، وحاشيته على التلويح للتفتازاني ، وغيرها .

ثالثاً ــ في الشروح والتلخيصات :

وله في هذا الجانب كتب ورسائل كثيرة في مختلف المعارف . فمن ذلك كتابه « شرح الفوائد » ، وقد يذكر باسم « فرائد الفوائد » (٥) ، وشرح الأربعين النووية للامام النووي (ت ٦٧٦ هـ) ، وشرح قصيدة ابن الفارض الخمرية . وشرح المقالة المنسوبة الى عضد الملة والدين ، وقد تسمى باسم « شرح المقالة المفردة لعضد الدين » ، و (شرح تغيرت البلاد ومَنْ عليها) وهي رسالة صغيرة في ورقة ، وفي بعض نسخها باسم « شرح مرثية آدم » .

(٤) مكتبة الحرم : ١٥١ / مجاميع .
(٥) هدية العارفين : ١/١٤١ .

نشرتها في مجلة البلاغ البغدادية عام : ١٩٧٥ م في الجزءين الخامس والسادس . ورسالة في « شرح قوله ، صلى الله عليه وسلم : « سأخبركم في أول الأمــر » ، وغير ذلك مما قد يسمه بعنوان يدلُّ ظاهرهُ على أنه تعاليق أوحواشيٍ ، ولكنه ينـــدرج في كتب الشروح ، كرسالتـــه على صحيح البخاري ، فهي شرح للجامع الصحيح للبخاري : ورسالته في تصحيح لفظ الزنديق (*) ، وهي شرح للفظة وبيان أصلها .

رابعاً ــ في السير والرجال :

واهتم (ابن كمال باشا) بسيرة الرجال في تاريخنا الإسلامي ، ولاسيما سيرة الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وسير الرجال وطبقاتهم ، ومن الامثلة على ذلك كتابه الموسوم بـ « أفضلية نبيّنا محمد ، عليه الصلاة والسلام» ، وكتابه « طبقات المجتهدين » (٦) ، و« كتاب تحقيق المعجزة للأنبياء عليهم السلام » . و « صورة فتوى في حقّ ابن عربي » ، وغيرها من الرسائل والكتب . التي تناول فيها جانبا من جوانب الشخصيات العربية والاسلامية ، أو مجمل سيرتها ، كرسالته في أبَوَي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مخطوطة الحرم برقم : ١١ / ١٢٥ . ومنها نسخة في القادرية برقم ١٤٤٢ ، بعنوان « رسالة في إيمان أبَوَي النبي ، صلى الله عليه وسلم » .

خامساً ــ في تفسير القرآن وسوره وآياته :

ولابن كمال باشا رسائل وكتب كثيرة في تفسير سور القرآن أو آيات بينات منه ، لأغراض مختلفة منها عَقَدية ومنها بيانية ، ومنها لغوية ، كما

(*) منها نسخة في القادرية ببغداد : مجموعة : ١٤٥١ واخرى في مجموعة : ١٤٥٠ .

(٦) انظر مجلة كلية الدراسات م ٥ / ص ٣١١ عام : ١٣٩٣ هـ . ومنه نسخة في القادرية مجموعة : ١٥٠٠ .

سبقت الاشارة الى آية الشهداء (٧) ، ورسالته في « تفسير سورة الملك » و « تسمية آية الكرسي سيدة الآيات » الموجودة في الحرم المكي برقم : ٤٥ ، وسبب ترك البسملة في سورة براءة » .. ورسالة في تحقيق المعجزة وبيان وجه دلالتها ضمن المجموعة القادرية برقم ١٤٧٨ .

سادساً ــ في العقائد والمذاهب الاسلامية :

ولابن كمال باشا باع طويل في العقيدة الإسلامية ، وفي أصول الكلام ، ومذاهب المسلمين وفرقهم . والمعروف أنه كان من أهل السنة والجماعة ، حنفيّ المذهب ، فكان لهذا الاعتقاد أثر كبير في توجهه في رسائله وكتبه التي ألفها في هذه الجوانب . فقد ردّ على المعتزلة بكتاب سمّاه « خلق القرآن » ، ووضع رسالة بعنوان « تقرير أن القرآن العظيم كلام الله ــ تعالى ــ » . وتنوعت موضوعات رسائله في هذا السبيل ، فتناولت فروع المسائل وأصولها ، فمن ذلك رسالته في « عدم نسبة الشر الى الله ــ تعالى ــ » ، ورسالة في معنى (الجعل) ، وهما في القادرية برقم ١٤٧/٥ . وفي « الوجود » في المجموعة نفسها ، و « حشر الأجساد » ، و « القضاء والقدر » (٨) ، و « بيان علم الغيب » ، وغير ذلك . ولم يكتف بهذه الموضوعات ، بل ألف كتاباً باسم « العقائد » ، وآخر باسم « ميزان الأعمال » ، وغيرها . وهي كثيرة ، تكاد تكون متميزة من بين مجموعة أعماله الأخرى . وهذه جملة تدخل في هذا المعنى ، كرسالة الاستخلاف في الخطبة ، وتحقيق مقالة القائلين بأن الواجب موجب بالذات ، والقضاء والقدر .

سابعاً ــ في الحكم والمنطق والجدل وادب البحث :

وهي موضوعات عقلية تعتمد على جهد المؤلف العقلي ، وآرائه الفلسفية

(٧) منها نسخة في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١٤٨/١٤ .
(٨) منها نسخة في القادرية : مجامع : ١٤٧٨ و ١٤٤٨ .

الخاصة في الحياة والعمل والعلم ، تدل على سعته ، وانطلاق آفاقه ونضج تفكيره ، ومن جملة ما عنده في هذه المضامير من رسائل ومؤلفات « كتاب آداب البحث » ، وكتاب « بيان العقل » ، و « ورسالة في تحقيق الخواص والمزايا » ، وأخرى « في تحقيق الشخص الانساني » ؛ ورسالة باسم « الهيكل » ، وأخرى في « بيان أسلوب الحكم » ، و « مدح السعي وذم البطالة » ، وغيرها مما زخرت مكتبات العالم بمخطوطاتها الكثيرة .

ثامناً ـ في التصوف :

وله في قضايا الروح والتدين والتصوف الكثير من الرسائل والكتب ، وعلى رأسها (الرسالة الروحية) في التصوف ، وقد سبق أنه عني بشرح « قصيدة ابن الفارض الخمرية » ، وله « رسالة في بيان علم الغيب » ، ورسالة باسم « الاشارات اللطيفة » ، وأخرى باسم « أقسام المحبة »، وأخرى باسم « علم الحقائق » ، ورسالة باسم « ميزان الاعمال » ، وكتاب « راحة الأرواح في دفع العامة عن الاشباح » . و« دفع ما يتعلق بالضمائر والأوهام » .. وقد كان ابن كمال باشا يمثل العقل المجدد في عصره ، لما تميز به من تحرّر واضح من الأوهام والخرافات التي آمن بها الكثير من العوام في عصره ، ودافع بحرارة العالم المؤمن عما كان يضمره أعداء الدين من دسائس ضده ، فألف في ذلك ما استطاع به أن يفضح المستور من الأحقاد والدسائس ، ككتابه « كشف الدسائس في الكنائس » ، وغير ذلك من الكتب .

تاسعاً ـ في القضاء والافتاء :

ولقد كان لموقع ابن كمال باشا من القضاة والمفتين في الديار التركية أثر في تصحيح الكثير من الأحكام والإفتاءات ، وحل المشكلات التي كان يعاني منها العامة ، وكان يأخذ على عاتقه بيان الصواب ، وتصحيح المفاهيم المنحرفة في أعراف العوام وتقاليدهم ، ولذلك رأينا له جملة صالحة من الرسائل التي

تناولت جوانب من معتقدات الناس ، وأمور الشريعة والفقه . فمن ذلك رسالته في « دخول ولد البنت في الوقت »(٩) ، ورسالته في فتوى بشأن « السَّماع وَدَوَران الصوفية » في القادرية برقم : ١٤٤٧ ، ورسالته في « بيان الرضاع »، وأخرى في : (تحريم الخمر) وفي « بيان تحقيق الربّا » في المجموعة : ١٤٧٨ من المكتبة القادرية ، ورسالته في « جواز استيجار تعليم القرآن » ، وأخرى في « بيان الاستخلاف ». و« تحقيق الميزان » ، وسلسلة مجتمعة من من كتب المبسوط » في الفقه .

ويبدو أن مثل هذه الرسائل يؤلفها ابن كمال باشا في الردّ على سؤال ، أو استفتاء يوجّه اليه ، كما يظهر ذلك من معظم مقدمات رسائله .

عاشراً ــ في اللغات :

وفي مقدمة اللغات التي عالج البحث فيها اللغة العربية ، وتليها لغته التركية ثم الفارسية . وقد تناولت رسائله في اللغة جوانب مهمة ، وابرزها :

أ ــ قضايا اللحن والخطأ ، والانحرافات اللسانية في نحو اللغة .

ب ــ قضايا التعريب والتعجيم .

ج ــ تحقيقات لغوية متنوعة في أدوات اللغة وحروفها التي تأتي لمعان .

د ــ في البلاغة وفروعها .

وفيما يأتي جملة رسائله المتنوعة في هذه المجالات « رسالة في الأيس والليس » ؛ أو « الليس والأيس » ، ورسالة في « تحقيق معنى كاد » ، وقد تسمى : « شرح معنى كاد » ــ كما مرّ ، أو « تحقيق وضع كاد ، وطريق استعماله » ، كما ورد في النسخ المخطوطة المتعددة لهذه الرسالة .

ــ رسالة في تقديم الشرط على المشروط .

ــ رسالة في نسبة الجمع .

---

(٩) منها نسخة في القادرية / مجاميع : ١٥٠٠ .

— رسالة بعنوان « الاستعارة » .
— رسالة التعريب والتعجيم « نشرت مقدمتها في مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية — بمكة قبل ما يزيد على عشر سنوات ، ونشرها في العراق — كذلك — الدكتور أحمد خطاب عمر من جامعة الموصل .
— رسالة في بيان مزية اللسان الفارسي على سائر الألسنة ما عدا العربية ، منها نسخة في القادرية برقم ١٤٧٨ .
— رسالة في تحقيق المشاكلة .
— رسالة في « اللفظ الذي نريد به غير المعنى » .
— رسالة في « خطاب الواحد خطاب الاثنين » .
— رسالة في « تقسيم المجاز وتحقيق اقسامه » منها نسخة في القادرية برقم ١٤٧٨ — مجاميع ، الى غير ذلك من الرسائل الكثيرة ، لست اريد أن أقدم إحصاء لها ، ولكنني سردت هذه الجملة للتدليل على عناية الرجل بأمور اللغة ، وبدراساتها المختلفة ، وموضوعاتها المتنوعة ، وقد كان في جميع ذلك مبرزاً ضاهى أئمة علم العربية ، وكان ذا أصالة واضحة في بحثه ، غير مقلّد ، ولا محتكر لرأي أو فكرة ، يناقش بثقة العالم المثقف ، ويسرد الأمثلة والشواهد الرّصينة مما جعل العلماء من بعده يتأثرون به ، ويسيرون على خطاه فيما رصد من ظواهر اللغة ، وما خرج به من آراء ، كما سنرى ذلك عند ابن بالي القسطنطيني (ت ٩٩٢ هـ) صاحب كتاب « خير الكلام في التقصّي عن أغلاط العوام » (١٠) .

وهذه جملة رسائل أخرى لم نشر اليها فيما تقدّم ، نقرن ذكرها بمجموعتها التي وجدت فيها :

— مجموعة برقم ١٤١٩ في المكتبة القادرية ببغداد فيها رسائل .

(١٠) نشره الدكتور حاتم صالح الضامن ، سنة ١٩٨٣ ، في بيروت .

مجموعة برقم ١٤٢٣ في المكتبة القادرية ببغـــداد فيها رسالة باسم « الاصلاحوالإيضاح » في سبع ورقات ، وهي الرسالة العاشرة فيها .

- مجموعة برقم ١٤٤٢ فيها رسالتان سبق ذكرهما في ذم البطالة ومدح السعي ، والثانية في إيمان أبويّ النبي . والرسالة الأولى منها نسخة ثانية في المجموعة ١٤٤٨ .
- مجموعة برقم ١٤٧٨ رسالتان بعنوان (تحقيق مقال القائلين ـَ ، وهما الرسالة ١٢ و ١٤ . من المجموعة .
- مجموعة الحرم المكي برقم ـ ١٥١ مجاميع ـ وهي كبيرة زادت على الخمسين ، منها ؛ :
- تحقيق القول أن الشهداء أحياء ، في تفسير قوله ـ تعالى ـ « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عندَ ربّهم يرزقون » .
- ورسالة باسم « التوسع الشائع » .
- ورسالة باسم « اذا تخيرتم في الأمور » .
- رسالة في الفرائد برقم ٣ / ١٠١ .
- رسالة باسم (الهيكل) برقم ٢٢ / ١٥٠ .
- رسالة باسم (الفريدة) برقم ١ / ١٥٠ .
- رسالة باسم (تحقيق الحواص والمزايا) برقم ٨ / ١٥٠ ، وغيرها .

كتابه التنبيه على غلط الجاهل والنبيه واهميته :

لقد شهد القرن الثاني الهجري حركة لغوية قوية ، مختلفة الاتجاهات والمرامي عني بعضها بإقرار قواعد اللغة وقوانينها ، وعني البعض الآخر برواية اللغة عن الفصحاء في بواديهم ، وعني الآخرون بوضعها في معجمات متنوعة .

وكان من أبرز الأعمال اللغوية في هذا المضمار أن أخذ جملة من الباحثين اللغويين في رصد أساليب الخطباء والأدباء والكتاب والرواة والمقرئين والمحدثين

وسائر العلماء ، والوقوف على سقطاتهم وما يقع في ألسنتهم من انحرافات تشذ بهم عن جادة الصواب في قوانين اللغة وأصولها وصحيح قواعدها وفصيح اساليبها ، ومن هنا كان في جملة ما ألف من كتب اللغة في هـذا القرن ما يعرف بـ « لحن الخاصة » و« لحن العامة » ، ويراد من ذلك سائر الناس عالمهم وجاهلهم ، حتى كان اللغويون يقتنصون أخطاء بعضهم ويدونونها في كتبهم . فنقل الجاحظ أن أول لحن سمع من المشتغلين في مضمار اللغة قولهم « عَصَاة » مكان « عصا » ورمي (هشيم) — راوية الحديث — بأنه لحانة ، ونبّه الحجّاج الثّقفيّ الى لحنه في القرآن ، فكان من مجموع مثل هذه السقطات واللحون أن جمع الكسائي (ت ١٨٩ هـ) كتاباً في لحن العوام ، وتبعه أبوعبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٣هـ) (١١) ، ثم كان المازني (ت٢٤٩هـ) (١٢) ، والسجستاني (ت ٢٥٧ هـ) . وابو بكر الزبيدي الأشبيلي (ت ٣٧٩هـ) ، (١٣) ، وغيرهم .

وكانت مثل هذه المجموعات الراصدة تُمثل لغة العصر الذي يعيش فيه المؤلف ، كما تمثل التطور الذي يصيب اللغة ، وهي تحتك باللغات المجاورة فتؤثر وتتأثر ، وتعطي وتأخذ ، وكانت وظيفة علماء اللغة هي :

أ — التنبيه على الغلط وتمييزه من الصحيح .

ب — الرجوع بالألسنة والأساليب الى الصحيح من اللسان العربي وأساليبه ، وتطبيق قواعد اللغة ، والمطالبة بتنفيذ أقيسة اللغة ، ورفض ما سواها من الدخيل .

ولذلك كثر في أساليب التأليف عندهم أن يقولوا : « تقول العامة كذا...» . والصواب « أن يقال . . كذا » أو « شاع في لسان الناس قولهم » ، « والقياس : كذا . . » ويبدو ذلك واضحا فيما وصل الينا من كتب « لحن العامة » للزبيدي ، و « درة الغواص » للحريري (ت ٥١٦ هـ) ، و « تكملة ما تلحن فيه العامة »

---

(١١) معجم الأدباء / ياقوت ، ط مرغليوث ، ٢٣٥/٧ .
(١٢) ينظر كتابنا : أبو عثمان المازني — ط ، بغداد ، مبحث مؤلفاته .
(١٣) طبع في القاهرة .

للجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) ، و « والتنبيه على غلط الجاهل والنبيه » لابن كمال باشا ، وشرح درة الغواص لأبي الثناء محمود بن عبد الله الألوسي (١٢٧٠هـ)، وغير ذلك من الكتب .

وكما كان المتقدمون يمثلون صرامة القانون اللغوي وحديّته في التطبيق ورفض الخروج على الأصول ، كان المتأخرون يبدون أشد صرامة وأقوى تطبيقاً لقوانين اللغة وأحكامها ، ولذلك كثر في أحكامهم القسوة والنقد اللاذع والسخرية من الذين يقع في كلامهم الغلط والتخبط . وكان ابن كمال باشا أوضح من الآخرين في أسلوبه الساخر الناقد ، فقد كان يصف المخطئين بالضلالة والجهل والتخبط والحيرة ، « لانه كان يجد في بعض كلامهم تخبطاً حائراً لايستقر على وجه ثابت صحيح من أصول اللغة وأقيستها الفصيحة المعروفة » (١٤) ، من ذلك قوله مثلاً : « وأما الذي استعمله الجهال فيما بينهم ، فإنما زادوا به شَيْنَهم » (١٥) . ونال ممن ادعوا العلم في عصره ، فقال :

« ثم إني لما رأيتهم لا يحومون حول الرشاد ، ولا يذرون ما هم عليه من العناد ، وجدت للطعن فيهم مجالا ، فقلت بديهة وارتجالا :

الى الله أشكو البائعين بجهلهم   فنون المعاني بالدعاوى الكواذب
بتحريك رأس بعد لبس عمامة   وغَمْزٍ بعين ثم رمز بحاجب (١٦)

وقال مستغرباً ما يفعله الناس في اللغة حين يقعون في التناقض ، ولا موجب له : « ــ ولا ينقضي عجبي من هؤلاء القوم ، يشدّدون المخفف ، ويخففون

(١٤) مجلة المورد ، العدد الخامس ــ القرن الخامس عشر / ١٩٨١ : ص ٥٥٢ كتاب (التنبيه) بتحقيقنا .
(١٥) التنبيه : المقدمة ٥٥٥ .
(١٦) نفسه ، ص ٥٥٧ .

المشـّدد ، كأنهم جبلوا معكوسين » (١٧) .

وقال : « والجافون يستعملونه بالمعجمة لعدم ز وال الكزازة عنهم »(١٨) ، الى غير ذلك من الأحكام القاسية ، والنقدات اللاذعة .

والحق أن (ابن كمال باشا) لم يستخدم هذا الأسلوب النقدي إلاّ في الأخطاء التي توجب ذلك ، وإلا فإنه يكتفي في الكثير الغالب ببيان وجه الخطأ ، أو الإشارة الى أنه لحن ، ويعلل – أحياناً – سبب الوقوع في الخطأ واللحن ، كما ترى في خطأ الناس تسمية (كعب الأحبار) بـ (كعب الأخبار) ، قال : « لكثرة ما يرويه من الأخبار وهو وهم » . (١٩)

وكقوله في جملة أغلاط يقع فيها الناس : « وسببه عدم الالتفات الى ما يخرج من أفواههم ، كأنهم غير مؤاخذين به ، وإلا فكيف يخفى على العاقل أمثالها » (٢٠) .

إن مثل هذه الأحكام والتقريرات التي يطلقها ابن كمال باشا) على ما يخطئ فيه الخواص والعوام من اللغة ، تدل بشكل واضح على الأصالة في المنهج ، وقوة الشخصية ، والسعة في المعرفة ، والثقة الكبيرة بما يمتلك من علم اللغة العربية . ومما يدلنا على هذه الثقة بعلمه ، قوله فيمن يفتح لام (مُسَيْلِمة) : « ان لفظ مُسَيْلِمة – بكسر اللام : تصغير مسلمة ، واسم للكذاب المشهور ، فمن يقولها . بفَتْح اللام – ويدعّي الصحة – اكذب منه » (٢١) .

ومما يدلنا على (أصالته) في هذا العلم ، وصحة اتجاهه الخاص فيه ، قوله وهو يخطّئ من يكسر جيم (الترجمة) ، أو يضمها : « وما شاع بين

---

(١٧) نفسه ، ص ٥٦٦ .
(١٨) نفسه ، ص ٥٧٥ .
(١٩) نفسه ، نفسه رقم ٢٩ .
(٢٠) نفسه ، ص ٥٨٢ .
(٢١) التنبيه ٥٨٣ .

الناس من ضم الجيم خطأ ، وقد سمعت هذه اللفظة من بعض الأماثل ، فشددّت النكير عليه ، ففكر زماناً ، ثم أدى رأيه الى أنها بوزن : الفعلة كتبصرة ، فاستحييت ، ووددت أني لم أسأله عنها » (٢٢) .

ولعل ما رصده (ابن كمال باشا) يمثل بصدق ما اشتهر بين جيله من أخطاء ، وهي مهمة ذات قيمة علمية من مهمات البحث في اللهجات الشعبية المتولدة عن العربية السليمة ، ومن المعروف ان (ابن كمال باشا) قد عاش بين أبناء قومه الترك ، وكان لابد « أن يجد من الخطأ اللغوي واللحن والانحراف في اللسان والكتابة الكثير ، غير أن ما رصده هذا الرجل من الأخطاء قد تعدّى المئة بقليل ، وهو عدد ضئيل اذا ما قيس بالكتب المؤلفة في هذا المضمار . وهذه قضية تدل على أن العناية بالعربية في زمن دولة الأتراك الاسلامية ، كانت تمثل مكاناً مهما ، وذلك أنها لغة الدين والقرآن وحديث النبي والشعر العربي وآداب العرب المسلمين . وكانت العناية بهذه الفنون والمعارف واضحة في مؤلفات القوم قبل (ابن كمال باشا) وبعده ، فضلا عن عشرات الكتب التي ألفها الرجل نفسه . وكان (ابن كمال باشا) يعترف بتأثير اللغة الأعجمية في لسان المخطئين حين يعلل بـ « أن أهل بلاده تلقنوا هذه الكلمة من أبناء العجم ، وهو مفتوح الهمزة في لسانهم » (٢٣) .

إن أصالة (ابن كمال باشا) فيما ألف جعلت علماء اللغة بعده يسطون على أقواله ، ويقفون على نقده واستحسانه ، ويودعون كتبهم نصوصاً منتخبة منه .. ولعل ابن بالي القسطنطيني (ت ٩٩٢ هـ) خير مثال على ما نقول ، فكتاب (ابن بالي) : « خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام » (٢٤) ، أورد نحو ٢٢٣ مفردة أو عبارة مما يخطئ فيه العوام في الشكل أو الدلالة ، ولكن ما

(٢٢) نفسه ٥٦٩ .
(٢٣) التنبيه ٥٦٥ .
(٢٤) التنبيه : ٥٦٥ .

يقرب من ربع هذا المقدار من الأخطاء مستمد من « كتاب التنبيه » ، بلا احالة ، غير أنه (ابن بالي) أشار في ثلاثة مواضع من كتابه الى (بعض الأفاضل) ، أو (بعض الفضلاء) ، ويريد به (ابن كمال باشا) من غير تصريح .

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن كمال باشا في « الإباء » : يزيدون فيه الياء فيقولون الايباء ، وكأنهم يظنونه من الأفعال ، وليس كذلك . وقد نظمت في هذا ما يدلهم على الصواب ، ويعيّن بابه من الأبواب ، فقلت :

أخو الجهل الموقر لايبالي
أينطق بالخطا أم بالصواب
وأما من له عقل سليم
أبى يأبى إباءً فهو آبي (٢٥)

فأخذه (علي بن بالي) في خير الكلام وأوجزه ، وأضاف في أوله قوله : « ومن أغلاطهم الفاضحة لفظ (الأيباء) والصحيح (الإباء) ، وهو مصدر أبي يأبى » (٢٦) .

ومن ذلك أيضاً ما نقله ابن بالي في (الإباقة) ، و (أم غيلان) ، و (كعب الأحبار) ، و (السحور) ، و(الباور) ، و (البشارة) ، و(البرية) ، و (ابن يامن) وغيرها الكثير .

والواضح من نقل ابن بالي أنه يحاول إيجاز عبارة ابن كمال باشا دون الإخلال بأفكارها ومضامينها . ففي تفسير لفظة (أم غيلان) أورد ابن بالي : أنهم يقولون « مغيلان » للشجرة التي تنبت في بوادي الحجاز ، ونقل من

(٢٥) طبعه ببيروت الدكتور حاتم الضامن ــ مطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

تصحيحها ، وأنها : شجرة السمُر (٢٧) . وهذا كله مضمون عبارة ابن كمال باشا . ولكن ابن كمال باشا لم يكتف بهذه الفوائد ، بل استطرد على وَفْقِ منهجه في التفسير ، الى فوائد مهمةٍ أخرى ، كنقده المخطئين بأنهم « ان زعموا أنه صح بكثرة الاستعمال ، وصار كأنه من الالفاظ الأعجمية ، قلنا : قد عرفت أن كثرة الاستعمال لا تخرج الغلط عن الغلطية . فإن سلم ، فلا أقل من معرفة الأصل وعروض التحريف . وان ادعوا أن سبب استعماله وخفته على اللسان ، قلنا : فلم تقولون في (المقياس) أم القياس ، مع أنه أخف وأصح . وبالجملة لا يعذر أهل العلم في هذا » (٢٨) . وباقي كلامه أورده ابن بالي .

ويحـاول ابن بالي صرف النظر عن نقوله من ابن كمـال باشا حين ينقل من مصدر آخر في تصحيح المفردات . فاذا نقل ابن كمال باشا من الصحاح للجوهري ، نقل هو من القاموس المحيط ، وقدمّ وأخر وحذف من العبارة لتكون بعيدة شيئاً مّا عن كلام المنقول منه ؛ قال ابن كمال باشا :

« ومنها لفظ الإباق : يزيد فيه أكثر الناس تاء ، فيقولون : الإباقة ، زعماً منهم أن اللفظ من باب الافعال ، وقد غيره الإعلال ، كالإفاقة ــ مثلا ــ لكنه من التلاشي ، والهمزة أصلية ، قال في الصحاح : « أَبق العبد

فقال ابنُ بالي : « ومن أوصافهم للفظ الإباقة ، زعماً منهم أنه من باب الأفعال كالإفاقة ، وهو ثلاثي . في القاموس أبق العبد ، كسمع وضرب ومنع ، أبْقاً ، ويحرّك وإباقا » (٣٠) .

لقد كان على (ابن بالي) أن يشير بصراحة الى الأخذ من ابن كمـال باشا

(٢٧) خير الكلام ٢١ .
(٢٨) التنبيه ٥٦٣ ــ ٥٦٤ .
(٢٩) نفسه ٥٦٢ .
(٣٠) خير الكلام ٢١ .

لأن ابن كمال باشا هو السابق ، وهو الاكثر أصالة في بحثه ، وطرح آرائه وبيان مذهبه ، كما يبدو من خلال شروحه وتفسيراته .

مصادر ابن كمال :

تنوعت مصادر ابن كمال باشا بين :

١ — المعجمات ، كالقاموس للفيروز آبادي والصحاح للجوهري .

٢ — التفاسير ، كالكشاف للزمخشري .

٣ — وكتب الأخبار والأدب وتاريخه ، كالمعلقات الشعرية ودواوين الشعر .

٤ — وكتب النحو واصول اللغة ، ككتاب سيبويه والمفصّل للزمخشري .

٥ — واضافاته الخاصة مما سمعه من أبناء زمانه من أخطاء أو قراءة في كتبهم ، أو ما صنعَ من شعر خاص به يصحح به الأخطاء أو ينبه على الغلط . ومن شعره قوله في وهم الناس بلفظة (الأوان) (٣١) :

أننكر لحن أبناء الزمانِ ... ووَهْم الناس في لفظ الأوانِ

ولو حاولتَ للأوهام رَصْداً ... اذنْ ضاقت عن البعض الأواني

ومن اشاراته الى أصحابه في زمنه . قوله في مصدر (فرغ) : الفراغ والفروغ : « وذكر في الصحاح له هذين المصدرين ، ولم يسمع الفراغة — بالتاء — الا من أصحابنا » (٣٢) .

٦— وقد يشير الى كتب اللغة من غير تحديد . وعلى الجملة فان مصادر ابن كمال باشا كما تبدو لم تكن كثيرة ، وذلك لاعتماده على قدرته اللغوية ،

---

(٣١) التنبيه ٥٦٤ ، لفظة برقم : ٨ .

(٣٢) نفسه ٥٩٠ ، لفظة برقم : ٨٣ .

وثقافته الخاصة ، وليس ذلك بكثير عليه ، وهو المطلع العالم الحافظ المتنوع .

كلمة اخيرة :

يبدو لنا من خلال عناية (ابن كمال باشا) اللغوية – ولاسيما العربية – أن العصر الذي عاش فيه هذا الرجل ، لم يصب بآفة قاتلة للعربية كما كنا نظن (*) ، وأن اللحن الذي رصده ، والأخطاء التي كان يسقط فيها الناس في مجتمع يتكلم باللغة القومية – وهي التركية – لاتعد شيئاً ذا بال ، اذا ما قيست بالأخطاء التي نقلتها لنا كتب العصور الاسلامية المتقدمة ، كعصر الحريري (ت٥١٦ ﻫ) في (الدُّرة) ، أوعصر الزبيدي الأشبيلي (ت٣٧٩ ﻫ) في (لحن العامة) في الأندلس . ولعل السبب يرجع الى ردة الفعل التي كان يشعر بها الترك ، وهم يدينون للقرآن الكريم ، ويؤمنون بالإسلام شرعةً ومنهاجاً في حياتهم مما جعلهم يعنون بلغة التشريع والدين ويحافظون عليها ، ويتسابقون في الدفاع عنها وصيانتها ، وهذا هو الواقع الملموس بالنسبة لجميع المسلمين المخلصين من غير العرب المحبين للعربية وأهلها ، فنحن واجدون اليوم منهممن يتقن العربية ، ويكتب بها أفضل من الكثيرين من أبناء الضاد .

والأغلاط التي اشار اليها (ابن كمال باشا) و (ابن بالي) وغيرهما من باحثي الاتراك ، ليست وقفاً – كذلك – على (علماء الأتراك وجهالهم) ، بل إن الكثير منها أخطاء مشتركة بين بلدان العالم الإسلامي في عصر المؤلف ، وربما بقي البعض منها الى اليوم . فمن ذلك قول العامة هذا اليوم (جمادى الأول) مثلاً – وهو خطأ كان شائعاً على عصر المؤلف في القرن العاشر ، ونبه عليه فقال : « جمادى الأولى والآخرة .. والعوام يستعملونها بالمعجمة

(*) سبق في أول البحث ان اشرنا الى أن لسان المتكلمين بالعربية في بلد غير عربي قد أصيب بانحدار غريب ظهر في ما انتجه المعنيون باللغة . وقلنا هنا : ان هذا الانحدار لم يكن آفة قاتله للعربية ، فالعربية راسخة ثابته ولكن الانحدار شمل الالسن في مجتمع يتكلم اهله لغة قومية غير العربية المؤلف

المكسورة ، ويصفونها بالأول ، فيكون فيها ثلاثة تحريفات .. الخ » (٣٣) .

ومنه قولهم (مسيلمة) بفتح اللام ، والصحيح كسرها ، ومنه السَّحُور بفتح السين ، والناس تقوله بالضم ... الخ ، ومثل هذا كثير في لسان العامة في عصرنا .

والخلاصة إن كتاب (ابن كمال باشا) يمثل صورة صادقة عن لغة عصر المؤلف ، وكان قد قصد الى « التنبيه على غلط الجاهل والنبيه » فأصاب كثيراً فيما قصد اليه .

ولئن كانت لنا عليه بعض التصحيحات التي وجدناه ينحرف بها عن جادة الصواب ، إن ذلك لقليل في جنب الكثير الصحيح . فمن وهمه القايل . -- مثلا — تخطئة العامة بقولهم : « حق الشُّرب » بضم الشين ، في حين ذكر االغويون أن الشين مثلثة : « شِرب ، شَرْب شُرب » مصدرها بالفتح ، وإسميتها بالكسر والضم (٣٤) .

وقد يقع (ابن كمال باشا) نفسه في الوهم في بعض عباراته ، ومن ذلك قوله : « ولو أنهم نقلوا هذه الألف الى موضعها فاستراحوا » (٣٥) . وكان عليه أن يقول : (لاستراحوا) ، لأن جواب شرط (لو) يقترن باللام ، لا بالفاء .

والحق أننا يمكن أن نُنصِف (ابن كمال باشا) بأكثر مما سبق ، فنقول : إنه واحد من القلائل الذين رفدوا البحث اللغوي العربي بالكثير من النظرات الأصيلة والاتجاهات الصحيحة ، كما رفد المكتبة اللغوية العربية بمجموعة لايستهان بها من التصحيحات والتحقيقات . وقوّم كثيراً من الأوهام والأخطاء التي جازت على أبناء الضاد ، فضلاً عن غيرهم ، فكان له في ذلك فضل تميز به مِنْ سائر علماء عصره القرن العاشر الهجري .

(٣٣) التنبيه ٥٧٣ الخطأ برقم : ٢٦ .
(٣٤) نفسه ٥٨٤ .
(٣٥) نفسه ٥٨٥ .

جماليات اللغة العربية

الدكتور عبدالحميد ابراهيم محمد
كلية الآداب .. جامعة المنيا

لست أعني بالجماليات ، ذلك المستوى الادبي في اللغة ، والذي يعتمد على الموهبة والصناعة الفنية انه مستوى ثان ، يوفره كل أديب في لغته ، انه يضطنع من الرسائل ما يستطيع بها نقل تجربته الى القارىء وخلق الحالة الشعورية التي يحس بها ، ان اللغة حينذاك تتحول الى اداة ، كتلك الاداة عند الفنان التشكيلي ، يتلاعب بها الاديب ويحولها الى عالم جمالي ؛ ان العالم الجمالي حينذاك عالم مصنوع من خلق الفنان ، ويختلف من لغة الى لغة ، بل ومن فنان الى آخر .

وانما أعني بالجماليات هنا ، ذلك المستوى الأول في اللغة ، والذي يتحقق قبل تدخل الأديب ، انه مستوى من صنع اللغة نفسها ، ويتحقق في بنيتها اللفظية ، وفي تراكيبها ، وفي حروفها ، انه ليس من صنع الاديب ويخضع لذوقه ، ويتأثر بالصناعة الفنية ، انه مستوى يتحقق مباشرة مع بنية ودلالة اللغة نفسها .

وهناك ظاهرة يلاحظها كل قارئ للغة العربية ، في حد ذاتها وقبل أن تصبح أدباً وفناً وصناعة ، انها لاتكتفي بالوظيفة النفعية ، التي تنقل الدلالة من المتكلم الى المخاطب ، بل هي تحرص على أن يصحب تلك الدلالة نوع من الجمالية ، تخلقه اللغة في بنيتها وفي العلاقات بين الجملة والجملة ، والكلمة والكلمة ، والحرف والحرف ، انها لغة تعتمد على الأذن قبل العين ، وتتصل

الى القارىء المتلقي عن طريق الانشاء لا القراءة ، ومن هنا حرصت في بنيتها ان تكون سهلة الالتقاط من الاذُن .

الاقاويل حول افضلية اللغة العربية في الكتب القديمة كثيرة (١) فهي لغة أهل الجنة ، وأول من تكلم بهـا آدم ، وغير ذلك من اقاويل قـد تكون بدافع الحماسة وقـد لا تخضع للتبرير العقـلي ولكن يبقى من كـل ذلك انهم كانوا لاينظرون الى العربية نظرة عادية ، على اعتبار انها مجرد اداة يومية لنقل الخبرة بين الناس ، بل كانوا ينظرون اليها نظرتهم الى المستوى الفني ، الذي يتجاوز المادة الخام والخبرة اليومية .

وابن فارس يرد على هؤلاء الذين يرون البيان قد يقع بغير اللسان العربي لان كل من افهم بكلامه على شرط لغته فقد بيّن (٢) ، فيرى ان مجرد الافهام أحسن مراتب البيان ، والابكَم قد يدل بحركاته على ما في نفسه ، ثم يشير الى مستوى آخر من البيان يتحقق في اللغة العربية ، ويرتفع بها عن مجرد الافهام، وهو مستوى يختلف عن المستوى الادبي ، الذي يتحقق في كل اللغات ، انه مستوى كما هو واضح من كلام ابن فارس يتحقق في بنية اللغة نفسها وتراكيبها من ادغام وشوم وروم ومد وقلب وتخفيف واضمار وترادف .

وكثير من القدماء قد تنبه لهذا «المستوى الجمالي» في بنية اللغة ، يقول الفارابي حول ذلك كلاما منه ان اللسان العربي بنىمباني باين بها جميع اللغات من اعراب أوجده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون حلاه به ، فلم يجمع بين ساكنين ، او متحركين ، متضادين ، ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان

(١) راجع الصاحبي « باب القول في ان لغة العرب افضل اللغات واوسعها ».

(٢) الصاحبي ص ١٢ .

ولا يعذب النطق بهما ، أو يشنع ذلك منهما في جرس النغمة وحسن السمع ، كالعين مع الحاء والقاف مع الكاف ، والحرف المطبق مع غير المطبق مثل تاء الافتعال مع الصاد والضاد في اخوات لهما ، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها ، والياء الساكنة مع الضمة قبلها . « ثم يذكر ان لغة العر ب » قد اسسها الله على الرونق والعذوبة وان هذا على ابواب الادغام وادخال بعض الحروف في بعض ، وكذلك الامثلة والموازين ، اختير منها ما فيه صيب اللفظ وأهمل ما يجفو اللسان عن النطق به اولامكرها ، كالحرف الذي يُبتدأ به لا يكون الا متحركا ، والشيء الذي تتوالى به اربع حركات او نحو ذلك يسكن بعضها (٣)

ويقول ابن المقفع وقد سمعنا لغات كثيرة وان لم نستوعبها من جميع الأمم كلغة اصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم صقلاب وأندلس والزنج ، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية اعني الفرج التي في كلماتها ، والفناء الذي نجده بين حروفها ، والمسافة التي بين مخارجها ، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها (٤) .

الفارابي وابن المقفع هنا لايتحدثان عن المستوى الادبي ، الذي تكلمت كتب البلاغة بالكشف عنه ولكنهما يتحدثان عن مستوى يتحقق في بنية اللغة وتركيبها يسميه الفارابي الرونق ويسميه ابن المقنع النصوع ، ويسميه ابن فارس السمة (٥) .

---

(٣) المزهر ٣٤٢/٢ .

(٤) الامتاع والمؤانسة ٧٧/١ .

(٥) الصاحبي ص ١٢ .

كل هذه المسلمات تعود كما هو واضح من ثنايا كلامهم ، الى ما تتميز به اللغة العربية في مستواها اللفظي الاول ، وقبل ان يدرج في المستوى الادبي ، من جمال وايقاع .

يقولون ان اللغة العربية لغة الفاظ ، وانها كذلك على الا يكون هذا بالمعنى المشين الذي يلصقه بعض المعاصرين والمستشرقين باللغة العربية ؛ وهي في ظنهم لغة الفاظ تهتم بالترادف والتكرار والزخرفة ، وتفتقر الى عدق المعاني وخصب الخيال .

انها لغة الفاظ ، لانهـــا لا تكتفي بنقل الخبرات اليومية ، في طريقة مجردة عادية ، ولكنها تعتني بنقلها عن طريق الفاظ ، يتحقق لها النصوع والرونق والسمة . وفي علل هذا المفهوم نستطيع ان ندرك وظيفة للترادف والتكرار وما يسمونه الحروف الزائدة ، فليست العبرة في الفاظ كثيرة تبلغ الخمسين والمائة للأسد ، والمائتين للحية والسبعين للحجر ، ولكن العبرة في ثروة توضع امام المتكلـــم ، لكي ينتقي منهـــا ما يهـــديه اليه ذوقه ان العبرة كما يشرح السيوطي ، وهو يتحدث عن فوائد الترادف ، (٦) في التوسع في طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر وذلك لان اللفظ الواحد ، قد يتأتى باستعماله مع لفظ أخر ، السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع .

وقد نشأ علم يقال له الانشاد ، وهو يختلف عن الغناء وعن ترتيل القرآن الكريم ، ولكن الوظيفة في النهاية تتشابه معهما ، فهو يهدف ايضا الى امتاع الاذن عن طريق انشاد الشعر ، بكيفية تجعله عذبا موسيقيا ، وهذه الكيفية تسيطر على القصيدة فيضحى من أجلها ببنية المفردات وبالقواعد الاعرابية .

---

(٦) المزهر ١/٤٠٦ .

وتحت عنوان « باب وجوه القوافي في الانشاد » (٧) ، يورد سيبويه امثلة يتحكم فيها الانشاد في الكلمة ، فيزيد عليها ، او يغير من حركة اعرابها ، وهو شيءٌ مقبول عند العرب ومستساغ في الذوق ، لان الشعر وضع للغناء والترنم كما يقول سيبويه .

فقد يدفعهم الترنم الى مد حركة الروى ، فيزيدون الواو أو الياء أو الالف بحسب الحركة ، فيقولون في الجر : —

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي .

ويقولون في النصب : —

فبتنا تحيد الوحش عنا كأننــا قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا(٨)

ويقولون في حالة الرفع : —

هريرة ودعها وان لام لائمـــو ..

وقد يدفعهم الانشاد الى ان يصلوا القافية بالنون فيقولون : —

يا أبتا علَّك او عساكن (٩) .

يا صاح ما هاج الدموع والزَّرفَن .

من طلل كالأتحمى انهجَن (١٠) .

(٧) الكتاب ٤/٢٠٤ .

(٨) تحيد : تميل او تنفر . يذكر انه خلا بمن يحب بحيث لا يطلع عليهما غير الوحش والبيت ليزيد بن الطثرية وهو ابن عنز بن وائل والطثرية امه ، قتل سنة ١٢٦ هـ .

(٩) من رجــز رؤبة ، وهو ابو محمد رؤبة بن العجاج ، كان مقيمــا بالبصرة وخرج الى البادية وتوفى بها سنة ١٤٥ هـ .

(١٠) من رجز العجــاج . والاتحمى : ضرب من البرود موشى ، انهج انهاجا : اخلق وابلى : والعجاج هو : عبدالله بن رؤبة لقى ابا هريرة وســمع منه الحديث .

وقد يحركون في الانشاد الساكنَ أو المجزومَ فيقولون : —

أغرك مني أن حبك قاتلــي وانك مهما تأمري القلب يفعل
متى تأتنا نصبحك كأسا روية وان كنت عنها غانيا فاغن وازدد (١١)

يورد سيبويه آيات من القرآن الكريم جاء المصدر فيها على غير فعله مثل قوله تعالى : — « وتبتل اليه تبتيلا » (١٢) وتبتل مصدر بتل وليس تبتل .

ويذكر سيبويه السبب في ان معنى الفعلين واحد (١٣) ، فيجوز ان يتناولها المصدر ، وفي ظني ان السبب أبعد من ذلك ، ويرتد الى الايقاع الموسيقى الذي تحرص عليه الآيات بشدة ، ان الفواصل في سورة المزمل تقتضي هذا الوزن حتى لو أدى الى الاطاحة بالقاعدة ، فهناك ياء مد قبل الفاصلة في الآية التي قبل هذه الآية ، وفي الآية التي بعدها ايضاً ، فناسب الحرص على الاطراد الموسيقي حتى لو ادى ذلك الى الاطاحة بالقاعدة : (ان الحرص على موسيقية الآيات ، او مناسبة الفواصل كما يقول السيوطي (١٤) شئ هام ، يضحى من اجله بالقواعد المتعارف عليها) ويعدد السيوطي وجوها كثيرة خالفت فيها المناسبة الاصول ، ومن ذلك : —

١ — حذف ياء المنقوص المعرف نحو : الكبير المتعال — يوم التناد .
٢ — حذف ياء الفعل غير المجزوم . نحو : والليل إذا يسر .
٣ — حذف ياء الفعل غير المجزوم . فكيف كان عذابي ونُذُرِ — فكيف كان عقَابِ .

---

(١١) البيت لطرفة : نصبحك من الصبوح : وهو شرب الغداة . والروية : المروية .
(١٢) ٨/ المزمل .
(١٣) الكتاب ٤/ ٨١ .
(١٤) الاتقان ٢/ ٩٩ .

٤ — زيادة حرف المد نحو : الظنونا — الرسولا — السبيلا .

٥ — صرف ما لا ينصرف نحو : قوارير ، قواريرا .

٦ — ايراد الكلمة غير مطابقة في الاسمية او الفعلية — نحو : ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الاخر وما هم بمؤمنين . ولم يقل ولم يؤمنوا .

٧ — ايراد القسمين غير مطابق . نحو « وليعلمن الله الذين صدقوا . وليعلمن الكاذبين ولم يقل : والذين كذبوا » .

٨ — الاستغناء بالافراد عن التثنية نحو فلايخرجنكما من الجنة فتشقى .

٩ — الاستغناء بالافراد عن الجمع نحو : واجعلنا للمتقين اماما . ولم يقل : ائمة .

١٠ — الاستغناءبالجمع عن الافرادنحو : لا بيع فيهولاخلال ، ولم يقل : خل .

١١ — امالة مالايمال كآيات سورة طه وسورة النجم .

١٢ — الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، نحو : ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى .

١٣ — وقوع مفعول موقع فاعل . نحو : حجابا مستورا — كان وعده مأتيا .

١٤ — وقوع فاعل موقع مفعول ، نحو : عيشة راضية .

١٥ — اثبات هاء السكت نحو : ماليه — سلطانية .

١٦ — العدول عن صيغة الماضي الى صيغة الاستقبال ، نحو : ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون .

١٧ – تغيير بنية الكلمة نحو : وطور سنين ، واصلها سيناء .

★ ★ ★

تحدث ابن فارس عما سماه المحاذاة في اللغة العربية ، وذلك ان تجعل كلاما بحذاء كلام « فيؤتى به على وزنه لفظا ، وان كانا مختلفين ، فيقولون : الغدايا والعشايا ، فقالوا الغدايا لانضمامها الى العشايا ، ومثله قولهم : اعوذ بك من السامة واللامة ، فالسامة من قولهم سمت النعمة اذا خصت ، واللامة أصلها من ألمت ، ولكن لما قرنت بالسامة جعلت في وزنها » (١٥) .

ان ابن فارس ينبه الى الفكرة الجمالية ، التي تحرص عليها تراكيب اللغة العربية ، حتى لو أدت الى مخالفة القاعدة ، فالغداة لا تجمع على الغدايا ولكنهم لما قرنوها بالعشايا ، جاءت على وزنها لكي تتناسب معها ، واسم الفاعل من الم انما يكون « ملمة » ، ولكنها جاءت على وزن اللامة لتتناسب مع « السامة » .

ويضرب ابن فارس امثلة للمحاذاة ، وقعت في القرآن الكريم فقوله تعالى « ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم » (١٦) ، وردت اللام في كلمة فلقاتلوكم من باب المحاذاة مع لسلطهم ، مع أن الاصل هو « ولو شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلوكم » فاللام من المفروض ان تقع فقط في جواب « ولو » ولا حاجة في ان تقع ايضاً في المعطوف على جواب لو .

ويقول تعالى « لأعذبنه عذاباً شديدا او لأذبحنه أو ليأتيني » (١٧) فالفعل الاخير ليس موضعا للقسم . فلم يكن ليقسم على الهدهد أن يأتيه بعذر ، ولكن لام القسم قد دخلته ، لكي يتناسب مع الفعلين الآخرين .



(١٥) الصاحبي ص ١٩٥ .
(١٦) ٩٠ / النساء .
(١٧) ٢١ / النمل .

وقد تحدث اللغويون عن ظاهرة سموها « الاتباع » وهي أن تأتي الكلمتان او اكثر على وزن واحد ، والكلمة الثانية او الثالثة لا تفيد معنى جديد ، ولا تستقل عن الكلمة الاولى ، بل هي تأتي تابعة لهـا ، وكأنه تعبير ومصطلح يحفظ برمته وهـو قد يأتي من كلمتين مثـل : قسيم وسيـم ، ونسيل بسيل ، وجديد قشيب ، وشيطان ليطان ، وعطشان نطشان ، واسوان اتوان ، وحسن بسن ، وساغب لاغب ، وخب ضَّب ، وخراب يباب ، وحياك الله وبياك ، وحار يار .

وهو قد يأتي من ثلاث كلمات مثل : حسن بسن قسن ، ولا بارك الله الله فيك ولا تارك ولا دارك ، وغض بض نض ، وحار جار يار ، واجمعون اكتعون أبضعون .

ان هذه الظاهرة لافتة للنظر في اللغة العربية ، وقد الف فيها ابن فارس كما يقول السيوطي معجما مستقلا اسماه الاتباع والمزاوجة (١٨) واختلف اللغويون في تفسيرها وان كانوا يرونها تختلف عن الترادف وعن التأكيد ، فالكلمة الثانية لا تستقل عن الاولى ويجب ان تأتي على وزنها ، انهم يكتفون بتعليلها تعليلا سريعا فيقولون « هو شيْ نتد به كلامنا (١٩) أي نثبته .

ولكن ما مقصود التثبيت هذا ، انه في ظني تثبيت موسيقى ، فحرص اللغة على الايقاع يجعلها تهتم بالموزونات المتتالية ، التي تستريح اليها الأذن ، حتى لو لم تكن لها اضافة كبيرة في المعنى ، فالايقاع شيْ اساسي تهدف اليه اللغة العربية وتجلب الترادف والتكرار والاتباع والزوائد لكي تحقق هذا الهدف :



(١٨) المزهر ٤١٤/١ . وقد نشره بروني سنة ١٩٠٦ م .
(١٩) المرجع السابق ٤١٤/١ .

تولي الفصحى عناية كبيرة بالصوت الانساني ، فهناك الترخيم والمد اللين وغير ذلك من زيادات وحذف وتغييرات ، يقصد بها التنغيم الصوتي ، او على حد تعبير ابن جنى يقصد بها الاتساع في الكلام (٢٠) .

ان الزيادات في الفصحى تؤدي وظيفة جمالية ، فهي ليست شيئا عبثاً يمكن الاستغناء عنه ، ولكنها تأتي بما يتفق وطبيعة هذه اللغة ، التي تميل الى التنغيم الصوتي ، واكتساب الصوت الانساني درجات ، تستطيع ان تعبر عن الحالة الشعورية .

وقد تنبه القدماء الى هذه الوظيفة وشرحوها في اكثر من موضع ، فحين يتحدثون عن الف الندبة مثلا يذكرون وظيفتها ، فهي قد زيدت « لمد الصوت واظهار التفجع على المندوب » (٢١) ، او « لان الندبة كأنهم يترنمون فيها »(٢٢)

وحين يتحدثون عن المد الذي يجاور آخر الكلمة ، يذكرون له وظيفة جمالية ، يشرحها ابن جنى فيقول : « انما جيء بالمد في هذه المواضع لنعمته وللين (٢٣) الصوت به وذلك أن آخر الكلمة موضع الوقف ومكان الاستراحة والأوان (٢٤) فقدموا امام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه وما يخفف من غلواء الناطق واستمراره على سنن جريه وتتابع نطقه ، ولذلك كثرت حروف المد قبل حروف الروي – كالتأسيس والردف – وليكون ذلك مؤذنا بالوقوف ، ومؤديا الى الراحة والسكون ، وكلما جاور حروف المد

---

(٢٠) المنصف ص ١٤ .
(٢١) المنصف ص ١٥ .
(٢٢) الكتاب ٢/٢٢٠ .
(٢٣) النعمة بفتح النون : في الاصل الترفة والمراد رقة الصوت .
(٢٤) الدعة والسكون .

الروي كان آنس به وأشد إنعاماً لمستمعه » (٢٥) .

ويضرب ابن جنى في موضع آخر (٢٦) أمثلة للردف ، الذي يلزم الضرب الثالث من الطويل ليكون عوضا من لام مفاعيلن ، وليدل على لين الصوت ، مثل :

اقيموا بنى النعمان عنا صدوركم — والا تقيموا اصاغرين الرؤوسا
لعمرك اني في الحياة لزاهـد — وفي العيش ما لم ألق ام حكيم
جزوني بما ربيتهم وحملتهم — كذلك ما إن الخطوب دوال

* * *

وقد تحدث كثير من اللغويين عن الكلمة الفصيحة (٢٧) وهم لا يعنون بالفصاحة هنا المستوى الادبي ، الذي هو خطوة ثانية بعد صحة اللغة وانما يعنون المستوى اللغوي ، ومن هنا درست في كتب البلاغة كمقدمة ، ولم تدرس في صلب الابواب التقليدية .

وكان خلو الكلمة من تنافر الحروف ، ومن الثقل على السمع ، من شروط فصاحتها ، ومن هنا أخذوا يتحدثون عن الحروف الثقيلة ، وعما يكثر استعماله من الحروف ، وعن رتب الفصاحة في الكلمة الواحدة ، التي رفعها بعضهم الى اثنتي عشرة رتبة في الكلمة الثلاثية (٢٨) ، وهم يعنون بذلك مخارج الحروف في الكلمة الواحدة ، والانتقال من مخرج الى آخر ،

---

(٢٥) الخصائص ٢٣٤/١ . والتأسيس : الف يكون بينهما وبين الروى حرف متحرك وذلك كالالف من كلمة « قوائم » مثلا . اما الردف : فهو حرف من حروف العلة يقع قبل حرف الروى مباشرة مثل « تجافينا » أو « الجيب » أو « هبوب » .

(٢٦) المنصف ص ١٤ .

(٢٧) المزهر ١٨٤/١ .

(٢٨) المزهر ١٩٧/١ .

كالانتقال من الاعلى الى الاوسط الى الادنى ، ويرون ان هذا احسن التراكيب واكثرها استعمالا .

ان الحديث عن احسن الابنية في الكلمة الواحدة شيء قد اهتم به اللغويون ، وحددوه على اساس صوتي ، فالحروف « اذا تقاربت مخارجها كانت اثقل على اللسان منها اذا تباعدت ، لانك اذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ، ودون حروف الذلاقة ، كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة ، الا ترى انك لو الفت بين الهمزة والهاء والحاء اوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها ، نحو قولهم في « أم والله » هم والله ، وكما قالوا في « أراق » هراق الماء ، ولو جدت الحاء في بعض الالسنة تتحول هاء (٢٩) .

ان السيوطي في نهاية النص السابق يشير الى فكرة ، هي المسؤولة عن التغيرات التي تحدث في بنية الكلمة ، وهي فكرة تقريب صوت من صوت ، فقد يأتي صوتان متقاربان في المخارج ، وقد يحدث ذلك صعوبة في النطق ، يخرج الكلمة عن فصاحتها . هنا يأتي دور الادغام ، والامالة ، والابدال ، والقلب ، والاعلال والاشمام ، والروم ، وغير ذلك من مصطلحات تتردد في كتب اللغة ، وهي تعني في النهاية ، تقريب صوت من صوت ، لكن تصبح الكلمة في النهاية سهلة في النطق خفيفة على السمع .

وتحت عنوان « الادغام الاصغر » (٣٠) يقدم ابن جنى صورا مختلفة لتقريب الصوت من الصوت ، فمن ذلك الامالة في نحو عالم ، ففتحة العين تقرب الى كسرة اللام والالف تميل الى الياء .

---

(٢٩) المزهر ١٩٢/١ : الحروف المذلقة : حروف طرف اللسان والشفة وهي : اللام ، والراء ، والنون ، والباء ، والفاء ، والميم .

(٣٠) الخصائص ١٣٩/٢ .

– ومن ذلك ان تقع فاء افتعل صادا أو ظاء فتقلب لها التاء طاء نحو اصطبر واضطرب ، واطرد ، واظطلم .

– ومن ذلك ان تقع فاء افتعل زايا او دالا او ذالا فتقلب التاء دالا ، نحو ازدان ، وادعى ، واذدكر .

– ومن ذلك تقريب الصوت مع حروف الحلق ، نحو ، : شعير ، وبعير ، ورغيف .

– ومن ذلك تغير الحركات الاعرابية في مثل قولهم « الحمدُ لُله » « والحمدِ لِله » .

– ومن ذلك تقريب الحرف من الحرف في مثل قولهم مزدر وتزدير بدلا من مصدر وتصدير .

– ومن ذلك الاشمام في مثل قيل وغيض بأن نأتي بحركة الفاء بين الضم والكسرة .

وتحت عنوان « الادغام » (٣١) يتحدث سيبويه عن مخارج الحروف ، مهموسها ومجهورها ، واحوال المهموس والمجهور ، وهنا نجد ان التنوع الصوتي في الحروف يرتفع بها عن الابجدية العادية ، والتي هي عدد حروفها ثمانية وعشرون ، فتصل الى خمسة وثلاثين حرفا ، مثل النون الخفيفة ، والهمزة التي بين الالف التي تمال امالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، وغير ذلك من حروف تتولد بسبب التنوع في الصوت .

بل وترتفع الحروف الى اثنين واربعين حرفا ، اذا اضفنا بعض حروف غير مستحسنة في القرآن أو الشعر ، وغير كثيرة على السنة العرب مثل الجيم والكاف ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين .

---

(٣١) الكتاب ٤٣١/٤ .

ويتحدث سيبويه هنا عن نوعية الحروف الصوتية ، فيعطي للحروف صفات بحسب نوعيتها الموسيقية ، فهناك الحرف الشديد ، والرخو ، والمنحرف ، واللين ، والهاوي ، والمطبق ، والمنفتح . ويستمر سيبويه في « باب الادغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد » (٣٢) ، فيتابع الحروف التي تقاربت في الصوت فيرى ان ادغامها يجعلها سهلة في النطق خفيفة على السمع .

واذا اتخذنا النون مثلا ، فسنجد سيبويه بعدد الحروف التي تدغم معها مثل الراء والباء والواو والياء . . . الخ . وهو في كل ذلك يتابع قلب النون الى آخر وفيما اذا كانت النون بغنة أو بلا غنة وفيما اذا كانت تخرج من الخياشيم أو من غيرها .

* * *

ان فكرة الحس الجمالي شيء متأصل في اللغة وبلغت قوتها ان فرضت سلطانها على كثير من القواعد المتعارف عليها ، فاللغة العربية تؤثر الايقاع اذا تعارض مع القاعدة ، ويكاد يكون ذلك قاعدة رئيسية ، ان الجمال فوق كل شيء . الفاصلة في القرآن الكريم تهتم بأن ترضي الاذن ، ولو أدى ذلك الى تحطيم قاعدة صرفية او نحوية . وفكرة الانسجام الصوتي يمكن ان تضحي بالقواعدالاعرابية .

ان الكثير من الظواهر اللغوية التي تبدو حشوا في اللغة العربية ، يمكن ان تجد تفسيرها في فكرة الحس الجمالي ، فالتكرار والترادف والاحرف

(٣٢) الكتاب ٤/٤٤٥ .

الزائدة لا يدل كل ذلك على لفظية وثرثرة على حساب الجوهر والمعنى ، بل هو يصدر عن حس موسيقي يعطي للاذن راحتها ، ويوفر لها وسائل الايقاع ، ولهذا السبب وصف القدماء اللغة العربية بالاتساع والنصوع .

ان فكرة الاتباع ليست تعني حشوا لفظيا وتعدادا لالفاظ لا غناء فيهـــا ، ولكنها شيْ نتدبه كلامنا كما قال القدماء ، وهم يعنون انها ظاهرة جمالية ، تجعل الكلام سهلا وتمكن الاذن من التقاطه .

ان ظاهرة الاتباع ترتد الى فكرة الوزن في اللغة العربية ، وهي فكرة جوهرية يقوم عليها علم الصرف ونظام المعاجم العربية ، وهي تحيل اللغة العربية الى وحدات موسيقية ، ترتبط برباط الايقاع والمعنى الرئيسي ، الألوان مثلا على افعل ، الصوت على فعيل ، الحركة على فعلان ، وكل ذلك يحيل اللغة الى مجموعات صوتية متجانسة ، ولكنها لا تتحول الى قوالب مصمتة ، فداخل كل مجموعة يحدث التنوع ، ان مجموعة « افعل » تضم مثلا الاحمر والاسود والابيض والازرق ، وغير ذلك مما يحدث علاقة بين المثال والوزن والجوهر من ناحية ، والمتعدد والالفاظ والافراد من ناحية اخرى ، او بعبارة مختصرة « بين المجرد والمزيد » .

وهي جمالية خاصة ترضي الذوق العربي ، وتستثمر الى اقصى حد النزعة السامية ، التي تحتفي بحاسة السمع اكثر من حاسة البصر ، ان اللغة العربية تمتع حاسة الاذن ، وتلجأ الى المد واللين والزيادة والقلب والترخيم والادغام والاعلال ، وغير ذلك من ظواهر يقصد بها بالدرجة الاولى ، تنويع الصوت الانساني وجعله سهلا على حاسة الاذن ، وان حروف اللغة العربية ليست هي الابجدية العادية ولكنها تنويعات على تلك الابجدية ، فهناك الحرف المهموس والمجهور والشديد والرخو والمنحرف والمكرر واللين والهاوي والمطبق والمنفتح ، وهناك الحروف التي تقلب الى حروف اخرى من اجل التقارب في المخرج ، مما ذكره سيبويه تحت عنوان « باب الادغام في الحروف

المتقاربة التي هي من مخرج واحد (٣٣) .

ان العناية بالصوت الانساني ، هي المسؤولة وراء كثير من الفنون الاصيلة التي هي تعبر عن ذوق عام ، مثل الانشاد والترنم وترتيل القرآن الكريم .

ان اللغة العربية تكاد تكون شيئا فريدا بين لغات العالم ، فهي ليست مجرد وسيلة اتصال ونقل خبرات ، بل هي الى جانب ذلك لغة جمالية تجسد الحس الايقاعي عن طريق ظواهر صناعية مثل تغريب الصوت والزيادة والحذف والتغيير والقلب والادغام ، وغير ذلك من صناعات تقترب بها من لغة الصفوة المنتقاة .



(٣٣) الكتاب ٤/٤٤٥ .

شرح الكافية البديعية

لصفي الدين الحلي

الدكتور احمد مطلوب
(عضو المجمع)

شهد القرن السابع للهجرة لونا جديدا من التأليف في البلاغة هو « البديعيات» التي كانت قصائد تتضمن فنوناً بلاغية في مدح النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وهي من بحر البسيط وعلى روي الميم كقصيدة البوصيري التي مطلعها :

أمن تذكر جيران بــذي سلَمٍ
مزجت دمعــا جرى من مقلة ٍ بدمِ

والبديعيات كثيرة أحصى منها الدكتور احمد ابراهيم موسى أربعا وأربعين(١) ، منها ما هو مشروح ، ومنها ما هو مجرد ، ومنها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط . وقد اختلف الباحثون في نشأتها فذهب الدكتور زكي مبارك (٢) الى أن أبا عبدالله محمد بن احمد المعروف بابن جابر الأندلسي

(١) الصبغ البديعي في اللغــة العربيــة ص ٣٨٠ . (القاهرة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م) .
(٢) المدائح النبوية ص ٢٠٤ . (القاهرة ١٩٦٧ م) .

(ـ ٧٨٠ هـ) ابتكرها ورسم أصولها . وذهب ابن معصوم المدني الى أن صفي الدين الحلي (ـ ٧٥٠ هـ) أول من نظم البديعيات ثم استدرك وقال : إن الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الاربلي الصوفي (ـ٦٧٠هـ) نظم أيضا قصيدة لامية ضمنها ألوانا من البديع ومطلعها :

بعض هذا الدلال والادلالِ

حالَ بالهجر والتجنُّب حالي (٣)

وقال : إنه لا يتحقق أن صفي الدين أول من نظم على الوزن البسيط وروي الميم ؛ لان ابن جابر الاندلسي الأعمى (ـ ٧٨٠ هـ) الذي كان معاصراً للصفي نظم ـ ايضاً ـ بديعيته المعروفة ببديعية العميان (٤) .

ورجّح الدكتور جواد علوش أن يكون صفي الدين أسبق من ابن جابر ، لانه توفي قبله . وان ابن حجة الحموي اعترف باسبقيته في عدة مواضع من خزانته (٥) . وليس هذا دليلاً قاطعا . فقد يكون ابن جابر أسبق لانه كان قد تخطى الخمسين حين مات الحلي ولعله نظمها في هذه السن أو قبل ذلك بكثير فيكون له السبق في هذا المضمار .

ومهما يكن من أمر فقد اشتهرت بديعية صفي الدين ومطلعها :

إن جئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عن جيرة العَلَمِ

واقروا السلام على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

وروى الحلي (٦) قصة هذه البديعية فقال : إنه طالع سبعين كتاباً في البلاغة ،

---

(٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ١١٨ . (القاهرة تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ١٩٥١ م) .

(٤) انوار الربيع ج ١ ص ٣١ . (تحقيق شاكر هادي شكر ـ النجف ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م) .

(٥) شعر صفي‌الدين الحلي ص ١٢٦ . (بغداد ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م) .

(٦) شرح الكافية البديعية ص ٥٤ .

وجمع ما فيها من فنون ، وأضاف اليها ما استخرجه من أشعار القدماء ، وعزم على تأليف كتاب يحيط بجلها فعرضت له علّة طالت مدتها وامتدت شدتها ، واتّفق له أن رأى في المنام رسالة من النبي – عليه أفضل السلام – يتقاضاه المدح ويعده البرء من السقام ، فعدل عن تأليف الكتاب الى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع وتتطرز بمدح مجده الرفيع ، فنظم مائة وخمسة واربعين بيتا من بحر البسيط تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعا من محاسنه ، ومن عدّ جملة أصناف التجنيس بواحد كانت عنده العدة مائة واربعين نوعا ، فانّ في السبعة الأبيات الاوائل منها اثني عشر صنفاً منه ، وجعل كل بيت مثالاً شاهداً لذلك النوع . وربما اتفق في البيت الواحد منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم والمعتمد منها على ما أسس البيت عليه . ثم أخلاها من الأنواع التي اخترعها واقتصر على نظم الجملة التي جمعها ، وألزم نفسه في نظمها عدم التكلف والجري على ما أخذ به نفسه من رقة اللفظ وسهولته ، وقوة المعنى وصحته ، وبراعة المطلع والمنزع ، وحسن المطلب والمقطع ، وتمكن قوافيها . وشرحها بكتاب « شرحا لطيفا لم يوف بالمقاصد ولا أبان عما في النفس من الخبايا ، بل ترك ذلك مهملاً بل ربما لم يصب في بعض الأنواع » (٧) . واهتم الأدباء بها ، وشرحها عبد الغني النابلسي بكتاب سماه « الجوهر السني في شرح بديعية الصفي » وأثنى عليها ابن حجة الحموي في خزانته وفضلها على البديعيات الأخرى وقال في مدح ناظمها : « وما ألمّ بالملفق أحد من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلي ، وماذاك إلا انه قال في خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن . وهذا دليل على أنه لما عارضه الشيخ عزالدين والتزم تسمية الانواع التي ذكرها الشيخ صفي

(٧) نفحات الازهار لعبدالغني النابلسي ص ٣ . (ط ٣ – بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) .

الدين لم يجد بُدّاً من نظمه لأجل المعارضة ، ولكن نحت فيه بيتاً من الجبال» (٨) ووازن بينها وبين بديعية الموصلي وقال : « والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع ، ولكنه قصَّر في مواضع نبهت عليها في مظانها . والشيخ عزالدين – رحمه الله – قصَّر في غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية » (٩) . ومن اعجابه بالحلي قلّده وجاراه وحذا حذوه ، قال مفتخراً ببديعيته : « فجاءت بديعية هدَمَتْ بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال ، وجاريتُ الصفي مقيداً بتسمية النوع وهو في ذلك محلول العقال » (١٠) . وكتاب الحلي ذو أهمية في الدراسات البلاغية :

١ – فهو من أقدم البديعيات إن لم يكن أولها .

٢ – انه خلاصة سبعين كتاباً قرأها الحلي واستخلص منها مادته .

٣ – ان الحلي ناقش الآراء وردّ ما لم يره حسنا مقبولا .

٤ – انه وافق ماراه من الآراء مقبولا .

٥ – ان الكتاب ضم نصوصا أدبية رفيعة تهذب الذوق .

٦ – انه كان دافعا الى نظم البديعيات وشرحها .

طبع الكتاب باسم « شرح بديعية صفي الدين الحلي » سنة ١٣١٦ هـ – ١٨٩٨م وأصبح نادراً كالمخطوط ، وظل الباحثـون ينتظرون من ينهد لتحقيقه حتى قيّض الله له الدكتور نسيب نشاوي ، فعكف عليه دارساً ومحققا وأخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق في ٤٨٠ صفحة سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ ، فكان خير هدية للدارسين .

---

(٨) خزانة الادب لابن حجة الحموي ص ٢٧ . (القاهرة ١٣٠٤ هـ) .
(٩) خزانة الادب ص ٤٦٧ .
(١٠) خزانة الادب ص ٣ .

عرفت الدكتور نسيب نشاوي باحثاً في الأدب الحديث وحينما التقيته في المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن بجامعة دمشق في تموز ١٩٨٦م – عرفت انه يجمع بين القديم والجديد وانه أصدر « شرح الكافية البديعية » للحلي ، والجزء التاسع من « مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر » لابن منظور سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م . وسررت بمعاصرة تستند الى تراث أصيل ، وأهداني الدكتور نسيب الكتابين وكان سروري بكتاب الحلي عظيما لاني كنت مشتاقا الى رؤيته منذ سنين . قام الدكتور نسيب نشاوي بتحقيق كتاب « شرح الكافية البديعية » خير قيام ، وقدّم له بمقدمة تحدث فيها عن مادته وقيمته وأثره في البديع ، وترجم لصفي الدين ، وأحاط بآثاره الشعرية والنثرية ، ووصف النسخ المعتمدة في التحقيق وهي :

١– نسخة الظاهرية التي كتبت سنة ٨٤٩ هـ ، وقد اتخذها المحقق أصلاً لدقة روايتها وخلوها من التصحيف .

٢ – نسخة الظاهرية التي كتبت سنة ٧٦٦ هـ ، وهي أقل من الأولى أهمية لان فيها سقطا .

٣ – نسخة المركز الثقافي بحماة التي كتبت سنة ١٠٠٨ هـ .

٤ – نسخة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، وهي ناقصة غير مشكولة .

٥ – النسخة المطبوعة عام ١٣١٦ هـ – ١٨٩٨ م .

هذا ما كان من أمر التقديم ، أما النص فقد بذل فيه الدكتور نسيب جهداً كبيراً يدل على حرص عظيم . وكان في تحقيقه يسعى الى اثبات الرواية الصحيحة للمؤلف ، وترتيب الابواب والفقرات بحسب ورودها في الاصول ، ووضع ما أضاف اليها بين هلالين معقوفين ، والتخفف من شكل الالفاظ المثلثة ، وشكل ما يحتاج الى شكل ولاسيما آيات الذكر الحكيم وحرف الروي ، والتدقيق في شكل الحروف التي تحتمل وجهين ، والاشارة الى الفروق بين

النسخ حين يكون ذلك مفيدا ، وكتابة بعض الشروح لتفسير لفظة أو جملة ، وتخريج الأبيات والأخبار ، والتعريف ببعض الاعلام ، ووضع فهارس الآيات والاشعار والأعلام والكتب والموضوعات .

وهذه هي سبيل المحققين ، غير أن الدكتور نسيب اهتم بالتخريج اكثر من اهتمامه بالنص والفنون البلاغية . وكنت قد دعوت قبل سنوات الى أن تتخفف كتب علوم اللغة العربية من التعليقات الطويلة والتخريجات الكثيرة ، وأن يعنى المحقق بمادة الكتاب ليكون أعظم فائدة واكثر نفعاً (١١) .

إن عناية الدكتور نسيب بكتاب الحلي كانت عظيمة ، وهناك ملاحظات عرضت لي في اثناء قراءة الكتاب وهي :

١ — ان مقدمة التحقيق موجزة ، وكنت أود أن تعرض للبديعيات وتوازن بينها ، وتضع بديعية الحلي حيث ينبغي لها أن توضع بين البديعيات .

٢— ان ترجمة المؤلف جاءت طويلة ، وليس الحلي ممن يُعَرَّف به هذا التعريف وقد طبقت شهرته الآفاق .

٣ — ان المحقق لم يتخذ كتب البلاغة — ولاسيما البديعيات — أساساً في تحقيقه . وقد نجم عن ذلك انه لم يشر الى المصادر التي استقى منها صفي الدين إلا قليلاً . والاشارة الى المصادر في مثل هذا اللون من الكتب ضروري للتأكد من سلامة النص المنقول ودقته ، ومن صحة النسبة الى القدماء . ومن أوضح الأمثلة ما جاء في أول الكتاب : « فان أحق العلوم بالتقديم ، وأجدرها بالاقتباس والتعليم بعد معرفة الله العظيم ، معرفة حقائق كلامه الكريم ، وفهم ما أنزل في الذكر الحكيم لتؤمن غائلة الشك والتوهيم ، « أَفَمَنْ يَمْشي

(١١) ينظر (نظرة في تحقيق الكتب — علوم اللغة والادب) المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد الاول — الجزء الاول) ص ٤١ . (١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م) .

مُكِبًّا على وَجْهه أهْدَى أمَّنْ يَمْشي سَوِيا على صِراطٍ مُسْتَقيم » .
ولا سبيل الى ذلك إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع اللتين بهما يُعرف وجه إعجاز القرآن وصحة نبوة محمد – صلي الله عليه وسلم – بالدليل والبرهان » (١٢) . وهذا يُذكِّرُ بكلام أبي هلال العسكري : « إنَّ أحَقَّ العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جلَّ ثناؤه – علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق ، الهادي الى سبيل الرشد ، المدلول به على صحة الرسالة وصحة النبوة » (١٣) .
ومثل عبارة « اختيار المرء شاهد عقله ، وشعره شاهد فضله » (١٤)، وهي قريبة مما ذكره العسكري : « اختيار الرجل قطعة من عقله كما أن شعره قطعة من علمه » (١٥) .

٤ – إن المحقق أسرف في تخريج الشواهد ، والمعروف انه يكتفى بالاشارة الى ديوان الشاعر ، فان لم يكن له ديوان فيشار الى أقدم مصدر . ولو فعل المحقق ذلك لصرف جهده الى العناية بما في الكتاب من مادة علمية .

٥ – ان الدكتور نسيب لم يحقق أقوال الحلي مثل « وسماه قوم » و « قليل من أفرد هذا الصنف » و « في تسميته اختلاف كثير » و « قال البديعيون » وغير ذلك مما يكمل الكتاب ويحقق الأقوال .

٦ – ان المحقق يشير في كل بيت من البديعية الى مكانه في ديوان الحلي وكنت أود أن يذكر القصيدة ملحقة بالكتاب كما جاءت في الديوان ويقيم موازنة بين النصين والقراءات فلعل فيها نفعا في توجيه الكلام .

٧ – ان المحقق يذكر عند كل علم يرد ان « ترجمته في ملحق تراجم

(١٢) شرح الكافية البديعية ص ٥١ .
(١٣) كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ص ١ . (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ م) .
(١٤) شرح الكافية البديعية ص ٥٦ .
(١٥) كتاب الصناعتين ص ٣ .

الاعلام » وعبارته في المقدمة « وقد جمعت التعريفات في آخر الكتاب منسوقة على حروف المعجم » تغني عن مئات الاشارات التي ناءت بحملها هوامش الكتاب .

٨ — ان بعض المواضع تفتقر الى التكملة في الهامش مثل اشارة الحلي الى ما لرد العجز على الصدر من ضروب .

٩ — ان المحقق يرجع أحيانا الى الكتب الحديثة كما في أبيات ديك الجن :

قولي لطيفـك ينثـني   عن مضجعي عند المنام (١٦)

والرجوع الى المصادر أولى .

١٠ — ان المحقق فصّل القول في مصادر الحلي وفاته بعض طبعاتها مثل (١٧) :

البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب الذي طبع ببغداد عام ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ، وهو النسخة الكاملة لنقد النثر المنسوب الى قدامة بن جعفر .

وحلية المحاضرة في صناعة الشعر للحاتمي الذي له طبعة أخرى صدرت ببيروت عام ١٩٧٨ م بتحقيق هلال ناجي .

والمنصف لابن وكيع الذي طبع في دمشق سنة ١٩٨٢م بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية وفي الكويت عام ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم .

وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي الذي طبع في بغداد سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م بتصحيح مكي السيد جاسم —.

والاقناع في العروض وتخريج القوافي للصاحب بن عباد الذي طبع في بغداد عام ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م بتحقيق محمد حسن آل ياسين .

(١٦) تنظر الابيات في خزانة الادب للحموي ص ٧٨ .

(١٧) لعل عذره انه قدّم الكتاب منذ مدة طويلة الى المطبعة وان بعض الطبعات صدرت بعد طبعه .

ومفتاح العلوم للسكاكي الذي طبع في بغداد سنة ١٩٨٢ م بتحقيق الدكتور اكرم عثمان يوسف .

وكتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر الذي طبع في بغداد سنة ١٩٨١ م بتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي .

والبرهان الكاشف عن اعجاز القرآن لابن الزملكاني الذي طبع في بغداد سنة ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م بتحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي .

وعيار الشعر لابن طباطبا العلوي الذي طبع في القاهرة بتحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام ، وطبع في الرياض سنة ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م بتحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع . والمصباح لبدر الدين ابن مالك الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ .

وكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي لصفي الدين الحلي الذي ظهرت طبعته الجديدة في القاهرة سنة ١٩٨١ بتحقيق الدكتور حسين نصار .

١١ — ان مصادر التحقيق البلاغية قليلة مما ضيق آفاق التحقيق .

هذه نظرة في كتاب « شرح الكافية البديعية » لصفي الدين الحلي ولا تقلل الملاحظات التي عرضت لي من عمل المحقق الذي بذل جهداً عظيماً ، وحسبه انه وضع هذا السفر بين أيدي الباحثين . وتبقى الملاحظات بعد ذلك وجهة نظر ، لان لكل محقق طريقته ولكل باحث منهجه ، ولعل ما أشرت اليه يمثل وجهة نظري في تحقيق كتب البلاغة ، وهي وجهة تدعو الى الاهتمام بمادة الكتاب وبما فيه من آراء وموازنتها بما في الكتب الاخرى لتظهر أهمية الكتاب ويأخذ موقعه في التراث العربي الخالد .

الكتب الواردة والمهداة الى مكتبة المجمع العلمي العراقي خلال عام ١٩٨٦

القسم الاول

اعداد

صباح ياسين الاعظمي

مدير مكتبة المجمع العلمي العراقي

العلوم الدينية

× الأئمة الاربعة : ـ
تأليف الدكتور مصطفى الشكعة . منشورات دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ط ٢ ، ١٠١٠ ص . صدر بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري .

× أدب القاضي
تاليف ، أبي بكر احمد بن عمر بن مهير الشيباني المعروف (بالخصاف) شرح أبي بكر احمد بن علي الرازي المعروف (بالجصاص) ، تحقيق فرحات زيادة ، منشورات الجامعة الامريكية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ٨٢٥ ص

× البراهين المهدية الى العقائد المنجية
تاليف ، سلطان افندي بن حسن الموصلي . اختصره وعلق عليه عبدالله بن محمد الحسو ، مطبعة الامام ـ ٩ يعقوب ـ مصر ، ١٦١ ص بدون سنة طبع .

× تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم)
تاليف ، أبي الليث نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم السمرقندي . تحقيق الدكتور عبد الرحيم احمد الزقة . بغداد ، ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ . ج١ ـ ٣ × م٣ ، ٢٠ .

× توثيق السُنة في القرن الثاني الهجري ، اسسهُ ، واتجاهاته
تاليف الدكتور رفعت نوري عبد المطلب •
القاهرة ١٩٨١ ، ٤٦٣ ص •

× تيجان البيان في مشكلات القرآن

تاليف ، محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري ، دراسة وتحقيق حسن مظفر الرزو ، مطبعة الجامعة ، الموصل ، ١٩٨٥ ، ٣٦٥ ص •

× الجواهر العمرية في الموالات الالهية وحب السادة الصوفية
تاليف محمد بن احمد العمري الموصلي ، تحقيق ، ذاكر زكي علي العثمان
مطبعة الزهراء الحديثة ــ الموصل ١٩٨٦ ، ١٧٤ ص •

× حياة واخلاق الانبياء
تاليف احمد الصباحي عوض‌الله ، بيروت ١٩٨٥ ، ٤٥٣ ص •

× الحيل الفقهية في المعاملات المالية

تاليف محمد بن ابراهيم • منشورات دار الكتاب ، ليبيا ، ١٩٨٥ ، ٤١٩ ص •

× الرسائل التسع

تاليف ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المتوفي (٩١١ هـ) •
دار احياء العلوم ، بيروت ١٩٨٥ ، ٣٣٥ ص •

× الدُرر في اختصار المغازي والسيّر
تأليف ، ابن عبد البر ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ٣٥١ ص •

× علم ميزان القرآن الحكيم ، محاورات بين الفرقان وبين الهوي والبهتان •

تأليف ، حسين ناجي محي الدين ، مطبعة الصحابة الاسلامية ــ الكويت ١٩٨٤ ، ٢٢١ ص .

× فتنة القرن العشرين ، تأويل القرآن بالارقام
تأليف ، حسين ناجي محمد محيّ الديــن ، مطبعة الفيصل ، الكويت ١٩٨٥ ، ٢٥٧ ص .

× فصول الاحكام
تأليف ، القاضي أبي الوليد الباجي الاندلسي ، تحقيق محمد ابو الاجفان ليبيا ١٩٨٥ ، ٣٢٢ ص .

× في تاريخ التشريع الاسلامي
تأليف ، ن . ج . كولسون ، ترجمة وتعليق الدكتور محمد احمد سراج ، مراجعة الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعي ، منشورات دار العروبة بالكويت ، ط ١ ، ١٩٨٢ ، ٤٤٧ ص .

× قصص الانبياء
تأليف ، الدكتور عبد الوهاب النجار ، بيروت ، بدون سنة طبع ، ٤٦٤ ص

× مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه
تأليف ، ج . برجستراسر ، بيروت ، بدون سنة طبع ، ٢٢٨ ص .

× مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة
تأليف ، محمد بن عبد الباقي الزرقاني ، تحقيق ، مصطفى الأعظمي . الرياض ، ١٩٨١ ، ٢٧٢ ص .

× الكتاب المصنف في الحديث والاثار
تأليف ، الحافظ ، أبي بكر بن أبي شيبة ، تحقيق عبد الخالق الافغاني ، بومباي ١٩٧٩ ، جـ١ ــ ١٥ × م١٥ .

المعجم الكبير ...

تأليف ، الحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني (٢٦٠ ــ ٣٦٠ هـ) حققه وخرج احاديثه ، حمدي عبد المجيد السلفي ، منشورات وزارة الاوقاف والسؤون الدينية ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ١٩٨٥ ، ج١ ــ ١٠ ، جـ١٢ ، جـ١٧ ، جـ١٨ و جـ١٩ ــ ٢٠ •

× مناهج الشريعة الاسلامية
تأليف ، احمد محيّ الدين العجوز ، بيروت ١٩٨٣ ،
ج١ ــ ٣ × م٣ ١٣٢٠ + ٣١١ + ٣٦٧ ص •

× نظام الحكم في الشريعة والتاريخ (الحياة الدستورية)
تأليف ظافر القاسمي ، بيروت ١٩٨٥ ، ٦٠٠ ص ، ط ٥ •

كتب التربية والاجتماع والفلسفة

× أباطيل واسمار •••
تأليف محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٧٢ ، ج١ ــ ج٢ × م٢ ، ٦٣٠ ص

× الابعاد التربوية للصراع العربي الاسرائيلي (وقائع المؤتمر العلمي الذي نظمته كلية التربية بجامعة الكويت)
اعداد عبدالله عبد الدايم وآخرين ، الكويت ١٩٨٦ ، ٥٢٣ ص •

× اثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى
تأليف ، الدكتورة زينب محمود الخضري ، بيروت ١٩٨٥ ، ٤٢٦ ص •

× الاثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة
تأليف ، محمد بن ابراهيم بن يوسف التاذخي الربعي ، الشهير بابن الحنبلي (٩٠٨ ــ ٩٧١ هـ) •
اعداد الدكتور عبد العزيز صالح الهلابي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكوتيه ، ٩٦ ص •

× اداب الفلاسفة ••• لحنين بن اسحق ، اختصره محمد بن علي بن ابراهيم بن احمد بن محمد الانصاري ، حققه وقدم لــه وعلق عليه ، الدكتور

عبد الرحمن بـدوي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ١٩٨٥ ، ١٧١ ص •

× آراء في قضية التعريب العالي والجامعي

١ ــ قضية تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر ، الدكتور محمود حافظ
٢ ــ مواكبة التعليم باللغة العربية للتطور العلمي ، الدكتور محمود الجليلي منشورات مجمع اللغة العربية في القاهـرة ، مطابع شركـة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ٥١ ص •

× بنى وتنظيم المراكز التربويـة الوطنية ودورها في تنمية وتطويـر البحث التطبيقي في العراق

اعداد ، صالح حمدان الناصر ، والدكتور بديع محمد مبارك ، منشورات مركز البحوث والدراسات بوزارة التربية ، بغداد ، طبع رونيو ٢٨ ورقة •

× بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفـة في الثقافة العربية)
تأليف ، الدكتور محمد عابد الجابري ، بيروت ١٩٨٦ ، ٥٩٩ ص •

× تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم
تأليف ، الدكتور منير الدين احمد ، الرياض ١٩٨١ ، ١٤٤ ص •

× تطور الفكر القومي العربي

منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٦ ، ٤١٧ ص •

× التعريف والقومية العربية في المغرب العربي
تأليف ، الدكتور نازلي معوض احمد ، بيروت ١٩٨٦ ، ١٩٨ ص •

× تلقين الصبيان مايلزم الانسان
تأليف ، نور الدين الشيخ عبدالله بن حميد السالمي ، بيروت ١٩٨٥ ، ٢٠٧ ص •

× حلقة وصل بين الشرق والغرب

(ابو حامد الغزالي ، وموسى بن ميمون) •
ندوات اكاديمية المملكة المغربية ، فاس ١٩٨٥ ، ٤٦٤ ص + ٢٧٣ •

× الخطاب التاريخي

دراسة لمنهجية ابن خلدون ،
تأليف علي او ضليل ، بيروت ١٩٨٥ ، ٢٢٩ ص •

× خلدونيات ، السياسة العمرانية
تأليف ، الدكتور ملحم قربان ، بيروت ١٩٨٤ ، ٤٠٢ ص •

× خلدونيات ، قوانين خلدونية
تأليف ، الدكتور ملحم قربان ، بيروت ١٩٨٤ ، ٤١٩ ص •

× دور التعليم العالي في التقدم العلمي التكنولوجي مع نظرة خاصة لتجربة القطر العراقي
تأليف ، الدكتور محمد بديع مبارك وكاظم عيدان ماضي ، بغداد ١٩٨٦ ، ٧٦ ص •

× رسائل ابن سنان
تحقيق احمد سليم سعيدان ، الكويت ١٩٨٣ ، ٤٨٠ ص •

× الشخصية النظرية ، التقييم • مناهج البحث
تأليف ، الدكتور نعمة الشماع • منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ١٩٧٧ ، ٢٧٦ ص •

× علم تعليم الكبار

اعداد ، الجهاز المركزي لمحو الامية وتعليم الكبار ، الكويت ١٩٨٥ ، ٢٧٥ ص •

× الغزالي ... !
تأليف ، البارون كارادوفو ، نقلـه الى العربية الدكتور عادل زعيتر ، بيروت ١٩٨٤ ، ٢٦٩ ص .

× الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي
تأليف ، الدكتور عبد العزيز شمس الدين ، بيروت ١٩٨٥ ، ٢٣٦ ص .

× الفكر التربوي عند ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد الكاتب
تأليف ، الدكتور عبد الامير شمس الدين ، بيروت ١٩٨٥ ، ٤٠٩ ص .

× فلسفة التاريخ عند ابن خلدون
تأليف ، الدكتورة زينب محمود الخضري ، بيروت ١٩٨٥ ، ٢١٥ ص .

× القنوات الدراسية التى التحق بها خريجو الدورات المتوسطة المشمولـة باقسام التربية المهنية
اعداد ، كامل حسين علي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٦٢ ص .

× الكندي ، مكانته عند مؤرخي الفلسفة العربية
تأليف ، انطون سيف ، بيروت ١٩٨٥ ، ١٩٩ ص .

× المفهوم الحضاري للامة

منشورات الجهاز العربي لمحو الامية وتعليم الكبار .
الرباط ١٩٨٥ ، ٣٧٤ ص .

× الملامح الاجتماعية لنظام الاصناف في العراق ابان العصر العثماني
تأليف ، الدكتور عماد عبد السلام رؤوف . مستل من المجلة التاريخية

المغربية ، تونس ١٩٨٥ ، ١٦ ص .

× نحو علم اجتماعي عربي (علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة)
تأليف ، محمد عزت حجازي وآخريـن ، بيروت ، منشورات مركـز

دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٦ ، ٤٠٦ ص .

× الندوة الاولى لأمناء ومديري المكتبات بالجامعة العربية ، جامعة بغداد ، آذار ، ١٩٧٢ ، منشورات اتحـاد الجامعات العربية (الامانة العامة) سلسة الندوات ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٧ ، ٧٠٢ + ٩٥ ص .

× الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية
تأليف ، جورج شهلا ، بيروت ١٩٧٨ ، ط ٤ ، ٥٢٤ ص .

الفهرس



سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد

(تدفع قيمة الاشترك سلفاً)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسـنة ١٩٨٧





JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

VOLUME 38

part (1)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1 9 8 7